المملكة العربيةالسعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



المباحث العقدية المتعلقة بالعرش والكرسي

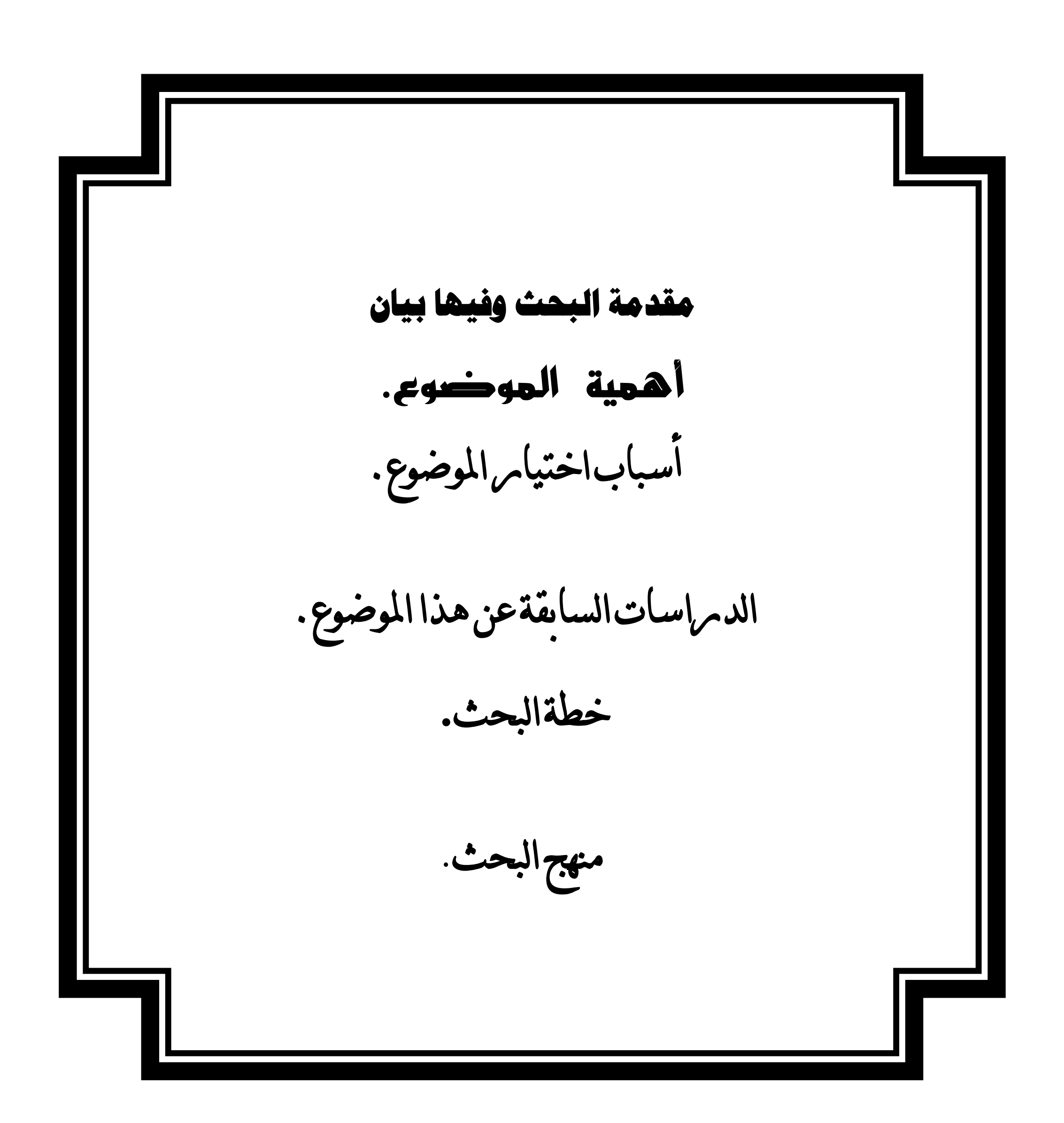
رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

عبد الولي بن أحمد بن موسى

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور/ ذياب بن مدحل العلوي

العام الجامعي ١٤٣٥هـ- ١٤٣٦هـ



مقدمة البحث وفيها بيان

أهمية الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع.

الدراسات السابقة عن هذا الموضوع.

خطة البحث.

منهج البحث.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلاهادي له، وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(٢). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٣)(٤).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن"شرف العلم تابع لشرف معلومه...ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، ملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله.

ولا ريب أن العلم به ، وبأسمائه وصفاته وأفعاله، أجل العلوم، وأفضلها؛ ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها"(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية:١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧١،٧٠ .

(٤) هذه خطبة الحاجة أخرجها مسلم في صحيحه (٣/ ١١)، (كتاب الصلاب/ باب صفة خطبته ﷺ) ورقم الحديث : (٨٦٨). بدون ذكر الآيات ، وأخرجها ابن ماجه مع الآيات في سننه (١/ ٦٠٩)، كتاب النكاح / باب خطبة النكاح) ورقمه: (١٨٩٢). وصححه الألباني. وانظر: تخريج الخطبة مفصلا في كتاب: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه للألباني (ص: ٢٦- ٣٤).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٦).

هذا وإنه لما كان العرش أكبر مخلوقات الله وأعظمها وأوسعها وأعلاها، تكرر ذكره في القرآن الكريم أكثر من عشرين موضعا، ناهيك عن السنة النبوية، وكثرت أوصافه ونعوته، وتعلقت به صفات إلهية، ونعوت ربانية، كالعلو والاستواء وغيرهما من المسائل المهمة.

ولما كان له تلك المنزلة العالية، والدرجة السامية، اختص الله به من بين مخلوقاته فاستوى عليه دون خلقه قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(١). وأضافه إلى نفسه فشرفه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢). وجعله أعظم مخلوقاته فمجده قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾(٣).

وبناء على هذا أحببت أن يكون موضوعي لمرحلة الماجستير، متعلقا بهذا العرش العظيم الذي كرّمه الله ومجّده؛ وكرسيه الذي وسع السموات والأرض، وذلك لبيان أوصافهما ونعوتهما كما ورد في نصوص الشرع، وإظهارمذهب السلف الصالح في أسماء الله وصفاته المتعلقة بالعرش والكرسي، سائلين الله أن نكون على آثارهم في فهم مسائل الدين عامة، ومسائل العقيدة وتقريرها خاصة، فكل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤).

وبعد الاستشارة، والاستخارة وقع الاختيار على أن يكون البحث بعنوان: "**المباحث العقدية المتعلقة بالعرش والكرسي**".

وهذا مستهل بحثي ومطلعه، "ومرد العلم كله إلى الله تعالى، والبشر عاجزقاصر، والاعتراف متعين واجب، ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب، وأنجحت له المساعي والمطالب"(٥) فعلى الله اعتمادي وإليه استنادي في أمري إنه هو حسبي ونعم الوكيل.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة طه، الآية: ٥ .

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٣) سورة البروج، الآية:١٤،١٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٠ .

(٥) تاريخ ابن خلدون (١/ ٤٣)

أهمية الموضوع : تنجلي أهميته في النقاط الآتية.

أولا: أن الموضوع متعلق بالعقيدة، وهي أهم أمور الدين، وأساس أركان الإسلام، ومنطلق دعوة المرسلين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١).

ثانيا:أن الموضوع له تعلق بأسماء الله وصفاته ، والعلم بالله وأسمائه وصفاته "أشرف العلوم على الإطلاق وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق"(٢).

فإذا كان هذاالعلم – وهو العلم المتعلق بالله تعالى- أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.(٣)

"وليعلم أن أهم مسألة في الاعتقاد: الإيمان بمسألة العرش وتحقيقها علما وتصديقا ، لأنها أصل من أصول السالكين ، السائرين إلى طريق قرب رب العالمين ،لا يستقيم أمرهم إلا بها ولا ينفذون إلى ربهم إلا بمعرفتها وتحقيقها ، ... وأكثر من انحرف عن التحقيق فلجهله بها.

فمعظم الناس ليست لقلوبهم قبلة يتوجهون إليها ؛ لكونهم لا يتحققون أن ربهم فوق كل شيء بفوقية تختص به، وعلو يليق به فهم لا يفهمون من الفوقية والعلو إلا الفوقية اللائقة بهم ولم تسر أذهانهم إلى أن صفات الرب تعالى من علوه وفوقيته واستوائه ليست كصفات الحدث كما أن سمعه ليس كأسماعهم وبصره ليس كأبصارهم وعلمه ليس كعلمهم"(٤).

ثالثا: أن العرش والكرسي من أعظم مخلوقات الله تعالى؛ فالتفكر فيهما ومعرفة أسرارهما من خلال النصوص الشرعية يؤدي إلى معرفة عظمة الباري سبحانه، التي تدعو إلى محبته وخشيته؛ وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد(٥).

---

(١) سورة النحل، الآية : ٣٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣).

(٣) انظر:تفسير السعدي (ص/ ٣٥).

(٤) العماديات(ص/ ٢٠٣)، وهو مجموع فيه رسائل للإمام عماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزامية.

(٥) انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٥).

يقول تعالى مبينا أهمية التفكر في المخلوقات:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١).

وإذا تدبر الإنسان وتفكر في هذه المخلوقات وأمعن النظر فيها"فتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته، وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حوله، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لايعلمها إلا ربها ومليكها...فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن، مطرقا لهيبته، خاشعا لعظمته ، عان(٢) لعزت؛، فيسجد بين يدي ملك الحق المبين سجدة لايرفع رأسه منها إلى يوم المزيد ؛ فهذاسفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه"(٣).

أسباب اختيار الموضوع:

اختار الباحث هذا الموضوع لأسباب عدة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولا : الأهمية العظيمة للموضوع . يوضحه كون الإيمان بمسألة العرش وتحقيقها علما وتصديقا من أهم مسائل الاعتقاد؛ لأنها أصل من أصول السالكين، ومبدأ المعارف الإلهية والعلوم الربانية، ولا يستقيم أمر الموحدين إلا بإقرار هذه المسألة، والإيمان بأن لهم معبودا من فوقهم، مستو على عرشه، كما يليق بجلاله، يتوجهون له بالعبادة والطاعة ، وأكثر من انحرف عن التحقيق فلجهله بها؛ فمعظم الناس ليست لقلوبهم قبلة يتوجهون إليها ،لكونهم لا يتحققون أن ربهم فوق كل شيء بفوقية تختص به، وعلو يليق به(٤).

---

(١) سورة النحل، الآية : ٣٦.

(٢)العاني: الخاضع المتذلل كما قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[طه: ١١١].مقاييس اللغة(٤/ ١٤٧)

(٣) انظر:في مفتاح دار االسعادة (١/ ١٩٩).

(٤) انظر:في العماديات(ص/ ٢٠٣) وهو مجموع فيه رسائل للإمام عماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزامية.

ثانيا: بيان مذهب السلف في مسائل العقيدة، ونصوص الصفات المتعلقة بالعرش والكرسي، ودحض شبه المبطلين الزائغين عن الحق في فهم هذه النصوص.

ثالثا: أنه لم يسبق دراسة موضوع العرش والكرسي في مؤلف واحد حسب حدود علمي القاصر فقصدت إلى جمع مسائله وتصنيفها في مكان واحد ليسهل الوقوف عليها.

الدراسات السابقة عن هذا الموضوع :

لم أقف على بحث مستقل يستوعب جميع المسائل المتعلقة بالعرش والكرسي، ولكن وقف على بعض البحوث التي استعرض فيها باحثوها دراسة متعلقة بهذا الموضوع ومن أهمها مايأتي:

البحث الأول: عرش الرحمن في القرآن: إعداد: فضيلة الدكتور عبد العزيز بن صالح العبيد، عضو هيئة التدريس في قسم التفسير في الجامعة الإسلامية ،وهو بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، عام ١٤٢٨هـ.

هذا البحث الذي قام بدراسته فضيلة الدكتور العبيد هو بحث في غاية الأهمية؛ فإنه جمع شتات الموضوع وما يتعلق به من مسائل عقدية ، في ضوء مجيئه في القرآن الكريم؛ ولكنه ترك كثيرا من مسائله الواردة في السنة، وهذا ما سيظهر واضحا فيما سيأتي من الفروق بين بحثه والبحث المقترح.

الفرق الأول: أن فضيلة الدكتور العبيد عرض في بحثه ما يتعلق بالعرش؛ مما له ذكر في القرآن الكريم، ولم يتعرض لكثير من مسائله الواردة في السنة، وقد بلغت المسائل التي لم يقم بدراستها سبع عشر مسألة متعلقة بالعرش؛ كما سيأتي في الخطة التفصيلية(١)؛ بينما صاحب هذا البحث سيقوم بدراسته وفق مجيئه في القرآن والسنة، ويحاول عرض جميع مسائله مع نقل أقوال أهل العلم فيها حسب القدرة والاستطاعة.

الفرق الثاني:أن فضيلة الدكتور العبيد تكلم في بحثه عما يتعلق بالعرش خاصة دون غيره، فهو بحث أعد خصيصا للكلام عن العرش فقط، بينما هذا البحث يتناول العرش والكرسي وما يتعلق بهما من مسائل عقدية ،كما هو واضح في خطة البحث.

---

(١) المسائل التي لم يقم بدراستها الباحثون الذين تطرقوا في الكتابة عن مسائل العرش والموجودة في هذا البحث اكتفي بذكرها عددا ولا أعدها عدا خشية الإطالة والتكرار.

فهذا البحث مغاير لبحث فضيلة الدكتور العبيد ومفارق له من وجهين:

الوجه الأول:أنه أوسع من بحثه وأشمل من ناحية.

الوجه الثاني: أنه أتم منه من ناحية أخرى.

فأما كونه أوسع منه، فمن حيث شموله على مسائل العرش والكرسي، وأما كونه أتم منه فمن حيث اشتماله على المسائل العقدية الواردة في الكتاب والسنة مما له علاقة بالعرش والكرسي، بينما كان بحث فضيلة الدكتور العبيد مرتكزا على ما ورد من مسائل العرش في القرآن الكريم.

البحث الثاني: بغية المتأسي في إثبات الكرسي،لفضيلة الدكتورعلي الشهراني، وهو بحث منشور في مجلة الحكمة العدد:٢٤.

وهذا البحث وإن كانت صلته بهذا الموضوع من الأهمية بمكان، لكن الباحث قام بدراسة جانب معين من هذا الموضوع، فتناول في بحثه المسائل المتعلقة بالكرسي، بينما يقوم صاحب هذا البحث المقترح "المسائل العقدية المتعلقة بالعرش والكرسي" بدراسة المسائل المتعلقة بالعرش والكرسي؛ وبذلك يكون أوسع وأشمل من البحث المتقدم، كما هو موضح في الخطة الآتية.

البحث الثالث: علو الله على خلقه، تأليف فضيلة الدكتور موسى بن سليمان الدويش.

طبيعة البحث: الجدير بالذكر أن بحث الدكتور موسى الدويش بحث مهم للغاية ؛ فإنه قام بدحض شبه المنكرين بصفة العلو لله عز وجل، وناقشهم مناقشة علمية رزينة ؛ حيث نوع الأدلة وعرضها عرضا شاملا ،وبسطها بسطا يجلي جميع جوانبها ، وبين حفظه الله تعالى الآثار المروية عن السلف، المبينة والمفسرة لهذه الصفات، وتعرض في بحثه ذكر شيء من المسائل المتعلقة بالعرش والكرسي، إلا أنه لم يستوعب جميع جوانبها، بل اقتصر على ذكر الأدلة الدالة على إثبات العرش والكرسي مع قيامه بالرد على المخالفين، وقد بلغ عدد المسائل التي لم يدرسها فضيلة الدكتور موسى الدويش خمسا وثلاثين مسألة متعلقة بالعرش والكرسي، كما هو مفصل في خطة هذا البحث.

البحث الرابع: بحث منشور بعنوان "الرحمن على العرش استوى" تأليف: عبد الله السبت/ دار الفتح الشارقة.

تكلم الباحث في هذا البحث عن مسألتين مهمتين لهما تعلق بموضوع هذه الرسالة وهما :

مسألة :الأدلة الدالة على خلق العرش ووجوده.

ومسألة :استواء الله على العرش مع دحض شبه المخالفين .

والحقيقة أن هذا البحث بحث مختصر جدا، لم يستوعب الباحث جميع المسائل المتعلقة بموضوع العرش، كما أنه لم يتطرق للمسائل المتعلقة بالكرسي، فبين البحثين بون شاسع؛ لأن البحث المقترح شامل على مسائل العرش والكرسي، بينما هذا البحث مقتصر على بعض مسائل العرش فقط.

البحث الخامس: مقدمة أ.د. محمد بن خليفة التميمي لـ"كتاب العرش للذهبي".

والفرق بين البحثين من وجهين:

أولا:أن البحث الذي تطرق إليه التميمي في مقدمة كتاب العرش للذهبي بحث في غاية الأهمية؛ حيث أطال النفس في مسائل العرش والكرسي؛ إلا أن بحثه لم يشمل جميع المسائل المتعلقة بالعرش والكرسي؛ بل ترك عشرين مسألة لها علاقة بالموضوع، وهذه المسائل قمت بدراستها كما هو موضح في الخطة.

ثانيا:أن بحث فضيلة الشيخ محمد بن خليفة التميمي إنما كان ضمن مقدمة تناول فيها مباحث كثيرة متعلقة بالأسماء والصفات؛ فلم يقصد استيعاب ما يتعلق بموضوع العرش والكرسي ؛ أما هذا البحث المقترح؛ فهو بحث مستقل أعد خصيصا لكتابة رسالة الماجستير، قصد الباحث إلى جمع مسائل الموضوع وتصنيفها في مكان واحد ليسهل الوقوف عليها.

فيظهر لنا خلال هذه النظرة العابرة أن بحث أ.د.محمد بن خليفة التميمي هو بحث مختصر لم يشمل جميع جوانب الموضوع، إلا أنه مع كونه مختصرا فإنه يعتبر بحثا نفيسا مفيدا للغاية. كما أن الفرق واضح وبيِّن في الخطة المسلوكة في البحثين في تبويب المسائل والترتيب فيما بينها.

هذا ما ظهر للباحث أثناء قيامه بالبحث عن الدراسات السابقة، علما بأنه استفسر عن هذه الدراسات أكثر من جهة علمية، كالجامعات والمكتبات، و الجمعيات العلمية ، ولكنه لم يجد ما يفيد وجود أي أحد قام ببحث هذا الموضوع على هذه الخطة التفصيلية التي وضعها الباحث. فالحمد لله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، إنه كان بكل شيء عليما.

خطة البحث:

البحث مكون من مقدمة ، وأربعة فصول ، وخاتمة .

في المقدمة بيان لأهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث ، ومنهجه .

الفصل الأول :صفات العرش ، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول:تعريف العرش ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف العرش لغة .

المطلب الثاني : تعريف العرش شرعا .

المبحث الثاني : أن العرش مخلوق ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة على أن العرش مخلوق .

المطلب الثاني : مسألة هل العرش أول المخلوقات ؟ .

المطلب الثالث : مسألة بقاء العرش ؟ .

المبحث الثالث : مسألة مكان العرش .

المبحث الرابع : أن العرش عظيم .

المبحث الخامس : أن العرش سقف المخلوقات ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أن العرش سقف المخلوقات .

المطلب الثاني : مسألة هل العرش كروي ؟ .

المبحث السادس : أن للعرش قوائم .

المبحث السابع: أن للعرش ظلا وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على أن للعرش ظلا .

المطلب الثاني : من يستظل بظل العرش.

المبحث الثامن : اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه .

الفصل الثاني : علاقة بعض المخلوقات بالعرش وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : علاقة الملائكة بالعرش وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حمل الملائكة للعرش .

المطلب الثاني : الملائكة الحافة بالعرش .

المسألة الأولى : الأدلة على سعة الكرسي .

المسألة الثانية : سعة الكرسي بالنسبة للعرش .

المطلب الثالث : أن الكرسي كالمرقاة بين يدي العرش .

المبحث الثالث : ما جاء في نزول الله ﷻ من العرش الى الكرسي يوم القيامة .

المبحث الرابع: الأقوال المخالفة في الكرسي ، والرد عليها .

الخاتمة وفيها: أهم النتائج ، والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشمل فهرس الآيات ، فهرس الأحاديث ، فهرس الآثار ، فهرس الأعلام ، فهرس المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات.

منهج البحث.

قمت بدراسة هذا الموضوع وفقا للمنهج الاستقرائي؛ وذلك بجمع النصوص وأقوال العلماء في المسألة قدر المستطاع ،كما أفدت من المنهج التحليلي من خلال المقارنة بين أقوال العلماء والترجيح فيما بينها، متبعا في ذلك خطوات البحث العلمي والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من مظانها حسب القدرة والاستطاعة،وتقسيمها على الفصول والمباحث والمطالب.
- بذل قصارى الجهد في جمع الآيات والأحاديث الواردة في العرش والكرسي وما يتعلق بهما.
- استخراج المباحث العقدية من الأحاديث الصحيحة، والإعراض صفحا عن الاستدلال بالأحاديث التي لا تنهض للاحتجاج؛ لكون أهل السنة والجماعة لا يعولون عليها في مجال الاعتقاد.
- القيام بتوثيق كلام العلماء وذلك بعزوه إلى مواضعه من مصنفاتهم إن وجدت أو من الكتب المعتمدة التي تهتم بنقل آثارهم في الاعتقاد.
- المنقول من كلام أهل العلم بالنص يكون بين علامتي التنصيص أما المنقول بالمعنى فلا يكون بين علامتي التنصيص ولكنه يحال إلى مرجعه بلفظ "انظر".
- وأما المنقول من أقوال المخالفين، فالمراد منه بيان مخالفتها للمنقول الصحيح والمعقول الصريح، مع بيان موقف علماء السلف عن هذه الأقوال.

- تكرار النص القرآني والحديث النبوي في أكثر من موضع مما تعلقت به أكثر من مسألة عقدية ، وكذلك أقوال أهل العلم قد أكررها في أكثر من موضع حسب الحاجة .
- القيام بتطبيق قواعد أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات وكذلك فيما يتعلق بالإيمان بالمسائل الغيبية. كما قمت إلى:
- عزو الآيات الواردة في البحث بذكر رقم الآية واسم السورة.
- وعزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأصلية ونقل أقوال أهل العلم فيها .
- وتوثيق النقول من مصادرها بذكر رقم الجزء والصفحة .
- والترجمة للأعلام غير المشهورين .
- والتعريف بالفرق والطوائف والمصطلحات التي ترد في البحث .
- وشرح الكلمات الغريبة من كتب غريب الحديث وكتب المعاجم.
- وختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.
- كما نظمت قائمة الفهارس العلمية في آخر البحث.

والله ولي التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شكر وتقدير

امتثالًا لأمر ربي سبحانه بقوله: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾(١) أشكر مولاي على ما منّ علي من آلائه، وأسبغ علي من نعمائه، أحمده وأشكره، فهو للحمد أهل كما هو للثناء والتمجيد أهل، وأسأله المزيد من إفضاله وإنعامه إنه جواد كريم، وإن من أعظم نعمه عليّ، _ ونعمه عليّ تترى _ أن هداني للإيمان، فـ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾(٢) .

وأتوجه بالشكر لمن قرن الله شكرهما بشكره، حيث قال المولى سبحانه: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٣)، ومهما رفعت لوالدي من ألفاظ الشكر والتقدير فإن قلمي عاجز عن تعبير ما لهما من حقوق ، فيا﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾(٤).

وتحقيقًا لشكر الله سبحانه واتباعا لسنة المصطفى ﷺ بقوله : ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))(٥) ،أتقدم بالشكر الجزيل للمملكة العربية السعودية ، بما أولت من رعاية أبناء المسلمين، وتربيتهم بالعقيدة الصحيحة المستمدة من المنهج النبوي القويم، كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للقائمين على الجامعة الإسلامية بما يبذلونه من الجهود في تذليل الصعاب لخدمة طلاب العلم الذين يأتون من كل فج عميق لنهل العقيدة الصحيحة من معينها الصافي. فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

وأخص فائق الشكر والعرفان: شيخي وأستاذي الكريم، فضيلة الشيخ الدكتور/ ذياب بن مدحل العلوي_ حفظه الله ورعاه_ الذي رافقني في كل لحظاتي في إخراج هذا

---

(١)سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة لقمان، الآية :٤.

(٤)سورة الإسراء: ٢٤.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٣ / ٣٢٢) وأبو داود في سننه (٤ / ٢٥٥)، (كتاب الأدب/ باب في شكر المعروف)، ورقمه: ٤٨١١، وأخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٣٣٩) ، (كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ / باب ما جاءفي الشكر لمن أحسن إليك)، ورقمه: ١٩٥٤. وقال: "هذا حديث صحيح"، وصححه الشيخ الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٧٧٦) .

البحث، حيث أفرغ علي من نصحه وتوجيهاته وتقويماته وملحوظاته ، والتي كان لها الأثر البالغ _ بعد توفيق الله تعالى_ في تذليل الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث، فجزاه الله خيرا كثيرا.

كما أن الشكر موصول للشيخين الفاضلين:

فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن جليدان الظفيري

وفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد المجيد بن سالم المشعبي.

لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، والإبداء عما قصر عنه علمي، أو زاغ عنه بصري، أو نبا عنه قلمي، وذلك لإخراج ما في البحث من علل، وسد ما فيه من خلل، ليكون في أبهى حلل، والله أستغفر عما كان فيه من زلل، وأسأله أن يتجاوز عني ما كان فيه من خطأ أو تقصير، وأن يغفر لي خطئي وعمدي، وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي.

وختاما أشكر ربي بتوفيقه لإنجاز هذا البحث وإتمامه على أحسن حال، والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقني لكل ما يحبه ويرضى، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الفصل الأول

صفات العرش وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: تعريف العرش.

المبحث الثاني: أن العرش مخلوق.

المبحث الثالث: مسألة مكان العرش.

المبحث الرابع: أن العرش عظيم.

المبحث الخامس: أن العرش سقف المخلوقات.

المبحث السادس: أن للعرش قوائم.

المبحث السابع: أن للعرش ظلا.

المبحث الثامن: اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه.

المبحث الأول

تعريف العرش وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف العرش لغة .

المطلب الثاني : تعريف العرش شرعا .

المطلب الأول

تعريف العرش لغة

العرش مأخوذ من عرش يعرش عرشا فهو عارش، والمفعول معروش ولا يجمع إلا اضطرارا على عروش، يقول الخليل[١]:" قلما يُجمع العرش إلا في اضطرار، وإن جمع قيل: عروش في الاضطرار."[٢].

وأصل مادة العرش تدل على ارتفاع في شيء مبني، وفي هذا يقول ابن فارس[٣]:"العين، والراء، والشين، أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني،ثم يستعار في غير ذلك"[٤]. يقال عرش الكرم عرشا وعروشا إذا رفع دواليه على الخشب[٥]ومنه قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾[٦].

قال الطبري قوله:"﴿مَّعْرُوشَـٰتٍ ﴾، وهي ما عرش الناس من الكروم،﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾، غير مرفوعات مبنيات، لا ينبته الناس ولا يرفعونه، ولكن الله يرفعه وينبته وينميه. قاله ابن عباس"[٧].

---

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن البصري: من أئمة اللغة والأدب، كان رأسا في لسان العرب، وهو واضع علم العروض. وصاحب كتاب العين. ولد سنة ١٠٠هـ وتوفي ما بين سنة ١٦٠-١٧٠هـ. انظر:التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ١٩٩)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٣٥٧).

(٢) كتاب العين (١/ ٢٤٩)، وانظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٢٨).

(٣) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: إمام من أئمة اللغة والأدب وصاحب كتاب مقاييس اللغة، توفي بالري سنة ٣٩٥هـ انظر:سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣)، تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤٧).

(٤) مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٤).

(٥) انظر: القاموس المحيط (ص:٥٩٧).

(٦) سورة الأنعام،الآية: ١٤١ .

(٧) تفسير الطبري (٩/ ٥٩٣)،وانظر:تفسير البغوي(٣/ ١٩٥).

ويقال عرش الرجل: إذا بنى بناء من خشب يستظلّ به[١]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾[٢]. قال الطبري: قوله "﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾يعني يبنون، ومنه قيل عريش مكة، يعني به: خيامها وأبنيتها"[٣]. وقال أيضا:" "يعرشون"يعني: مما يبنون من السقوف، فرفعوها بالبناء"[٤].

هذا أصل مادة كلمة العرش، وأما المعاني التي أطلقت العرب على هذه الكلمة فيمكن تقسيمها إجمالا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما دل على الملك والرئاسة وقوام الأمر :

فالملك -بضم الميم- عندهم عرش ،وسرير الملك عرش ،والقصر عرش، ورئيس القوم عرش، والعز وقوام أمر الرجل عرش،وفيما يأتي تفصيل ذلك وتوضيحه:

أولا:إطلاق سريرالملك على العرش:

إطلاق العرش على السرير، مشهور عند العرب في الجاهلية، فكانوا يسمون سرير الملك عرشا، كما جاء في أشعارهم. قال أمية بن أبي الصلت[٥]:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء العالي الذي بهر النا ... س وسوى فوق السماء سريرا

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠) ، لسان العرب(٦/ ٣١٥).

(٢) سورة الأعراف،الآية: ١٣٧.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٠،٥٨٥/ ٤٠٧).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٨٦)

(٥) أمية ابن ابي الصلت هو: أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدا، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، وقد أدرك بعث النبوة ولكنه لم يسلم عنادا وحسدا توفي سنة ٥هـ، وكان ﷺ يستنشد من شعره وثبت أنه ﷺ قال فيه "كاد أن يسلم"كما في سنن ابن ماجه (٤/ ٦٨٨) ومسند أحمد (٣٢/ ٢١٥) وهو حديث صحيح كما ذكره محققوا المسند. انظر: ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ٢٥٥) الوافي بالوفيات (٩/ ٢٢٥).

شرجعـــاً لا ينالـــه بصر العيـــ ـــــــرى حولـه الملائـك صـورا[(١)(٢)]

فسمى عرش الملك سريرا كما هو واضح في شعره، وبان ذلك أيضا في موضع آخـر مـن شعره حيث قال :

فســبحان مــن لا يقــدر الخلــق ومــن هــو فــوق العــرش فــرد

مليك عـلى عـرش السـماء مهيمن لعزتـه تعنـوا الوجـوه وتسـجد[(٣)]

وأما علماء اللغة فقد تنوعت عباراتهم في تفسير العرش، فتارة يفسرون العرش بالسرـير، ويقولون: العرش السرير، وتارة يخصصـون العـرش بسرير الملـك، وتـارة يفسرنه بمجلـس الملك، وتارة بمجلس السلطان، وتارة يقولون: العرش هو الكرسي الذي يجلس عليه الملك.

ومرادهم في ذلك واحد، وهو أن العرش عبارة عن السرير الذي يجلس عليه عظيم كـل قوم،سواء سمي به سريرا للملك أو قيل: كـرسي الملـك ، أو قيـل: مجلـس الملـك ، أو قيـل: مجلس السلطان، أو قيل: غير ذلك.والمقصود هنابيان أن معنى السرير يتغير حسب ما يضاف إليه، وأنه لا يسمى السرير عرشا إلا إذا كان مما يختص به الملك[(٤)].

يقول الثعالبي[(٥)] في معرض تعداده معاني السرير: "إذا كان للملك فهو عرش. فإذا كان للميّت فهو نعش.

---

(١)الصور هنا: جمع: أصور، وهو: المائل العنق لنظره إلى العلو. والشرجع: هو العالي المنيف ، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٦٠٠).

(٢)الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة(ص:٤٨) ، زاد المسير في علم التفسير(٢/ ١٢٨)، وينظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٨٧)

(٣)شعراء النصرانية (٢/ ٢٢٨)، وانظر: الاستذكار (٢/ ٥٢٨)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٣)

(٤) هذه خلاصة معاني العرش عند علماء اللغة وعلماء التفاسير كما سيأتي.

(٥) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي النَّيْسابوريّ، الأديب الشَّاعر، صاحب التَّصانيف الأدبية، كيتيمة الدّهر "، وكتاب " فقه اللُّغة وسر العربية. ولد سنة ٣٥٠هـ،وتوفي عام٤٣٠ هـ. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٦٥) ، سير أعلام النبلاء(١٧/ ٤٣٨) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٧٧).

فإذا كان للعروس وعليه حَجَلَة(١)، فهو أريكة والجمع أرائك. فإذا كان للثياب فهو نَضَد(٢)"(٣)ويظهر هذا جليا في أقوال أهل اللغة كما سيأتي:

قال الخليل: "العرش: السرير للملك"(٤). وقال الأزهري(٥): "والعرش في كلام العرب: سرير الملك "(٦).

وقال ابن قتيبة"العلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف، وأشباهها"(٧).

وقال ابن أبي العز:" العرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس:﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾"(٨).

وبهذا يتبين أن أقوال علماء اللغة تفسر بعضها بعضا في مرادهم من السرير الذي يطلق عليه العرش في كلام العرب، فإذا قال بعضهم "العرش السرير" فمقصودهم من ذلك: السرير الذي للملك، كما هو واضح من كلامهم. ويتبين مما سبق أيضا أن العرب لاتسمي

---

(١) الحجلة: كالقبة موضع يزين بالثيات والستور للعروس القاموس (ص: ٩٨٢).

(٢) أصل النَّضد ما نُضد من الثياب بعضه على بعض، وجعل بعضه فوق بعض، وإنما سمي السرير نضدا لأن النضد يكون عليه وقد يسمى الشيء باسم غيره إذا كان معه أو بسببه. انظر: العين (٧/ ٢٣) غريب الحديث لابن قتيبة(١/ ٤٣٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٢/ ٥٤٤). مقاييس اللغة(٥/ ٤٣٩).

(٣) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي(١/ ١٧٢).

(٤) كتاب العين (١/ ٢٩١).

(٥) هو أبو منصور: محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري الهروي، إمام من أئمة في اللغة والأدب والفقه، نسبته إلى جده " الأزهر " وهو صاحب تهذيب اللغة ، ولد في سنة ٢٨٢هـ وتوفي في سنة ٣٧٠ مولده ووفاته في هراة بخراسان. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٣٧) ، تاريخ الإسلام (٨/ ٣٢٥)،سير أعلام النبلاء(١٦/ ٣١٥).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٢٦٣).

(٧) الاختلاف في اللفظ (ص:٤٧).

(٨) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٦٦).

كل سرير عرشا، وإنما العرش السرير الرفيع الخاص بالملك،قال الخليل بن أحمد: " العرش " السرير وكل سرير للملك يسمى "عرشا"[١].

وقال ابن عطية[٢]: "العرش: سرير الملك وكل ما عرش فهو عريش وعرش وخصصت اللغة العرش لسرير الملك" [٣]وعلم من هذا أن سبب تسمية سرير الملك عرشا هو علوه وارتفاعه على غيره كما قال الراغب الأصفهاني[٤] :

"وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه "[٥]. وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : "إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه"[٦]، "والاشتقاق يشهد لهذا كقوله ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾[٧]. وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾[٨]، ومقعد الملك يكون أعلى من غيره.

فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه وبالنسبة إلى ما فوقه هو دونه"[٩]،وكما هو معلوم أن السرير الذي يختص به الملك سيكون سريرا عظيما فخما لا نظير له[١]، ولأجل هذا الارتفاع والعلو سمي العرش عرشا.

---

(١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٢٨).

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية، الإمام الكبير، قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي، الغرناطي، القاضي. توفي في سنة ٥٤١ هـ . انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ٣٨٩)، تاريخ الإسلام (١١/ ٧٨٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٣/ ٢٨٨)، وانظر:مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين(٨/ ٣١٧).

(٤) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، صاحب التصانيف الكثيرة، قال الذهبي كان من أذكياء المتكلمين توفي في سنة ٥٠٢. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٢٠).

(٥) المفردات في غريب القرآن (١/ ٥٥٨).

(٦) تفسيرابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٧،٦/ ١٩١٩).

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧ .

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٤١ .

(٩) مجموع الفتاوى(١٦/ ٤٠٢).

وجاء إطلاق العرش على سرير الملك في القرآن والسنة موافقا لما جاء في استعمالات العرب لهذه الكلمة،وفيما يأتي توضيح ذلك وبيانه.

أولا: إطلاق العرش على السرير في القرآن الكريم:

جاءت كلمة العرش مرادا بها سرير الملك في موضعين من القرآن الكريم .

الموضع الأول: في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ في أربع آيات:

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾[٢].

الآية الثانية:قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾[٣].

الآية الثالثة والرابعة:قوله تعالى:﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾[٤] .

والمراد بالعرش في هذه الآيات سرير الملك كما هو واضح، فقد قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ ﴾فأخبر أن هذه المرأة كانت ملكة قومها، ثم بين سبحانه في قوله : ﴿ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ أنه كان لهذه المرأةعرش عظيم،فدل ذلك على أن العرش المقصود به إنما كان سرير ملكها.

قال ابن عباس، في قوله: ﴿ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾[٥]، " أي سرير كريم، حسن الصنعة، قال: وعرشها: سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ."[٦].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين(٨/ ٣١٧).

(٢) سورة النمل ، الآية: ٢٣ .

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٨ .

(٤) سورة النمل، الآية: ٤١ ،٤٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ٢٣.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧).

وقد أطال المفسرون في وصف عظمة عرش بلقيس[١]، ولكن المقصود بيان أن العرش في اللغة يعني السرير الذي يجلس عليه الملك كما يقول ابن كثير في هذه الآية:"يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ"[٢].

والآيات تحكي عن قصة نبي الله سليمان مع بلقيس حيث أمر جنوده أن يأتوا بعرشها وأن يغيروا معالمه بالزيادة والنقصان؛ اختبارا لها قبل مجيئها،هل تهتدي في معرفة سرير ملكها أم تنخدع في هذه التغييرات التي أحدثت بعدها في هذا السرير، فلما سئلت عنه بصيغة التشبيه، أجابت بصيغة التشبيه على ما ذكره المفسرون في هذه الآيات وليس هذا البحث موضع تفصيله.

والمقصود هنا بيان أن هذا العرش الوارد ذكره في هذه الآيات هو السرير الذي كانت تجلس عليه هذه الملكة، سواء قيل مجلسها أو قيل سريرها أو قيل كرسيها[٣].

الموضع الثاني:في قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع أبويه في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[٤]، والمراد بالعرش هاهنا سرير الملك الذي كان يجلس عليه يوسف عليه السلام، كما قال ابن عباس ﷺ، ومجاهد، وغير واحد من المفسرين في قوله:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾أي: أجلسهما معه على سريره[٥].

وقال السعدي في قوله : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾أي: على سرير الملك،ومجلس العزيز[٦]. وكان نبي الله يوسف عليه السلام ملكا كما قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[٧].

---

(١)انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧)، تفسير القرطبي (١٣/ ١٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير(٦/ ١٨٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧)، تفسير القرطبي (١٩/ ٤٦٢).

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٥) تفسير ابن كثير(٤/ ٤١٢).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٤٠٥).

(٧) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

هذا وقد اتفق أصحاب التفاسير على أن المراد بالعرش هو سرير الملك كما سبق بيانه في الآيات التي ورد فيها العرش مضافا إلى ملوك البشر ، وأما الآيات التي ورد فيها العرش مضافا إلى الله عز وجل خالق البشر فكثيرة جدا وسيأتي تفصيلها في المباحث اللاحقة إن شاء الله تعالى.

ثانيا: إطلاق العرش على سرير الملك في السنة النبوية.

لما كان العرش عبارة عما يجلس عليه ويتخذه عظيم كل أمة ورئيس كل قوم ومدبر شؤونهم وراعي أحوالهم، وكان هذا المنصب يستدعي التفرد والتميز عن أفراد جنسه، سموا ذلك المجلس الخاص بالملك عرشا تمييزا عن غيره من المجالس، وعلى هذا المعنى جاء إطلاق العرش على الكرسي الذي جلس عليه جبريل عليه السلام لما كان يتنزل بالوحي على النبي ﷺ.

وأطلق العرش أيضا على الكرسي الذي يجلس عليه إبليس الذي هو رأس الشياطين حين يبعث سراياه لإغواء البشر، وكذلك جاء إطلاق العرش على السرير الذي يجلس عليه عظيم كل قوم من عظماء البشر من الرؤساء والملوك.

فصار العرش في عرف العرب عبارة عن مجالس العظماء والرؤساء والملوك، من الملائكة والإنس والجان.وأقر الشارع هذا العرف، كما سبق بيانه في الآيات السابقة، وكما سيأتي توضيحه في مواضع من السنة النبوية.

الموضع الأول: حديث أبي سلمة ﷺ في بدء الوحي:"أن رسول الله ﷺ قال جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا وأنزل علي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾[1]"[2].

وفي لفظ:" فرفعت رأسي فإذا هو قاعد على عرش في الهواء"[3].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ١ -٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٦٢) ،(كتاب التفسير/ سورة المدثر)، ورقمه : (٤٩٢٤)،ورواه مسلم في صحيحه(١/ ٩٩)، (كتاب الإيمان/ باب بدء الوحي)، ورقمه: (١٦١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(١/ ٩٩) (كتاب الإيمان / باب بدء الوحي)، ورقمه: (١٦١).

وفي لفظ:"فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض"[١].

فهذا الكرسي الذي جلس عليه جبريل عليه السلام الذي هو عظيم من عظماء الملائكة سماه الرسول ﷺعرشا، وهو ﷺ أفصح من نطق بالضاد، فدل ذلك على أن العرش في عرف العرب عبارة عن السرير الذي يجلس عليه العظماء.

فقوله في هذه الرواية "على كرسي" هو تفسير لما جاء في الرواية الأخرى "على عرش"، ولا تفاوت بينهما إذ المقصود ما يجلس عليه وقت العظمة[٢]

الموضع الثاني: حديث جابر ﷺ عنه، قال سمعت النبي ﷺ يقول "إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة"[٣]

وفي لفظ"إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه...."[٤].

الموضع الثالث: حديث أبي سعيد ﷺ، قال :" لقيه[٥] رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ فقال هو : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ما ترى ؟ قال : أرى عرشا على الماء ، فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر ، وما ترى ؟ قال : أرى صادقين وكاذبا ، أو كاذبين وصادقا ، فقال رسول الله ﷺ: لبس عليه ، دعوه."[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١١٦)، (كتاب بدء الوحي/ باب إذاقال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر لها تقدم من ذنبه)، ورقمه : (٣٢٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٩٨) ،(كتاب الإيمان/ باب بدء الوحي إلى رسول ﷺ)، ورقمه : (١٦١).

(٢) انظر في عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١/ ٦٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٨/ ١٣٨) ، (كتاب الفتن/ باب عرش إبليس وبعثه سراياه)،ورقمه:(٢٨١٣).

(٤).رواه مسلم في صحيحه (٨/ ١٣٨) ، (كتاب الفتن/ باب عرش إبليس وبعثه سراياه)،ورقمه:(٢٨١٣).

(٥) يعني ابن صياد:وهو عبد الله بن صائد. وهو الذي يقال له: ابن صياد.كان أبوه من اليهود ولا يدري من أي قبيلة هو وهو الذي يقال: إنه الدجال ولد على عهد رسول الله ﷺ أعور مختونا. انظر: الطبقات الكبير لابن سعد (٦/ ٥٦٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٨٠).

(٦) رواه مسلم في صحيحه(٨/ ١٩٠) ،(كتاب الفتن/ باب ذكر ابن صياد)،ورقمه :(٢٩٢٥).

والمقصود بعرش إبليس سرير ملكه، كما قال النووي:" العرش هو سرير الملك ، ومعناه : أن مركزه البحر ، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض".[١]

وقال القرطبي قوله : "إن عرش إبليس على البحر" أي سريره ، يفعل ذلك تكثرا على جنوده وأحزابه ، وهذا هو العرش الذي رآه ابن صائد..."[٢].

ووجه الشاهد من الحديثين السابقين: أن المصطفى ﷺ سمى ذلك المجلس الذي رآه ابن صياد عرشا لإبليس الذي هو رأس الشياطين وكبيرهم وعظيمهم،فدل ذلك على أن العرش عبارة عن المجلس الذي يجلس عليه عظيم كل جنس، بغض النظر عن طوعه وعصيانه.

ومن تأمل في الآيات والأحاديث التي ورد فيها العرش، وتأمل في أقوال العلماء المتقدمة في العرش يجد أنهم يفسرونه بعبارات مختلفة الألفاظ متقاربة المعاني، فقالوا: هو سرير الملك، وقالوا :هو كرسي الملك ، وقالوا: هو مجلس الملك. وهذا اختلاف لفظي و المعنى واحد وهو ما يجلس عليه وقت العظمة، ولا تفاوت فيها بحسب المقصود.

ثانيا:إطلاق العرش على الملك :

قال الأزهري :"العرش : الملك بالضم ، يقال" ثل عرشه" ، أي زال ملكه وعزّه[٣] .

قال زهير[٤] :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها ... وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل[٥]

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١٥٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم(٧/ ٣١٠).

(٣) تهذيب اللغة للأزهر ي (١/ ٢٦٤).

(٤) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات العشرة توفي سنة ١٣ قبل الهجرة. انظر:جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٢٠١).

(٥)ديوان زهير بن أبي سلمى (ص: ٨٦)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهر ي (١/ ٢٦٤).

وقال ابن الأعرابِي[١]:

" العرش : الملك ، بضم المِيم ، وهو كناية."[٢]يعني" أنه كنى به عن العز والسلطان والمملكة"[٣].

والعلاقة بينهما أن العرش من لوازم الملك فهو من باب تعبير المحل وإرادة الحال، والأصل فيه: أن الأسرة كانت للملوك. فإِذا ثل عرش الملك فقد ذهب عزه أو هلك[٤].

وهذا المعنى اللغوي للعرش لم يرد في ظاهر نصوص الكتاب والسنة ، بل الوارد فيهما هو المعنى الأول، من كون العرش سريرا للملك كما تضافرت به النصوص المتقدمة.

ثالثا:إطلاق العرش على قوام أمر الرجل.

قال الخليل:" عرش الرجل : قوام أمره ، فإذا زال قوام أمره قيل: ثُلَّ عرشه"[٥] .

وقال الجوهري[٦]" العرش العز وقوام الأمر ومنه: ثُلَّ عرشه".[٧]، وقال الزبيدي[١]: " قوام الأمرِ يسمى عرشا.ومنه قولهم: ثُلَّ عرشه ، أي عدم ما هو عليه من قوام أمره ، وقيل : وهي أمره ، وقيل: ذهب عزه "[٢].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الكوفي، الأحول، النسابة، إمام اللغة، ولد في الكوفة سنة ١٥٠هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٣١هـ. تاريخ بغداد (٣/ ٢٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧)،

(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي(١٧/ ١٣١).

(٣) المفردات في غريب القرآن١/ ٥٥٨).

(٤) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١٣).

(٥) العين (١/ ٢٤٩)،تهذيب اللغة للأزهري(١/ ٢٦٥).

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي التركي، إمام لغويّ، وكان يضرب به المثل في حفظ اللغة، وحسن الكتابة ، أول من حاول الطيران وكان ذلك سبب موته، توفي في سنة ٣٩٣هـ، أشهر كتبه: "الصحاح في اللغة"، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠)، تاريخ الإسلام (٨/ ٧٢٤).

(٧) الصحاح للجوهري (٣/ ١٠١٠).

رابعا: إطلاق العرش على رئيس القوم.

قد يسمى رئيس القوم المدبر لأمرهم عرشا لعنايته بهم وقيامه بتدبير أمورهم فكأنه أحاطهم وأظلهم كما يحيط عرش البيت بمن فيه ،كما ذكر الفيروز آبادي[٣]: أن العرش من القوم رئيسهم المدبر لأمرهم.[٤].

قال الزبيدي:" والعرش من القوم : رئيسهم المدبّر لأمرهم ، على التّشبيه بعرش البيت، وبه فسّر قول الخنساء[٥] :

كان أبو حسّان عرشا خوى[٦] ... مما بناه الدّهر دان ظليل

أي كان يظلنا بتدبيره في أموره "[٧].

خامسا: إطلاق العرش على قصر الملك :

ومن معاني كلمة العرش تسمية القصر عرشا.[٨]كما قال الزبيدي:" والعرش : القصر"[٩]، والعلاقة بين القصور والملوك بينة ظاهرة لأن القصور من منازل الملوك فصار لازما من

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، أصله من العراق ومنشؤه في الزبيد بلدة في اليمن واشتهر بنسبته إليها. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٧٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (١٧/ ٢٥١)،، وقوله: "ثل عرشي". مثل يضرب للرجل إذا ذل وهلك. يقال ثللت الشيء إذا هدمته وكسرته. وأثللته إذا أمرت بإصلاحه".غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١٣).

(٣)محمد بن يعقوب بن محمد ، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، صاحب القاموس، من أئمة اللغة والأدب. كان مولده في سنة ٧٢٩هـ، وتوفي سنة ٨١٧هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٦).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص: ٥٩٧).

(٥) تماضر بنت عمرو بن الشّريد بن ثعلبة، صحابية جليلة، وشاعرة مشهورة،. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ١٠٩).

(٦)وخَوَى البيتُ إذا انهدم انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٢٥١).

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس(١٧/ ١٣١).

(٨) انظر: القاموس المحيط (٢/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٩) تاج العروس من جواهر القاموس(١٧/ ١٣١).

لوازمهم، فتلك خمس معان معلومات أطلقت العرب على العرش مما له علاقة بالملك والرئاسة. وقد راعيت في ترتيبها حسب كثرة استعمالها وندرته.

القسم الثاني : ما دل على البناء والمأوى وما يتعلق به.

تنوع إطلاق العرب العرش على المباني وما يتعلق به من أجزائه وأشباهه، فتارة يطلقون العرش على أجزاء من البيت كالسقف والركن ،وتارة على البيت كله، وتارة على ما له شبه من البيت كالسقيفة والمظلة وتارة يطلقونه على عش الطائر ومأواه.وتارة على الخشبة التي يطوى بها البئر،وفيما يأتي تفصيل ذلك وتوضيحه.

أولا:تسمية سقف البيت عرشا.

أما تسمية سقف البيت عرشا فهو مشهور عند فصحاء العرب وذكره غير واحد من علماء اللغة، كما أن له ورودا في نصوص الشرع. كما قال الجوهري:" وعرش البيت: سقفه"[١].

وقال الزبيدي:"والعرش من البيت : سقفه ، ومنه حديث :"أو كالقنديل المعلق بالعرش."[٢].

وعن أم هانِئ رضي الله عنها قالت :" كنت أسمع قراءة النبيّ ﷺ بالليل وأنا على عرْشِي"[٣]. أي سقف بيتي[٤].

قال البغوي:"العريش والعرش : السقف ، وقد قيل للنبي ﷺ: ألا نبني لك عريشا ؟ فالمراد منه : ما يستظل به ، وسميت بيوت مكة عروشا ، لأنها عيدان تنصب وتظلل".[٥]

---

(١) الصحاح للجوهري(٣/ ١٠٠٩).

(٢) هو جزء من حديث النفخ في الصور الطويل الذي أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٨٥-٩٥)، ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٠) وأبو الشيخ في العظمة(٣/ ٨٢١-٨٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٥/ ٢٦٦-٢٧٧). وضعفه ابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٣٦٨)، والألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص:٢٥٦).

(٣) رواه النسائي في المجتبى (٢/ ١٧٨)، (كتاب الاستفتاح /باب رفع الصوت بالقرآن) ورقمه: (١٠١٣)، وابن ماجه في سننه (٢/ ٣٧٢)، (كتاب الصلاة،باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل)ورقمه:(١٣٤٩) وحسنه الإمام الألباني. انظر: أصل صفة صلاةالنبيﷺ(٢/ ٤٢٢).

(٤) انظر: لسان العرب (٦/ ٣١٣)،

(٥) شرح السنة للإمام البغوي (٤/ ٣٠).

وبه فسر قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[١]، أي صارت على سقوفها كما قال عز من قائل: ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[٢]، أراد أن حيطانها قائمة، وقد تهدمت سقوفها، فصارت في قرارها ، وانقعرت الحيطان من قواعدها، فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها ، ومعنى الخاوية والمنقعرة واحد ، وهي المنقلعة من أصولها .

وجعل بعضهم على بمعنى عن ، وقال : أي خاوية عن عروشها لتهدمها ، وعروشها : سقوفها ، يعني سقط بعضها على بعض وأصل ذلك أن يسقط السقف ، ثم تسقط الحيطان عليها[٣]

ثانيا:تسمية بيوت أهل الحاجة عروشا.

والعرش أيضا: البيت ينصب من العيدان ويظلل وجمعها عروش.[٤] كما قال الجوهري:"العرش والعريش: ما يستظل به."[٥]. ومنه حديث :"وكان المسجد عريشا"[٦] والعريش هو ما يستظل به كعريش الكرم . وكان المسجد على تلك الهيئة فكان مظللاً بجريد ولم يكن له سقف يكنّ الناس من المطر.قال الزبيدي:" العرش : البيت الذي يستظل به ، كالعريش ، ومنه الحديث قيل لرسول الله ﷺ يوم بدر : ألا نبني لك عريشا تستظل به ، فقال : بل عرش كعرش موسى[٧][٨].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٤.

(٣) انظر:تهذيب اللغة (١ / ٢٦٤) :،تاج العروس من جواهر القاموس (١٧/ ١٣٠)، تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٩-٥٩١)، تفسير البغوي (٥/ ٣٩٠)، تفسير ابن كثير(٥/ ٤٣٨).

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١٣).

(٥) الصحاح للجوهري (٣/ ١٠١٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٣/ ٥٠)،(كتاب الاعتكاف/ باب خروج النبي ﷺ من المعتكف) ورقمه: (٢٠٤٠).

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٢/ ٤٣٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة،رقم:(٦١٦).

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس(٤/ ١٣١). وقد سئل الحسن البصري عن عريش موسى عليه السلام : قيل له وما عريش موسى؟ قال إذا رفع يده بلغ العريش: يعني السقف، انظر: جامع العلوم والحكم(١/ ١٤٣).

وقال البغوي: "العريش والعرش : السقف ، وقد قيل للنبي ﷺ: ألا نبني لك عريشا فالمراد منه : ما يستظل به ، وسميت بيوت مكة عروشا ، لأنها عيدان تنصب وتظلل"(١).

والفرق بين العرش والعريش في المبنى لا في المعنى، فالبيت يسمى عرشا وعريشا،وجمع العرش عروش، وجمع العريش عُرش بضم العين والراء .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام(٢):"سميت بيوت مكة عُرُشًا بضم العين والراء لأنها عيدان تنصب ويظلل عليها و قد يقال لها أيضا عروش ومنه حديث ابن عمر: أنه كان يقطع التلبية في العمرة إذا نظر إلى عروش مكة(٣). فمن قال: عُرُشٌ: فواحدها عريش وجمعه عرش مثل قليب وقلب وسبيل وسبل وطريق وطرق ومن قال: عروش فواحدها عَرْشٌ وجمعه عروش مثل فلس وفلوس وسرج وسروج."(٤)

ومنه تسمية الخيمة والمظلة عرشا.

فالعرش عندهم في هذا الإطلاق، شبه بيت من جريد يجعل فوقه الثمام(٥) والجمع عروش مثل فلس وفلوس (٦)، قال الأزهري:"..وقدرأيت العرب تسمي المَظالّ التي تسوى من جريد النخل ويطرح فوقها الثُّمام عروشا ، والواحد منها عريش ، ثم يجمع عُرُشا ، ثم عروشا جمع الجمع .

وقال الزبيدي: "والعرش : الخيمة من خشب وثمام"(٧)،

(١) شرح السنة للبغوي (٤/ ٣٠).

(٢) القاسم بن سلّام بن عبد الله، الإمام أبو عبيد البغدادي الفقيه الأديب، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات والفقه واللغات والشعر. توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، تاريخ الإسلام(٥/ ٦٥٤).

(٣)أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٠٥)، وأبو عوانة في مستخرجه (٢/ ٢٧٨).

(٤) غريب الحديث للقاسم بن سلام(٤/ ٢١)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري(١/ ٢٦٤).

(٥) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشي به وسد به خصاص البيوت، الواحدة ثمامة، وبه سمي الرجل ثمامة. وقيل: ما كسر من أغصان الشجر فوضع نضدا للثياب ونحوه، وإذا يبس فهو الثمام انظر: العين (٨/ ٢١٨)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٨١).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(٢/ ٥٤٩-٥٥٠).

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس(١٧/ ١٣٠).

وقال أيضا:" والعرش: المظلة ، وأكثر ما يكون من قصب ، وقد تسوى من جريد النخل ، ويطرح فوقها الثمام ، كما نقله الأزهري عن العرب"(١).

فهذه البيوت الصغيرة المصنوعة من القصب والخشب والجريد والتي تسمى مظلة أو خيمة أو غير ذلك مما يتخذه أهل الحاجة من أهل القرى ولم يكن بناء مشيدا تسمى عروشا عند العرب ، والمقصود هنا أن البيوت المسماة عروشا هي بيوت أهل الحاجة، سواء كانت خياما أو مظالا أو غير ذلك.

ثالثا: تسمية عش الطائر ومأواه عرشا.

ووكر الطائر وعشه الذي يأوي إليه ويضع فيها أفراخه تسميه العرب عرشا كما قال الزبيدي: "والعرش للطائر : عشه الذي يأوي إليه"(٢)

رابعا: تسمية الخشب الذي يبنى به البئر عرشا.

والخشب الذي تسميه العرب عرشا نوعان:

النوع الأول :الخشب الذي يطوى البئر : يقال بئر معروشة وهي التي تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة، ثم يطوى سائرها بالخشب وحده، فلذلك الخشب هو العرش، يقال منه عرشت البئر أعرشها.فإذا كانت كلها بالحجارة: فهي مطوية وليست بمعروشة(٣)

قال الجوهري: "وعرش البئر: طيّها بالخشب بعد أن يطوى أسفلها بالحجارة قدر قامة. فذلك الخشب هو العرش؛ والجمع عروش. "(٤)

النوع الثاني:الخشب الذي يقوم عليه المستقي:

قال الزبيدي: "العرش: الخشب الذي يقوم عليه المستقي، وهو بناء يبنى من خشب على رأس البئر يكون ظلالا، فإذا نزعت القوائم سقطت العروش "(٥).

خامسا:تسمية مكة عرشا.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس(١٧/ ١٣١).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري(١/ ٢٦٥).

(٤) الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس (١٧/ ٢٥٤)، وانظر: الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

لما كان العرش في عرف العرب اسما يقع على البيوت والخيام والمظال، والبناء عموما، وكانت أكثر مساكن مكة عروشا متخذة من القصب والخشب وجريد النخل،أطلقوا على مكة كلها اسم العرش .

وفي هذا يقول القرطبي:"العرش اسم لمكة"[١].وذكر الفيروز آبادي : أن العرش بضم العين وفتحه اسم لمكة أو بيوتها،وبين ذلك عند ذكره لمعاني العرش فقال:العرش بالضم"مكة، أو بيوتها القديمة، ويفتح، أو بالفتح: مكة،كالعريش، وبالضم: بيوتها،كالعروش"[٢].

القسم الثالث:إطلاق كلمة العرش على أشياء أخرى مرتفعة.

تبين مما سبق إطلاقات العرب كلمة العرش على الملك والمباني وما يتعلق بهما من المعاني، وقد ورد أيضا إطلاقهم العرش على معان أخر كـإطلاقهم إياه على بعض النجوم المتناهية في الارتفاع، وكذلك المكان المرتفع من ظهر القدم، كما سيأتي توضيحه:

أولا: تسمية بعض النجوم عرشا.

ويطلق العرش :على كواكب قُدّام السِّماك الأعْزَل[٣].كما قال الجوهري : "هي أربعة كواكب صغار ، أسفل من العَوّاء ، ويقال لها : عَرْشُ السماك ، وعجز الأسد "[٤].وهي على صورة النَّعش[٥]. وقيل: عرش الثُّريا : كواكب قريبة منها[٦].

ثانيا:تسمية ظهر القدم عرشا.

عرش القدم هو العظم الناتئ فوق ظهر القدم كما قال الجوهري:" وعرش القدم: ما نتأ في ظهرها وفي الأصابع"[٧]. وحدده الخليل بالوصف،فقال:"والعَرْش في القدم ما بين الحمار

---

(١) تفسير القرطبي(٧/ ٢٢٠).

(٢) القاموس المحيط(ص:٥٩٧)،وانظر:كتاب العين(١/ ٢٥٠).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس(١٧/ ١٣١).

(٤) الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس(٤/ ٢٦٦)، وانظر: الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري(١/ ٢٦٥) وانظر الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

(٧) الصحاح للجوهري(٣/ ١٠١٠).

والأصابع من ظهر القدم. والحمار : ما ارتفع من ظهر القدم وجمعه : عِرَشَةٌ وأعراش"[١].وقد يقال عُرْشُ القدم بضم العين[٢].

ومن خلال ما تقدم من استعمال العرب لكلمة العرش يظهر جليا أنهم لايطلقونها إلا على شيء مرتفع، وهذا الارتفاع بحسب جنسه كالسقوف، وأسرة الملوك، وأوكار الطيور، وكذلك بعض النجوم المرتفعة، فلما كان العرش لا يطلق في اللغة إلا على الشيء المرتفع كان عرش الرحمن أرفع المخلوقات وأعلاها كما سيأتي.

---

(١) كتاب العين(١/ ٢٥٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس(١/ ١٣١).

المطلب الثاني

تعريف العرش شرعا

اتفقت الرسل والأمم على أن هذا العرش المضاف إلى الله عز وجل الوارد في القرآن والسنة هو سرير ملكه كما ينبغي لجلال عزه وعظيم سلطانه(١)، وقرر علماء اللغة والتفسير على أن هذا العرش سرير خلقه الله عز وجل فوق السماء السابعة تحمله الملائكة،والله فوقه كما وصف نفسه بائن من خلقه، وفي هذا يقول ابن قتيبة :" وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها."(٢).

ويقول البيهقي: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مجسم (٣)، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة "(٤)

وقد تفاوتت أقوال العلماء في ذكر أوصاف العرش الواردة في النصوص ،فبعضهم يقتصر بذكر وصف واحد من أوصافه، وبعضهم يذكر وصفين، وبعضهم يذكر ثلاثا وهكذا.فأكثرهم ذكرا لأوصافه يكون أتمهم بيانا لمقصود الشارع منه،ومن ثم يقع الاختيار عليه فيكون تعريفا للعرش، لكونه جمع أكثر أوصاف العرش الواردة في الكتاب والسنة.

وقد تقاربت ألفاظ أهل السنة والجماعة وعباراتهم في ذكر هذه الأوصاف فمن ذلك ما يأتي:

أولا: أن العرش هو سرير فوق السماء السابعة تحمله الملائكة والله فوقه كما وصف نفسه بائن من خلقه.

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/ ١٩٥)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٣٥).

(٢) الاختلاف في اللفظ (ص/ ٤٧).

(٣) المراد من قوله"جسم مجسم" أي أن له ذاتًا وليس شيئا معنويًّا، بل هو حسي.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٧٢)، وانظر:تفسيرالقرطبي (١٥/ ٢٩٤)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٥)، عمدة القاريشرح صحيح البخاري (٢٥/ ١١١).

وهذا ما بينه أبو سعيد الدارمي في معرض رده على الجهمية حيث قال لهم:"أتقرون أن لله عرشا معلوما موصوفا فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوق كما وصف نفسه، بائن من خلقه"قال: فأبى أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب، وخلط ولم يصرح"(١).

ثانيا:أن العرش هو السرير المحيط بما دونه من المخلوقات.

وبه عرفه ابن جرير الطبري حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾(٢)يقول:" ذو السّرير المحيط بما دونه"(٣).

ثالثا: أن العرش : هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات.

وبه عرفه ابن كثير حيث قال:" فإن العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾(٤)، وليس هو فلكا، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات."(٥)وكذلك ابن أبي العز(٦) والعيني(٧).

رابعا:أن العرش هو مخلوق عظيم فوق جميع المخلوقات،وهو محيط بالكون كله.

عرفه به ابن عثيمين رحمه الله تعالى حيث قال:"أما العرش فهو ذلك المخلوق العظيم الذي فوق جميع المخلوقات، واختصه تعالى لنفسه،وهو محيط بالكون كله"(٨).

وأحسن هذه التعريفات هو ما اختاره ابن كثير وابن أبي العز وغيرهما،لكونه اشتمل أكثر أوصاف العرش الواردة في الكتاب والسنة، إلا أنهم لم يذكروا فيه استواء الله عليه. ويضاف إليه هذا القيد لأنه من أهم ما اختص به العرش من بين سائر المخلوقات.

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي(ص:٣٢).

(٢) سورة البروج، الآية:١٥.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٣).

(٤) سورة النمل، الآية: ٢٣.

(٥) البداية والنهاية(١/ ٢٠).

(٦) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص:٢٧٨).

(٧) شرح سنن أبي داود للعيني(٦/ ٢٤).

(٨)شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٣٥).

فالعرش: سرير ذوقوائم خلقه الله تعالى، واستوى عليه وأمر الملائكة بحمله وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات[١].

وستأتي أدلة صفات العرش المذكورة في هذا التعريف، وكذلك ما يتعلق بها من شرح وبيان في المباحث اللاحقة .

وأما أقوال المخالفين في تعريف العرش.

فإنه لما تبين فيما سبق مذهب أهل السنة والجماعة، وأنهم يثبتون أن لله عرشا،ويثبتون أن الله قد استوى عليه، ويثبتون أيضا كل ما ورد في صفة العرش. كان من اللازم بيان ما ذهب إليه المخالفون لأهل السنة في العرش، ليثبت الحق ويبطل الباطل، وهم عدة طوائف، ولهم في تعريفه مذاهب شتى، فمنهم من أنكر أمر العرش ومنهم من أوّله بتأويلات باطلة، كقول من يقول: العرش هو عبارة عن الملك ، أو يقول: العرش هو الكرسي وأنه لا فرق بينهما، أو يقول: العرش هو الفلك التاسع، أو يقول: غير ذلك مما ليس له دليل من العقل والنقل[٢] .

وفيما يأتي بيان **لمذهب المنكرين لوجود العرش**،وهم طائفة من الجهمية ومن نحى نحوهم من المعتزلة [٣]والأشاعرة وغيرهم.

أما الجهمية فقد أنكروا وجود العرش وقالوا :إن العرش عبارة عن المخلوقات كلها،وليس هناك شيء اسمه عرش،بل إن الله "لما خلق السماوات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشا له،واستوى على جميع ذلك كله"[٤].

---

(١) انظر:مباحث العقيدةفي سورة الزمر (ص: ٧٠٤).

(٢) انظر:شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٦)، شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦١)، مقدمة التميمي لكتاب العرش للذهبي (١/ ٢٨٣).

(٣)والمعتزلة: هم اتباع عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة. ثم اختلفوا عدة فرق وطوائف شتى. انظر: الفرق بين الفرق (ص:٩٣) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩١).

(٤) انظر: كتاب الرد على الجهمية للدارمي (ص:٣٢).

وأصرح منه في إنكاره ما بيَّن غير واحد من علماء السلف أن الجهمية لا يقرون أن لله عرشا، فقد بوَّب الدارمي بابا في كتابه الرد على الجهمية فقال :"باب الإيمان بالعرش وهوأحد ما أنكرته المعطلة"(١)، وبين فيه أن الجهمية ينكرون العرش.

وقال ابن أبي شيبة في بيان مذهب الجهمية في العرش : "ذكروا أن الجهمية يقولون: أن ليس بين الله ـ عز وجل ـ وبين خلقه حجاب وأنكروا العرش.."(٢).

وقال أبو بكر الخلال في معرض كلامه عن الجهمية:"...فإنهم ينكرون أمر العرش، ويقولون: العرش عظمة"(٣)، وقال ابن بطة العكبري: "اعلموا رحمكم الله أن الجهمية تجحد أن لله عرشا"(٤).

وقارب الجهمية في ذلك طائفة من المعتزلة والأشاعرة فقالوا : " إنَّ العرش هو عبارة عن الملك ولكن عبَّر عن الملك بالعرش لتلازمهما، فكما أن لملوك الأرض عرشاً يجلسون عليه فإنَّ الله جعل لنفسه عرشاً، وهذا العرش هو مُلْكه."(٥)

وعلى هذا فإنه لا فرق بين قول الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في العرش؛ لأن الجهمية قالوا: العرش عبارة عن مخلوقات الله تعالى، والمعتزلة والأشاعرة يقولون: العرش عبارة عن ملك الله تعالى، وملكوت الله هي مخلوقاته، فتبين من ذلك أنه لا فرق بين قولهم في العرش. وقد صرح بذلك فخر الدين الرازي(٦) فقال: "الحاصل أن العرش عبارة عن الملك ، وملك

---

(١) كتاب الرد على الجهمية للدارمي (ص:٣٢).

(٢) العرش وما روي فيه (ص :٢٧١).

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (١/ ٢٢٣).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الثالث (٣/ ١٦٨).

(٥) انظر:شرح الأصول الخمسة(ص:٢٢٧)، مفاتيح الغيب (١٧/ ١٩٢)، أصول الدين(ص:١١٣-١١٤).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري،المتوفى في سنة ٦٠٦هـ،كان إماما من أئمة الأشاعرة،ثم تاب بعد ذلك ورجع عن مذهبه، وكتابه مفاتيح الغيب من مؤلفاته قبل رجوعه.انظر:طبقات الشافعيةالكبرى للسبكي (٨/ ٨١)، وانظر قصة رجوعه عن مذهبه: درء تعارض العقل النقل (١/ ١٦٠)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٤٤).

الله تعالى عبارة عن وجود مخلوقاته، ووجود مخلوقاته إنما حصل بعد تخليق السموات والأرض"[١].

والمقصود هنا بيان أن كل هذه الأقوال مؤداها واحد، وهو إنكار عرش الرحمن الذي ورد وصفه في القرآن والسنة أنه فوق السّماء السّابعة، تحمله الملائكة، والله فوقه كما وصف نفسه، بائن من خلقه.

بيان بطلان قول المعطلة في تفسيرهم العرش بالمخلوقات.

هذا القول باطل ومردودمن عدة أوجه:

الوجه الأول:أن وجود العرش شيء متفق عليه بين الأمم، حتى الجاهلية كانوا يعرفونه ويثبتونه لله عز وجل كما قال الشاعر الجاهلي: أمية ابن أبي الصلت.

فسبحان من لا يقدر الخلق ... ومن هو فوق العرش فرد

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنوا الوجوه وتسجد[٢]

قال أبو سعيد الدارمي: " وما ظننا أنا نضطر، إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله،فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا."[٣].

الوجه الثاني :أن النصوص الواردة في العرش وإثباته لله عز وجل أكثر من أن تحصى، وأظهر من أن تخفى، "فالقرآن مشحون بذكر العرش وكذلك الآثار بما يمتنع أن يكون المراد به الملك "[٤] والأدلة الشرعية وصفت العرش بأوصاف لا يمكن أن يتصف بها ملك الله عز وجل، "فإنَّ الملك لا يحمل، والملك ليس له قوائم، والملك ليس ثم ملائكة تدور حوله،

---

(١) مفاتيح الغيب (١٧/ ١٩٢).

(٢)شعراء النصرانية (٢/ ٢٢٨)، وانظر: الاستذكار (٢/ ٥٢٨)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٣)

(٣) كتاب الرد على الجهمية للدارمي (ص:٣٢)

(٤) العلو للعلي الغفار(ص:٧٠).

الملك لا يأتي يوم القيامة محمولا"[١] لأن الملك أمر معنوي وليس شيئا محسوسا حتى يتصف بهذه الأوصاف،وهذه الأوصاف كلها ثابتة للعرش كما سيأتي بيانه[٢].

قال أبو سعيد الدار مي في مناظرته للجهمية: "فقد كذبكم الله تعالى به في كتابه، وكذبكم به الرسول ﷺ. أرأيتم قولكم: إن عرشه سمواته وأرضه وجميع خلقه، فما تفسير قوله عندكم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٣].أحملة عرش الله، أم حملة خلقه؟ .

وقوله: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٤]. أيحملون السموات والأرض ومن فيهن، أم عرش الرحمن؟، فإنكم إن قلتم قولكم هذا، يلزمكم أن تقولوا: عرش ربك: خلق ربك أجمع، وتبطلون العرش الذي هو العرش، وهذا تفسير لا يشك أحد في بطوله واستحالته، وتكذيب بعرش الرحمن تبارك وتعالى"[٥].

الوجه الثالث: من جهة دلالة اللغة، فإن العرش من توابع الملك ولوازمه، وليس مرادفا له في الدلالة،[٦] قال ابن قتيبة :" وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها."[٧] وكون العرش يطلق على الملك عند العرب لا يدل على أنه مرادف له، بل غاية ما فيه أنه أحد معانيه "وقد سبق أن ذكرنا في المبحث اللغوي لكلمة "عرش" ، أن لهذه الكلمة عدة معان في اللغة العربية، ومن المعلوم أن معرفة المعنى المراد من تلك المعاني لهذه الكلمة أو غيرها، إنما يتحدد بحسب سياق الكلمة وبحسب ما أضيفت إليه. وليس في سياق الآيات ما يثبت صحة ما ذهبوا إليه، كما أن

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٣).

(٢) انظر:(ص: ١١٢)، و(ص: ١٥٤)، و(ص: ١٦٤) من البحث.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٥) كتاب الرد على الجهمية للدارمي (ص:٣٢)، وانظر:شرح صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٥٦٨)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٦٨)، فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٤٠٥).

(٦) انظر:شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٣).

(٧) الاختلاف في اللفظ (ص/ ٤٧).

ما استدل به هؤلاء المخالفون من الأبيات الشعرية[١] ليس إلا دليلا على أن الملك هو من المعاني اللغوية لكلمة "عرش"،وهذا أمر لا خلاف فيه...بل إن المتأمل للآيات والأحاديث الواردة في هذه المسألة يرى أنها تدل دلالة واضحة وصريحة على أن المراد بالعرش هو ذلك المخلوق العظيم الذي خلقه الله تعالى فوق العالم كله، ثم استوى عليه بعد أن خلق السموات والأرض، وكذلك ترد على هؤلاء المخالفين زعمهم الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف لكلام الله"[٢]

وفي هذا غنية في بيان بطلان قول المعطلة الذين أنكروا العرش وفسروه بعموم الخلائق، وأما قول من قال العرش هو الكرسي فسيأتي بطلانه عند الكلام عن الأقوال المخالفة للكرسي[٣]، وكذلك بطلان قول من قال العرش هو الفلك التاسع فإنه سيأتي عند الكلام عن كروية العرش[٤].

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص: ١١٢)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١٤)، روح البيان (١٠/ ٣٩٣).

(٢) انظر:مقدمة التميمي لكتاب العرش للذهبي (١/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٣) انظر:(ص:٣٨٧) من البحث.

(٤) انظر:(ص:١٠١) من البحث.

المبحث الثاني

أن العرش مخلوق وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة على أن العرش مخلوق .

المطلب الثاني : مسألة هل العرش أول المخلوقات ؟

المطلب الثالث : مسألة بقاء العرش ؟

تمهيد

إن معرفة الأمور الغيبية متوقفة على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، والخوض فيها بدون علم محرم كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١)؛ وذلك لكونه يؤدي إلى التقول على الله بلا علم، وهذا أمر منهي عنه ؛ بل هو من كبائر الذنوب كما قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

فلما كان ذلك كذلك وكان العرش من المخلوقات الغيبية التي لا تدرك أوصافها بمجرد الظنون والتخمين، ولم يكن فيه للعقل مجال ،وجب الاستناد إلى النصوص الشرعية في إثباته وكونه مخلوقا من مخلوقات الله تعالى؛لأن الأمور الغيبية لا يعلم إلا من طريق الشرع. وسيكون الكلام في بيان هذه المسألة في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :الأدلة على أن العرش مخلوق.

المطلب الثاني:مسألة هل العرش أول المخلوقات؟

المطلب الثالث:مسألة بقاء العرش.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

المطلب الأول

الأدلة على أن العرش مخلوق

تنوعت دلالات النصوص على كون العرش مخلوقا من مخلوقات الله تعالى،وفصلت في ذلك تفصيلا بينا لا يترك مجالا للشك والارتياب؛ حيث ورد فيها التنصيص على كون العرش مخلوقا مربوبا، وورد فيها أيضاكونه موصوفا بأوصاف لا يوصف بها إلا المخلوق،ككونه ذي قوائم، وكونه محمولا، وكونه كالقبة،وكونه سقفا لجميع المخلوقات، وكونه داخلا في عموم مخلوقات الله تعالى، وغير ذلك من الأوصاف التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله في الأقسام الثلاثة من أدلة الكتاب والسنة والإجماع .

القسم الأول: الأدلة من الكتاب الدالة على أن العرش مخلوق.

قبل أن أبدأ سوق الآيات التي دلت على خلق العرش، أود التنبيه على أن جميع الآيات التي ورد العرش في سياقها سيقت مساق دلالة الآيات الكونية على عظمة الله سبحانه،وأنه هو الواحد المتفرد بتوحيد الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات،وهو متصف بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال والكمال ، متنزه عن الأنداد وصفات النقص والأضداد، وهذه الأدلة على أنواع:

أولا:الآيات التي فيها وصف الله عز وجل بأنه رب العرش.

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١).

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٣) .

---

(١) سورة التوبة، الآية:١٢٩.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١) **الآية الخامسة**: قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾(٢). **الآية السادسة**: قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣).

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾(٤).

لما كانت مخلوقات الله عز وجل آيات باهرة دالة على وحدانيته وأنه هو المتفرد بالملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة،خص الذكر سبحانه بعظائم المخلوقات كالسموات والأرض لكونهما أدل على عظمته سبحانه، فهما من أكبر ما يشاهده البشر في عالم الشهادة،وخص الذكر بالعرش أيضا لكونه أعظم ما خلقه الله عز وجل،فهو رب العرش وغيره من المخلوقات وكل ما كان مربوبا فهو مخلوق.

ووجه دلالة الآيات على خلق العرش: أن الله سبحانه وتعالى أخبر في جميع هذه الآيات أنه رب هذا العرش العظيم، وهذا نص صريح في أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق، وهو سبحانه رب العالمين وكل ما سوى الله عالم والعرش واحد من ذلك العالم، فدلت هذه الآيات على أن العرش مخلوق من مخلوقاته.

ثانيا:الآيات التي ورد فيها وصف الله عز وجل بأنه ذو العرش.

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾(٥).

الآية الثانية:قوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾(٦).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾(٧).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(٦) سورة غافر، الآية : ١٥.

(٧) سورة التكوير، الآية:٢٠.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾(١).

فهذه أربع آيات تمدح الله عزوجل فيها بأنه ذو العرش،فأضاف العرش إلى نفسه بأداة "ذو"ولم يرد في القرآن مخلوق آخر أضافه الله إلى نفسه بهذه الأداة،مما يدل على أن العرش من خواص مخلوقاته التي اختص الله بها من بين سائر خلقه، ثم إن إضافة العرش إلى ذاته سبحانه تبين كون العرش مخلوقا؛ لأن المضاف إلى الله إما أن يكون إضافة صفة إلى الموصوف بها كالسمع والبصر واليد وهذه صفات لا تقوم بنفسها ، أو يكون إضافة مخلوق إلى خالقه، كبيت الله وناقة الله ونحو ذلك مما كان من المخلوقات القائمة بنفسها، فلما لم تكن إضافة العرش إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف بها تعين أن تكون من باب إضافة المخلوق إلى الخالق(٢)،فصار العرش مخلوقا من مخلوقاته.

وكل الآيات التي وصف الله نفسه فيها بأنه رب العرش تدل دلالة واضحة على أن العرش مخلوق من مخلوقاته؛ لكونه مربوبا،وكل مربوب مخلوق،والآيات التي وصف الله نفسه فيها بأنه ذو العرش تدل دلالة ظاهرة على أن العرش من أخص مخلوقاته.

ثالثا:الآيات التي ورد فيها استواء الله على العرش.

الآية الأولى:قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾(٤).

الآية الثالثة:قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(٥).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٦).

---

(١) سورة البروج، الآية:١٣- ١٦.

(٢) انظر:شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٥٦٤).

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٤ .

(٤) سورة يونس، الآية: ٣ .

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢ .

(٦) سورة طه، الآية: ٥ .

الآيــة الخامســة: قولــه تعــالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[(1)] .

الآية السادسة: قولـه تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[(2)] .

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾[(3)].

في هذه الآيات السبع يخبر الله تعالى عن مخلوقاته العظام الدالة على عظمته وكبريائه وأنه وحده هو المستحق للعبادة لكونه خالق الكون ومدبر أموره، فكما أنه هو المتفرد بالخلق والتدبير فكذلك هو المتفرد بالعبادة،ومن أعظم هذه المخلوقات الدالة على عظمته سبحانه هذا العرش العظيم، الذي استوى عليه الرحمن بعد خلق السموات والأرض،ودلالة هذه الآيات على كون العرش مخلوقا من مخلوقاته من عدة أوجه:

الوجه الأول:أن الله ذكر العرش ضمن مخلوقاته العظام، فهذه الآيات السبع كلها تتحدث عن خلق الكون من السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات الأخرى، فذكره سبحانه العرش في هذه المخلوقات دليل واضح على أنه منها.

الوجه الثاني:أن هذه الآيات كلها تتحدث عن أمرين مهمين وهما:بيان أن الله هو خالق الكون كله، وأنه هو مدبر أموره،فله الخلق وله الأمر،وبالأمر خلق الخلق،والعرش لا يخلو إما أن يكون من الخلق أو يكون من الأمر،ولا أحد يقول إن العرش هو من الأمر الذي خلق الله به الخلق،فتعين أن يكون من الخلق.

الوجه الثالث:أن الله أخبر في هذه الآيات أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض،فاستواء الله على العرش دليل على أن العرش مخلوق؛ لأنه ليس في الكون إلا خالق ومخلوق،فالخالق هو الله الواحد القهار،وهو الذي استوى على العرش، فلما كان الذي صدر منه الاستواء هو الخالق،تعين أن يكون المستوى عليه مخلوقا.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٢) سورة السجدة، الآية : ٤.

(٣) سورة الحديد، الآية : ٤.

رابعا:الآية التي ورد فيها أن عرشه كان على الماء

وهي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(١) يخبر تعالى في هذه الآية أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض،وهذا فيه إشارة إلى كونه مخلوقا قبل ذلك، وقد بوب البخاري في كتاب التوحيد: باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(٢) ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٣)، و في جمع الآيتين في هذا الباب استدلال قيم ووجه لطيف في بيان أن العرش مخلوق من مخلوقاته.

قال ابن حجر:"كذا ذكر قطعتين من آيتين وتلطف في ذكر الثانية عقب الأولى لرد من توهم من قوله في الحديث "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء(٤)" أن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل وكذا من زعم من الفلاسفة (٥) أن العرش هو الخالق الصانع...

فأردف المصنف بقوله ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٦)، إشارة إلى أن العرش مربوب وكل مربوب مخلوق وختم الباب بالحديث الذي فيه "فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش"(٧) فإن في إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء والجسم المؤلف محدث مخلوق."(٨).

---

(١) سورة هود، الآية: ٧ .

(٢)سورة هود، الآية: ٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٩ .

(٤) سيأتي تخريجه (ص: ٦١).

(٥) الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها. وإذا أطلق الفلاسفة فالمقصود بهم حكماء اليونان، وكل أمة من أهل الكتب المنزلة وغيرهم فلهم حكماء بحسب دينهم: ولكن اشتهر في عرف المتأخرين: أن الفلاسفة اسم لأتباع إرسْطو من حكماء اليونان، وهم المشاؤون خاصة. وهم الذين هذب ابن سيْنا طريقتهم وبسطها، وقررها، وهى التى يعرفها، بل لا يعرف سواها، المتأخرون من المتكلمين". انظر: الملل والنحل (٢/ ١٧٨) ،الصفدية لابن تيمية (٢/ ٣٢٥) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٥٧).

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٩ .

(٧)سيأتي تخريجه في (ص: ١١٣).

(٨) فتح الباري (١٣/ ٤٠٥).

خامسا:الآيات التي ورد فيها علاقة الملائكة بالعرش.

الآية الأولى: قوله تعالى :﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

الآية الثانية:قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٢].

الآية الثالثة:قوله تعالى :﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٣].

يخبر تعالى في هذه الآيات أن لله ملائكة من عظائم خلقه وكلهم لحمل عرشه،وتعبدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، فهم يسبحون بحمد ربهم لا يفترون،ويطوفون بالعرش ويحفون به، ويؤمنون بربهم ويستغفرون للمؤمنين الذين يطوفون ببيته في الأرض[٤].ففي هذه الآيات دلالة واضحة على أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولا: أنه ورد في هذه الآيات صفات للعرش لا تتأتى إلا لمخلوق من المخلوقين، حيث أخبر تعالى أن الملائكة تحمله،ولا يكون المحمول إلا مخلوقا،وأخبر أيضا أن الملائكة تحف حول العرش، فهم لا يحفون ولا يطوفون إلا بشيء موجود ومخلوق،وأخبر أيضا أن للعرش حولا وفوقا، وهذه من صفات المخلوقين، فتبين من ذلك أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى.

ثانيا: أن الله أضاف العرش إلى نفسه وأخبر أنه ربه فقال تعالى:﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ وفي هذا نص صريح في كون العرش مربوبا، وقد تبين أن كل مربوب مخلوق.

القسم الثاني الأدلة من السنة :

ورد في كتب السنة أحاديث كثيرة تدل على أن العرش خلق من خلق الله ﷻ،حيث بينت هذه الأحاديث أن للعرش أوصافا لا يتصف بها إلا مخلوق مربوب،ومن هذه الأوصاف:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة الحاقة، الآية:١٧.

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٢).

التصريح بكونه مخلوقا موجودا، و مربوبا محسوسا ،التصريح بأن له قوائم ،التصريح بأن له حملة من الملائكة ،التصريح بأن له ظلا يستظل به،التصريح بأن له فوقا وتحتا وحولا ، وأن له زنة وثقلا . وأنه يهتز اهتزازا، وأن بعض المخلوقات تتعلق به تعلقا، وهذه الأوصاف لا يتصف بها إلا شيء مخلوق وموجود، وعلى هذا فإنه يمكن تقسيم هذه الأدلة إلى عدة أقسام،وسأقتصر على ذكر حديث أو حديثين في كل صفة من هذه الأوصاف ؛ لأنها تأتي مفصلة في مواضعها من البحث.

أولا: ما ورد فيه تصريح كون العرش خلقا من خلق الله عز وجل،خلقه الله تعالى بعد أن لم يكن مخلوقا.كما هو الثابت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال:"خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائرالخلق كن فكان"[1] وهذا الحديث وإن كان موقوفا على ابن عمر لكنه يأخذ حكم الرفع لكونه مما لا يقال في سبيل الرأي ولا يدرك في الاجتهاد. وبهذا يستقيم استدلاله في هذه المسألة.

وكل حديث ورد فيه إضافة العرش إلى الله عز وجل، فهو دليل على أن العرش مخلوق من مخلوقاته، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم"[2].

وكذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال : " كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء..."[3] الحديث.

---

(١) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (١/ ٢٦١). والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٤٥)،وابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثاني (١/ ٣٠٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٧)، قال الذهبي : "إسناده جيد" العلو للعلي الغفار (ص: ٨٢)، وذكر الشيخ الألباني أن سنده صحيح على شرط مسلم. مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٧٥)، (كتاب الدعوات/ باب الدعاء عند الكرب)، ورقمه: (٦٣٤٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٨٥)، (كتاب الذكر والدعاء/ باب دعاء الكرب،)ورقمه: (٧٠٢١).

(٣) سيأتي تخريجه في (ص: ٦١).

قال أبو سعيد الدارمي:" ففي هذا بيان بين أن الله تعالى خلق العرش قبل السموات والأرض وما فيهن "(١).وكذلك حديث عمرو بن العاص ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال:وعرشه على الماء "(٢).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث: أن المضاف إلى الله نوعان:

"النوع الأول: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا، يتميز بها المضاف عن غيره"(٣).

والعرش مضاف إلى الله عز وجل،فإما أن تكون هذه الإضافة من النوع الأول ،فيكون العرش صفة من صفات الله عز وجل ،ولا أحد يقول بهذا،فلما امتنع أن تكون هذه الإضافة من النوع الأول تعين أن تكون من النوع الثاني،فإضافة العرش إلى الله عز وجل من باب إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، وهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا، يتميز بها المضاف عن غيره.

ثانيا: ما ورد فيه أن العرش ذو قوائم.

كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى "(٤)

ووجه دلالة الحديث على خلق العرش بين ظاهر،قال ابن حجر: "إن في إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء والجسم المؤلف محدث مخلوق"(٥).

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي(ص:٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٥١) ،(كتاب القدر/ باب متى كتب الله المقادير) ورقمه: (٦٨٤٢)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٥٦٤).

(٤) سيأتي تخريجه في (ص: ١١٣) من البحث

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٥).

ثالثا:ما ورد فيه أن العرش له حملة من الملائكة

كما في حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال:" أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام "[١].

ففي الحديث بيان بين أن العرش له حملة تحمله، فدل ذلك على كونه مخلوقا موجودا ومحسوسا مربوبا،إذ المحمول لا يكون إلا مخلوقا.

رابعا:ما ورد فيه أن للعرش ظلا يستظل به.

الحديث الأول: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"[٢].

الحديث الثاني:عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش..."[٣] الحديث.

والشاهد من الحديثين: أن فيهما إثبات الظل للعرش، والظل من أوصاف المخلوقين،كما قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾[٤].

---

(١) رواه أبو داوود في سننه(٤/ ٢٣٢) ،(كتاب السنة / باب في الجهمية) ورقمه: (٤٧٢٧)، قال الذهبي في العلو(ص:٩٧) إسناده صحيح،وقال ابن حجر في الفتح(٨/ ٦٦٥):"إسناده على شرط الصحيح"،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٨١) رقم: (١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٣/ ٥٩١)،(أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ/ باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به) ورقمه: (١٣٠٦) وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده (١٤/ ٣٢٩)، وذكر محققه أن إسناده صحيح على شرط مسلم، وأن رجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه سنن أبي داود (٣/ ١٥)،(كتاب الجهاد/ باب في فضل الشهادة) ورقمه: (٢٥٢٠)، وأخرجه أحمد في مسنده(٤/ ٢١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع ورقمه: (٥٢٠٥).

(٤) سورة النحل، الآية: ٨١.

خامسا:ما ورد فيه أن للعرش فوقا وتحتا وحولا.

فقد ورد في أحاديث كثيرة أن العرش ذو جهات كجهات المخلوقات الأخرى،ففوقه الرحمن وتحته الجنان،وحوله ملائكة الديان.كما ورد أيضا أن فوقه الكتاب وتسجد تحته الشمس عند الغروب، وفيما يلي بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

الحديث الأول:عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:" لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي "(١).

الحديث الثاني:عن أبي ذر ﷺ عنه قال : "قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس " تدري أين تذهب " . قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(٢)"(٣).

الحديث الثالث:عن النعمان بن بشير ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ" إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد . ينعطفن حول العرش . لهن دوي كدوي النحل . تذكر بصاحبها . أما يحب أحدكم أن يكون له ، أو لا يزال له من يذكر به"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١٠٦)، (كتاب بدء الخلق / باب قول الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾[الروم: ٢٧] ورقمه: (٣١٩٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٩٥)، (كتاب التوبة/ باب في سعة رحمة الله) ورقمه: (٧٠٦٩).

(٢) سورة يس، الآية: ٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٨) ، (كتاب المغازي/ باب صفة الشمس والقمر) ورقمه: (٣١٩٩).وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٩٦)، (كتاب الإيمان/ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان)، ورقمه: (١٥٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤/ ٧١٦)، (كتاب الأدب/باب فضل التسبيح) ورقمه: (٣٨٠٩). في مسنده (٣٠/ ٣١٢)، والحاكم المستدرك (١/ ٦٨٤)، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه " قال البوصيري "إسناده صحيح رجاله ثقات"مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ١٣٢) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١٠٧٦)

والمقصود من إيراد هذه الأحاديث بيان أن العرش مخلوق؛ لأنه ثبت أن لـه فوقـا وتحتـا وهما من صفات المخلوقات[١].

سادسا:ما ورد فيه أن للعرش زنة وثقلا.

عن جويرية رضي الله عنها :" أن النبي ﷺخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهـي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة ، فقال :ما زلت على الحـال التـي فارقتـك عليها ؟ قالت : نعم ، قال النبي ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات ، لـو وزنـت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشـه ومداد كلماته."[٢].

فلما كان العرش أعظم مخلوقات الله صار وزنه أثقل الأوزان.قال ابن تيمية:"فهـذا يبـين أن زنة العرش أثقل الأوزان"[٣] وكل موزون فهو مخلوق.

سابعا: ما ورد فيه أن بعض المخلوقات تتعلق بالعرش تعلقا.

الحديث الأول:عـن عائشـة رضي الله عنهـا ، قالـت : قـال رسـول الله ﷺ: "الـرحم معلقـة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله."[٤].

الحديث الثاني: عن مسروق ، قال : سألنا عبد الله[٥] عن هذه الآيـة : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٦]، قال: أما إنا قـد سـألنا عـن ذلـك، فقـال : أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنـة حيـث شـاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل..."[٧].

---

(١) انظر:فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٨٣) ،(كتاب الذكر/ باب التسبيح أول النهار)،ورقمه:(٢٧٢٦).

(٣) الرسالة العرشية(ص:٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٥) ، (كتاب الأدب/باب إثم القاطع)، ورقمه (٥٩٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٧)، (كتاب الآداب/ باب صلة الرحم)، ورقمه : (٢٥٥٦).

(٥) هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي ﷺ الصحابي الجليل. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٩٨).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه(٦/ ٣٨) ،(كتاب الجهاد/ باب أرواح الشهداء في الجنة)ورقمه:(١٨٨٧).

قال أبو سعيد الدارمي بعد ذكره جملة من الأدلة الدالة على خلق العرش": ففي ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل، وفي هذه الأحاديث بيان بين أن العرش كان مخلوقا قبل ما سواه من الخلق، وأن ما ادعى فيه هؤلاء المعطلة تكذيب بالعرش، وتخرص بالباطل، ولو شئنا أن نجمع في تحقيق العرش كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ وأصحابه،والتابعين لجمعنا، ولكن علمنا أنه خلص علم ذلك والإيمان به إلى النساء والصبيان، إلا إلى هذه العصابة الملحدة في آيات الله، طهر الله منهم بلاده، وأراح منهم عباده"[١].

الدليل الثالث: الإجماع.

أجمعت الأمم على وجود العرش وإثباته وأنه مخلوق عظيم من مخلوقات الله ولم يختلفوا فيه ولم ينكره إلا الجهمية ومن نحا نحوهم . يقول الدارمي في رده على الجهمية:"وما ظننا أنا نضطر، إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا، وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام، وإليه نلجأ، وبه نستعين"[٢].

وقد نقل ابن حزم اتفاق السلف على كون العرش مخلوقا من مخلوقاته تعالى فقال: "اتّفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثمّ خلق الأشياء كلها كما شاء ، وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق"[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" العرش موجود بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها وكذلك " الكرسي " ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف"[٤].

وفي هذا يتبين أن كل ما على الوجود هو مخلوق خلقه الله تعالى وأوجده، قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[١]، فكل شيء في هذا الكون مخلوق والعرش من ضمن هذا الكون الواسع كما ذكره الله تعالى في ضمن مخلوقاته العظيمة.

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي(ص:٣٨).

(٢)الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٣٢) .

(٣) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات(١/ ١٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

المطلب الثاني

هل العرش أول المخلوقات

ثبت بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وصح أيضا بالبراهين العقلية أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى كما سبق بيانه في المطلب السابق، وفي هذا المطلب سأذكر مسألة مهمة، اختلف العلماء فيها، وهي مسألة تحديد أول المخلوقات،هل هو العرش أو غيره؟

. إذا علم هذا فليعلم أن اختلاف السلف في هذه المسألة يدور على قولين[٢]:**أحدهما**: أن العرش خلق أولا، **والثاني**: أن خلق القلم سابق لخلق العرش ولغيره من المخلوقات ، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) وهناك في المسألة، أقوال أخرى منها: **أولا: أن النور والظلمة أول المخلوقات** ذكره ابن جرير وعزاه إلى ابن إسحاق، انظر: تاريخ الطبري (١/ ٣٤)، البداية والنهاية (١/ ١٤).ورد الإمام الطبري هذا القول حيث قال:" وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل، أو خبر من رسول الله ﷺ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله ﷺ " انظر: تاريخ الطبري(١/ ٣٦). وترتيب الخلق عند ابن جرير القلم ثم السحاب ثم الماء ثم العرش ثم سائر المخلوقات. ولا يرى ابن جرير أن الماء أول المخلوقات ولم يقل به كما ظن بعض الباحثين، ولكن لما قرر أن القلم أول المخلوقات ثم بعد ذلك السحاب الرقيق، نقل قولين لأهل العلم فيما خلق بعد القلم والسحاب فقال: " ثم اختلف في الذي خلق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم: خلق بعد ذلك عرشه....وقال آخرون: خلق الله عز وجل الماء قبل العرش، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء." ثم رجح أن الماء خلق قبل العرش فقال:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش، لصحة الخبر الذي ذكرت قبل عن أبي رزين العقيلي عن رسول الله ﷺ أنه قال حين سئل:)أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء،) فاخبر ﷺأن الله خلق عرشه على الماء ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه، والذي خلقه عليه غير موجود، إما قبله أو معه، فإذا كان ذلك كذلك،فالعرش لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون خلق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون

وغيره من أهل العلم"(١).وسبب الاختلاف في هذه المسألة يرجع إلى فهم المراد من قوله ﷺ"إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة."(٢) والأحاديث التي جاءت في معناه.

فمن قال بظاهر الحديث ذهب إلى أن القلم هو أول المخلوقات على الإطلاق، ومن قال: إن العرش كان قبل القلم ذهب إلى أن الأولية المذكورة في الحديث محمولة على هذا العالم المشهود، فالقلم هو أول المخلوقات في العالم المشهود حتى قيام الساعة؛ لأن الله لما خلق القلم أمر أن يكتب بما هو كائن إلى قيام الساعة، وهناك مخلوقات تبقى بعد قيام الساعة ولم تجر عليها هذه الكتابة، كما أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن العرش كان موجودا عند كتابة المقادير فلم يدخل فيما جرت عليه هذه الكتابة، وفيمايأتي تفصيل هذين القولين ،ومن قال بهما وأدلة كل فريق مع بيان الراجح منهما:

= خلق هو والماء معا فأما أن يكون خلقه قبل خلق الماء، فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبى رزين، عن النبيﷺ.) تاريخ الطبري (١/ ٣٩-٤٠) .

ثانيا: أن الماء أول المخلوقات، وهذا ما ذهب إليه ابن حجر حيث قال: "قوله:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود:٧].معناه: أنه خلق الماء سابقا ثم خلق العرش على الماء. انظر: فتح الباري(٦/ ٢٨٩). وعليه فإن ترتيب الخلق عند ابن حجر، الماء ثم العرش ثم القلم ثم سائر المخلوقات.

ثالثا: أن أول المخلوقات النور الذي خلق منه محمد ﷺ. انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٥/ ١٠٩) قال الألباني: عقب حديث: "إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم." الحديث.

"في الحديث إشارة إلى رد ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى. وليس لذلك أساس من الصحة. السلسلة الصحيحة (١ / ٢٥٧-٢٥٨) .

رابعا: أن أول المخلوقات العقل. قال ابن حجر:"وأما حديث:"أول ما خلق الله العقل" فليس له طريق ثبت" فتح الباري (٧/ ٤٨٧).

(١) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية(ص:٢٨٥)، والتبيان في أقسام القرآن(ص:٢٠٨) و شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي(٢/ ٣٤٥).

(٢) سيأتي تخريجه في (٥٩) من البحث.

القول الأول: أن القلم الذي كتب الله به مقادير الخلائق هو أول مخلوقات الله على الإطلاق، وهذا قول بعض أهل السنة والجماعة،اختاره الحسن وعطاء ومجاهد[١]، وإليه ذهب ابن جرير وابن الجوزي، وغيرهما[٢] .واختاره من المعاصرين الشيخ الألباني[٣]، واستدلوا بأولية خلق القلم على غيره من المخلوقات، بعدة أدلة منها:

الدليل الأول:حديث عبادة بن الصامترضي الله عنه أنه قال: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"[٤].

والقول بأن القلم هو أول المخلوقات عمل بظاهر هذا الحديث، ولهذا قال الإمام ابن جرير الطبري عند كلامه عن هذه المسألة: "وقول رسول الله ﷺ الذي رويناه عنه أولى قول في ذلك بالصواب، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولا بحقيقته وصحته، "وقد روينا عنه ﷺ أنه قال: أول شيء خلقه الله عز وجل القلم"[٥] من غير استثناء منه شيئا من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عم بقوله ﷺ: "إن أول شيء خلقه الله القلم" كل شيء، وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشا ولا ماء ولا شيئا غير ذلك."[٦]

---

(١) نقل ذلك بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري(ج١٥/ ١٠٩).

(٢) انظر:تاريخ الطبري (١/ ٣٥-٣٦)، البداية والنهاية(١/ ١٢).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٥٨)

(٤) أخرجه أبو داود في سننه سنن أبي داود (٤/ ٢٢٦)، (كتاب السنة /باب في القدر) ورقمه: (٤٧٠٠)،وأخرجه الترمذي في سننه سنن الترمذي (٤/ ٤٥٨)، (كتاب القدر عن رسول الله ﷺ/ باب ما جاء في الرضا بالقضاء) ورقمه: (٢١٥٥) وقال:هذا حديث حسن غريب.وأخرجه أحمد في مسنده (٣٧/ ٣٧٨) ورقمه: (٢٢٧٠٥). وذكر محققوه أنه حديث صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٠٥).

(٥) سيأتي تخريجه(ص: ٦٠) من البحث.

(٦) تاريخ الطبري(١/ ٣٥-٣٦).

وقال الشيخ الألباني عقب نقله كلام الطبري المتقدم :"وإني لأحمد الله تعالى أن هذا الكلام من هذا الإمام موافق تماماً لماكنت ذكرته في فوائد حديث ابن عباس هذا[١]... أن فيه رداً على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق، ولم أكن يومئذ قدوقفت عليه. فالحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله"[٢].

الدليل الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: "إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون"[٣].

قال الشيخ الألباني:" وفيه رد على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق، ولا نص في ذلك عن رسول الله ﷺوإنما يقول به من قاله كابن تيمية وغيره – استنباطاً واجتهاداً فالأخذ بهذا الحديث – وفي معناه أحاديث أخرى – أولى؛ لأنه نص في المسألة، ولا اجتهاد في مورد النص كما هو معلوم.

وتأويله بأن القلم مخلوق بعد العرش باطل؛ لأنه يصح مثل هذا التأويل لو كان هناك نص قاطع على أن العرش أول المخلوقات كلها ومنها القلم، أما ومثل هذا النص مفقود، فلا يجوز هذا التأويل."[٤].

وقال أيضا:"لا يوجد في أي حديث كما قال الرسولﷺ للقلم أنه أول مخلوق لا يوجد أنه قال للعرش أنه أول مخلوق، لكن كونه قال ﷺ :"وكان عرشه على الماء" هذا لا يبين أنه لم يخلق شيئًا قبل ذلك الماء الذي كان عرشه عليه، فإذا كان هذا غير مُبَيَّن في هذا الحديث، وكان

(١) يشير إلى الحديث الثاني من أدلة القائلين بأولية خلق القلم على العرش.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها(١/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية(ص:١٤٢)، والفريابي في القدر(ص: ٢٩)، والآجري في الشريعة (٢ / ٧٥٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ٥٨٦) وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٣٧٤) ، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٤٠٥).

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٢٥٨).

حديث القلم صريحا بأنه أول مخلوق، فليس هناك ما يحملنا على أن نترك النص الصريح إلى النص الذي يحتمل معنى هذا الحديث الصحيح بغير القلم"(١).

القول الثاني: أن خلق العرش كان قبل خلق القلم، وهذا قول جمهور أهل السنة والجماعة(٢).واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

الحديث الأول: عن عمران بن حصين ﷺ، قال: إني عند النبي ﷺإذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء، ثم أتاني رجل، فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم"(٣).

وقد دل هذا الحديث على أن العرش كان مخلوقا قبل القلم من عدة أوجه كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: " **أحدها**: أن قول أهل اليمن: " جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر " إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم أو جنس المخلوقات، فإن كان المراد هو الأول كان النبي ﷺ قد أجابهم؛ لأنه أخبرهم عن أول خلقه هذا العالم وإن كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم؛ لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقا؛ بل قال: "كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض".

---

(١) موسوعة الإمام الألباني في العقيدة(٧/ ٨٩٧).

(٢)انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٢٢٨) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية(١/ ٣٦١)، البداية والنهاية(١/ ١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٢٤)، (كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود: ٧]) ورقمه : (٧٤١٨) .

فلم يذكر إلا خلق السموات والأرض،لم يذكر خلق العرش مع أن العرش مخلوق أيضا فإنه يقول: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١)، وهو خالق كل شيء: العرش وغيره ورب كل شيء: العرش وغيره. وفي حديث أبي رزين قد أخبر النبي ﷺ بخلق العرش(٢).

وأما في حديث عمران فلم يخبر بخلقه؛ بل أخبر بخلق السموات والأرض فعلم أنه أخبر بأول خلق هذا العالم لا بأول الخلق مطلقا.

وإذا كان إنما أجابهم بهذا؛ علم أنهم إنما سألوه عن هذا، لم يسألوه عن أول الخلق مطلقا؛ فإنه لا يجوز أن يكون أجابهم عما لم يسألوه عنه ولم يجبهم عما سألوا عنه؛ بل هو ﷺمنزه عن ذلك، مع أن لفظه إنما يدل على هذا؛ لا يدل على ذكره أول الخلق، وإخباره بخلق السموات والأرض بعد أن كان عرشه على الماء يقصد به الإخبار عن ترتيب بعض المخلوقات على بعض؛ فإنهم لم يسألوه عن مجرد الترتيب، وإنما سألوه عن أول هذا الأمر، فعلم أنهم سألوه عن مبدأ خلق هذا العالم، فأخبرهم بذلك كما نطق في أولها في أول الأمر " خلق الله السموات والأرض"... **والمقصود هنا:** أن النبي ﷺ أجابهم عما سألوه عنه، ولم يذكر إلا ابتداء خلق السموات والأرض، فدل على أن قولهم: "جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر" كان مرادهم خلق هذا العالم. والله أعلم.

الوجه الثاني: أن قولهم: " هذا الأمر " إشارة إلى حاضر موجود، والأمر يراد به المصدر ويراد به المفعول به وهو المأمور الذي كونه الله بأمره وهذا مرادهم؛ فإن الذي هو قوله: "كن" ليس مشهودا مشارا إليه بل المشهود المشار إليه هذا المأمور به قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾(٣)، وقال تعالى:﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾(٤)، ونظائره متعددة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٨٨)، (كتاب التفسير/ باب سورة هود) ورقمه: (٣١٠٩) وقال: هذا حديث حسن.ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٢٦) ، (المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية):رقم (١٨٢) ورواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١١، ١٢).وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٣٨٢).

(٣) سورة الأحزاب،الآية: ٣٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ١.

ولو سألوه عن أول الخلق مطلقا لم يشيروا إليه بهذا؛ فإن ذاك لم يشهدوه. فلا يشيرون إليه بهذا؛ بل لم يعلموه أيضا؛ فإن ذاك لا يعلم إلا بخبر الأنبياء والرسول ﷺ لم يخبرهم بذلك، ولو كان قد أخبرهم به لما سألوه عنه، فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود.

الوجه الثالث: أنه قال فيه: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معه" أو "غيره"(١) وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء" فأخبر عن هذه الثلاثة بلفظ الواو لم يذكر في شيء منها" ثم" وإنما جاء "ثم" في قوله:" خلق السموات والأرض ".

وبعض الرواة ذكر فيه خلق السموات والأرض بثم، وبعضهم ذكرها بالواو. فأما الجمل الثلاث المتقدمة، فالرواة متفقون على أنه ذكرها بلفظ الواو، ومعلوم أن لفظ الواو لا يفيد الترتيب على الصحيح الذي عليه الجمهور؛ فلا يفيد الإخبار بتقديم بعض ذلك على بعض؛ وإن قدر أن الترتيب مقصود إما من ترتيب الذكر؛ لكونه قدم بعض ذلك على بعض ؛وإما من الواو عند من يقول به؛ فإنما فيه تقديم كونه على كون العرش على الماء، وتقديم كون العرش على الماء على كتابته في الذكر كل شيء ،وتقديم كتابته في الذكر كل شيء على تقديم خلق السموات والأرض، وليس في هذا ذكر أول المخلوقات مطلقا؛ بل ولا فيه الإخبار بخلق العرش والماء؛ وإن كان ذلك كله مخلوقا كما أخبر به في مواضع أخر؛ لكن في جواب أهل اليمن إنما كان مقصوده :إخباره إياهم عن بدء خلق السموات والأرض وما بينهما ، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام لا بابتداء ما خلقه الله قبل ذلك(٢).

ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف إلى أن العرش متقدم على القلم واللوح. مستدلين بهذا الحديث وحملوا قوله ﷺ " أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فقال: وما أكتب؟ قال

---

(١) قوله " ولم يكن شيء قبله " تقدم تخريجه قريبا، وأما قوله "ولم يكن شيء غيره" فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق/ باب قول الله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧]، وأما قوله " ولم يكن شيء معه" فلم أجده في صحيح البخاري، بل ذكر ابن حجر أنها ليست من روايات صحيح البخاري حيث قال: "وفي رواية غير البخاري ولم يكن شيء معه" فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٩) ولم أجدها في شيء من الكتب الستة.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى(١٨/ ٢١١)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ١٧٦).بتصرف يسير.

اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة" على هذا الخلق المذكور في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾[1] [2].

وفي لفظ"كان الله عز وجل، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب جل ثناؤه في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض"[3].

فعطف الخلق والكتابة على العرش بثم، التي تفيد الترتيب، والكتابة إنما كانت بالقلم؛ مما يدل على أن العرش مخلوق قبل القلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ففي الحديث الصحيح بيان أنه كتب في الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السموات والأرض"[4].

الدليل الثاني:عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :" سمعت رسول الله ﷺ، يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وعرشه على الماء."[5].

فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، والشاهد من الحديثين أن فيهما بيانا أن كتابة المقادير كانت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن عرشه كان على الماء عند كتابة المقادير، فهو سابق للتقدير والكتابة.وفي لفظ: "فرغ الله عز وجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السماوات والأرض، وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة"[6].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧.

(٢) مجموع الفتاوى(٢/ ٢٧٥).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٣٤) الاعتقاد للبيهقي(ص:٩١).

(٤) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية(ص:٢٩٣).

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ٥٢) من البحث.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤/ ٦٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٤)، وفي القضاء والقدر (ص:١٠٩)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٦٢).وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٧٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"ففي هذا الحديث الصحيح ما في ذلك من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض لكن بين فيه مقدار السبق وأن ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة...

فقوله في الحديث: "فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السماوات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة" يوافق حديث عبادة الذي في السنن "أنه لما خلق الله القلم قال له: اكتب ،قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة"(١).

وكذلك في حديث ابن عباس وغيره، وهذا يبين إنما أمره حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة؛ لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك، وهذا يؤيد حجة من جعله أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمره بكتابته؛ فإنه سبحانه كتبه وقدره قبل أن يخلقه بخمسين ألف سنة."(٢).

الدليل الثالث:عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره وكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه"(٣)

فقول ابن عباس ﷺ يفسر المقصود بأولية القلم وأنها ليست أولية مطلقة، وإنما هي أولية مقيدة بخلق هذا العالم المشهود، فهذا القلم خلقه لما أمره بالتقدير المكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان مخلوقا قبل خلق السموات والأرض وهو أول ما خلق من هذا العالم وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص.

المقارنة بين أدلة الفريقين:

لما كانت أدلة القائلين بأن خلق القلم كان قبل خلق العرش مبينة أن القلم هو أول شيء خلقه الله تعالى، وكانت أدلة القائلين بأن خلق العرش سبق خلق القلم موضحة أن العرش كان

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٥٩) من البحث.

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية(ص:٢٩٤).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص:٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى، الكتاب الثاني (١/ ٣٣٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٤١)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٣٠٦) وصححه الألباني في مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ٩٥).

موجودا عند خلق القلم، لما كان ذلك كذلك لزم النظر في أدلة الفريقين وذلك: " أن الأحاديث يجب الجمع بينها وعدم تعارضها. وحديث عبادة بن الصامت في قوله ﷺ"إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب" يقتضي أن الكتابة كانت بعد خلقه. وحديث عبد الله بن عمرو يقتضي تقدم وجود العرش والماء على حصول الكتابة.

فدل هذان الحديثان على أن العرش والماء موجودان قبل، وأن خلق القلم تبعته الكتابة؛ ولهذا نسبه شيخ الإسلام إلى جمهور السلف بأن القلم موجود بعد العرش والماء.

وهذا تدل عليه رواية "أول ما خلق الله القلم قال له اكتب" يعني حين خلقه، "فأول" بمعنى حين.،"أول ما خلق الله القلم قال له اكتب" أي حين خلقه قال له أكتب. وهذا هو معنى "إن أول ما خلقه الله القلم فقال له اكتب" لأن الجمع بين الروايات أولى من تعارضها"[١].

وعلى كل فإن علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم تكلموا في أول هذه المخلوقات على القولين السابقين ورجحوا القول الثاني لما دل عليه الكتاب والسنة أن الله تعالى لما قدر مقادير الخلائق بالقلم الذي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشه على الماء فكان العرش مخلوقا قبل القلم، قالوا: الآثار المروية أن أول ما خلق الله القلم معناها من هذا العالم[٢].

الجواب عن أدلة القول الأول:

أما القول الأول فقد أجاب الجمهور على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت ﷺ بقولهم: "لا يخلو قوله: أول ما خلق الله القلم، إلخ - إما أن يكون جملة أو جملتين. فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، "كما في اللفظ: أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب" بنصب " أول " و " القلم "، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع " أول

(١) شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٤٧-٤٤٨).

(٢) انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٢٢٨) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية(١/ ٣٦١).

" و " القلم "، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم"(١).

وكذلك أجابوا على استدلالهم بحديث ابن عباس رضي الله عنه بأنه يحمل على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، قال البيهقي رحمه الله: عقب قوله ﷺ" إن أول شيء خلقه الله القلم".

"وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش القلم، وذلك بين في حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه :"ثم خلق السماوات والأرض""(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأما الحديث الذي فيه "أول ما خلق الله القلم وأنه أمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فذلك بيان لخلق العالم الذي خلقه في ستة أيام، وأن تقدير هذا العالم كان قبل خلقه، وأنه أول ما خلق من أسباب هذا العالم القلم، لأن تقدير المخلوق سابق لخلق المخلوق.

وهذا ذكر فيه أنه كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فالمقدر به هو المخلوق الذي خلق القلم قبله، ولم يذكر فيه تقدير جميع المخلوقات الكائنة بعد القيامة؛ فلم يجب أن يكون متقدما على غيره هذه المقدرات المخلوقة مما خلق قبل ذلك"(٣). وقد لخص ابن القيم في نونيته قولي أهل العلم في المسألة فقال:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبى العلا الهمذاني(٤)
والحق أن العرش قبل لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا ... فغدا بأمر الله ذا جريان

---

(١) التبيان في أقسام القرآن(ص:٢٠٨) شرح الطحاوية لابن أبي العز(٢/ ٣٤٥).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٣٧).

(٣) الصفدية (٢/ ٨٢).

(٤) الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن سَهْل العطار ، الحافظ أبو العلاء الهمذاني المقرئ المحدث، كان مولده في سنة ٤٨٨هـ وتوفي في سنة ٥٦٩هـ انظر : تاريخ الإسلام(١٢/ ٤٠٣). سير أعلام النبلاء(٢١/ ٤٠).

فجرى بما هو كائن أبدا إلى يوم المعاد بقدرة الرحمن[١]

تنبيه : يتبين فيما سبق أن قول جمهور أهل السنة والجماعة هو أن خلق العرش سابق خلق القلم، والمتأمل في هذا القول يجد أن الجمهور لم يقولوا: إن العرش أول المخلوقات على الإطلاق، وإنما كان قولهم مبنيا على بيان أولية خلق العرش على خلق القلم.

والمقصود هنا أنه لا يوجد نص قاطع يدل على أن العرش أول مخلوقات الله على الإطلاق، وما سبق من الأدلة في بيان أولية خلق العرش على خلق القلم فإنه ليس فيها دلالة على أن العرش أول المخلوقات على الإطلاق، وإنما غاية ما فيها أن خلق العرش سابق خلق القلم، وهذا لا يستلزم الأولية المطلقة.

إذا تقرر هذا فإن ما جاء في نصوص الشرع من الكتاب والسنة الصحيحة هو أن العرش كان على الماء عند خلق العالم المشهود، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٢].

ففي الآية الكرية بيان أن العرش كان على الماء عند خلق السموات والأرض، والماء مخلوق من مخلوقات الله تعالى بلا شك ولا مرية، فأيهما كان قبل في الخلق، العرش أم الماء؟

فمن قال: العرش خلق قبل الماء طولب بالدليل ولا دليل هناك، ومن قال: الماء خلق أولا طولب بالدليل أيضا ولا دليل، فترجيح أحدهما على الآخر بدون دليل، هو ترجيح بلا مرجح، لاسيما وأن هذه مسألة متعلقة بأمر عقدي غيبي، وقد تقرر عند أهل العلم أنه لا اجتهاد في مسائل الاعتقاد. فتبين من هذا أن العرش والماء الذي عليه العرش من أول مخلوقات الله تعالى، أما الجزم بأيهما خلق أولا؟ فـ ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾[٣]

---

(١) متن القصيدة النونية(ص:٦٥)، وانظر: الصفدية (٢/ ٨٢)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية(ص:٢٩٤)، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية(٢/ ٢٢٨). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية(١/ ٣٦١)، شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ(١/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) سورة هود، الآية: ٧.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٢

المطلب الثالث

مسألة بقاء العرش

لما حكم الله بالزوال والفناء للمخلوقات على ظهر هذه الأرض بقوله،﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[١]، بيّن تعالى بقاءه فقال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[٢]، ذلك أن الله عز وجل حي لا يموت، كما كان الرسول ﷺ يقول في دعائه: "أنت الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون"[٣]. وقال الله عز وجل﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾[٤]، وذلك أن حياته عز وجل حياة كاملة ، وهي صفة لذاته بخلاف المخلوق فإن حياته حياة ناقصة، قد أفاضها عليه ربه جل وعلا، ومنحه إياها، فيسلبها منه متى شاء.

وقد ذكر كثير من علماء أهل السنة والجماعة أن من المخلوقات ما لا يهلك ولا يبيد ولا يتطرق إليها الفناء بل تبقى بإبقاء الله عز وجل إياها، ومن هذه المخلوقات عرش الرحمن، فهو مما يبقى بقاء أبديا لأنه سقف الجنة، والله سبحانه مستو عليه، ولم يأت ما يدل على فنائه، وإليك بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الضحاك في قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٥]،كل شيء هالك إلا الله والجنة والنار والعرش"[٦]

وقال الإمام أحمد:"وأما السماء والأرض فقد بادتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة والنار. وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد. وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ ﴾[٧].

---

(١) سورة الرحمن، الآية:٢٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية:٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٨٠) ، (كتاب الدعوات/ باب من دعاء النبي ﷺ)، ورقمه: (٢٧١٧).

(٤) سورة الفرقان، الآية:٥٨.

(٥) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٦) بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٢٦).

(٧) سورة القصص، الآية: ٨٨.

وذلك أن الله أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١]. قالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأنزل الله آية يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ من الحيوان ﴿هَالِكٌ﴾ يعني ميت ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت"[٢].

وقال البربهاري:"وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبدا"[٣].

وقال قوام السنة: "وكل شيء كتب عليه الفناء، وليس تفنى الجنة والنار، والعرش والكرسي، واللوح، والقلم، والصور ليس يفنى شيء من هذه الأشياء"[٤].

وقال ابن القيم في النونية:

والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضا وإنهما لمخلوقان[٥]

وقد جمع جلال الدين السيوطي رحمه الله المخلوقات التي لا يتطرق إليها الفناء في بيتين فقال:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم[٦]

ويظهر من أقوال أهل العلم أن بقاء العرش شيء متفق عليه بين أهل السنة والجماعة وقد نقل ابن تيمية اتفاقهم في هذه المسألة كما سيأتي[٧]

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل (ص:١٧٠).

(٣) شرح السنة للبربهاري (ص: ٧١).

(٤) الحجة في بيانا لمحجة (٢/ ٤٦٧).

(٥)الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/ ٧٨).

(٦)نقله شارح نونية ابن القيم في توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/ ٩٦).

(٧) انظر:(ص: ٧٨).

الأدلة على بقاء العرش:

استدل أهل السنة والجماعة على بقاء العرش بعدة أدلة من الكتاب والسنة دلت على بقائه وعدم كونه من المخلوقات التي يعمها الفناء والهلاك،وهذه الأدلة أكثرها أدلة استنباطية،وبعضها بينت أن العرش يبقى بعد فناء المخلوقات،وهذه الأدلة على أنواع:

فمنها ما دل على بقاء العرش بعد تبديل السموات والأرض وأنه سيكون من المخلوقات التي لا يتطرق إليها الفناء،ومنها الأدلة التي فيها استواء الله على العرش،ومنها الأدلة التي فيها أن العرش سقف الجنة،ومما يستدل به أيضا عدم وجود دليل يدل على فنائه،وفيما يأتي تفصيل هذه الأدلة.

أولا: الأدلة التي فيها بقاء العرش بعد فناء السموات والأرض

إن في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على فناء المخلوقات بما فيها السموات والأرض،وكذلك الكواكب والجبال وغيرها من المخلوقات.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(١)

ثم إنه سبحانه وتعالى لما أخبر بقبضه الأرض، وطيه للسموات بيمينه، ذكر نفخ الصور، وصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله، ثم ذكر النفخة الثانية، التي يقومون بها، وذكر أنه تشرق الأرض بنور ربها، وأنه يوضع الكتاب، ويجاء بالنبيين والشهداء، وأنه توفى كل نفس ما عملت، وذكر سوق الكفار إلى النار، وذكر سوق المؤمنين إلى الجنةإلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر،الآية: ٦٧.

(٢) سورة الزمر الآية: ٧٤-٧٥ .

ولم يكن العرش داخلًا فيما يقبض ويطوي ويبدل ويغير[١]. لأنه أخبر سبحانه أن الملائكة تحف به مسبحة بحمد ربها، فكونك ترى الملائكة حافين من حول العرش بعد تغيير السموات والأرض وتبديلهما، دليل على أن العرش باق على ما كان ولم يعمه هذا التغيير والتبديل الذي عم المخلوقات،فدلت هذه الآيات على بقاء العرش وعدم فنائه.

وكذلك قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾[٢].

ولما وقع التفصيل في خلق السموات والأرض وما بينهما، وفي القيامة التي تستحيل فيها السموات والأرض وما بينهما، لم يكن العرش داخلًا في ذلك، بل أخبر ببقائه بعد تغير السموات والأرض، كما أخبر بكونه قبل السموات والأرض خبرا مطلقا، وأخبر في غير موضع أنه ربه وصاحبه، تمييزا له من السموات والأرض، وذكر نفسه بأنه ذو العرش في غير موضع، فهذا كله يبين أن العرش له شأن آخر[٣].

فذكره سبحانه وتعالى العرش عقب نفخ الصور ودك الأرض والجبال وانشقاق السماء ووقوع الواقعة، دليل على بقاء العرش وعدم فنائه.

ثانيا: الآيات التي ورد فيها استواء الله على العرش وهي سبع أيات وقد تقدم ذكرها[٤].

ووجه دلالة تلك الآيات على بقاء العرش وعدم كونه من المخلوقات التي يعمها الفناء:أن الله عز وجل تمدّح في هذه الآيات السبعة من كتابه باستوائه على عرشه، واختصه لنفسه من بين جميع مخلوقاته مما يدل على أن له شأنا آخر،فأخبرنا سبحانه باستوائه على العرش ولم يخبرنا أن هذا الاستواء له حد ينتهي إليه،فلما كان الاستواء باقيا لزم أن يكون المستوى عليه باقيا،إضافة إلى ذلك أنه لم يأت نص يدل على أنه من المخلوقات التي يعمها الهلاك والفناء، فكان فيها دلالة واضحة على بقائه وعدم فنائه.

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية(١/ ٤٦٩).

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٣-١٧.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٤٧٠-٤٧٢).

(٤) انظر: (ص: ٤٧-٤٨) من البحث.

ثالثا: الأدلة التي فيها أن العرش سقف الجنة.

إن السنة النبوية قد دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش وقد ورد في ذلك أحاديث.

منها: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:" من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة "(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وأما "العرش" فلم يكن داخلًا فيما خلقه في الأيام الستة، ولا فيما يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، وقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن، سقفها عرش الرحمن، قال ﷺ: ((إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن))(٢)"(٣).

ووجه دلالة الحديث على بقاء العرش: أنه لما كان العرش سقفا للفردوس وهي جنة عدن باقية غير فانية ، دل ذلك على أن سقفها الذي عرش الرحمن لا يفنى ولا يبيد.

رابعا: عدم وجود دليل يدل على فناء العرش.

ورد في الكتاب والسنة نصوص كثيرة فيها إخبار عن قبض الأرض وطي السماء وتبديلهما وفناء ما فيهما من المخلوقات،ولم يرد في آية واحدة ولا في حديث أن العرش من هذه المخلوقات التي تتعرض لهذا التغيير،مع كونه أعظم مخلوقات الله تعالى،وكان هو أولى بالذكر من غيره ، لكونه من أشرف المخلوقات عند الله تعالى،واختصاصه بخصوصيات كثيرة من بين المخلوقات كالاستواء والعظمة وكونه أول المخلوقات وغيرها كثير.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٥) ،(كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]،ورقمه: (٧٤٢٣).

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٥) ،(كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]،ورقمه: (٧٤٢٣).

(٣) بيان تلبيس الجهمية(١/ ٤٦٥)

فلما لم يرد في النصوص ما يدل على فنائه وهلاكه، دل ذلك على أنه من المخلوقات التي خلقها الله للبقاء ولا يعمها الفناء الذي يأتي على جميع الخلق كما وعد الله تعالى في كتابه فقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(١)، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٣).

وقد أخبر ﷺ عن هذا التغيير الذي يعم المخلوقات في أحاديث كثيرة ولم يرد في واحد منها أن العرش من تلك المخلوقات التي يعمها الفناء.

وهذا كما في حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض "(٤).

وكذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :" يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون . ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون "(٥).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن، الآية:٢٦،٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٢٦) ، (كتاب التفسير/ تفسير سورة الزمر/ باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورقمه:(٤٨١٢). وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٢٦)، (كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب طي السماوات والأرض يوم القيامة)،ورقمه: (٢٧٨٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٢٦) ،(كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب طي السماوات والأرض يوم القيامة)، ورقمه: (٢٧٨٨).

وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺعن قوله عز وجل :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾(١)، فأين يكون الناس يومئذ ؟ يا رسول الله ، فقال : على الصراط"(٢).

ووجه دلالة هذه النصوص على بقاء العرش :أن فيها إخبارا عن هذا التغيير العظيم الذي يحصل للسموات ولم يرد في نص واحد من هذه النصوص أن العرش من المخلوقات التي تتعرض لهذا التغيير، فدل ذلك على بقائه وعدم فنائه.وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"وأما "العرش" فلم يكن داخلًا فيما خلقه في الأيام الستة، ولا فيما يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش "(٣).

إذا علم هذا فإن بقاء العرش وعدم فنائه يكون أمرا ثابتا بالكتاب والسنة كما سبق بيانه في الأدلة الآنف ذكرها، ووقع الإجماع على ذلك واتفقت عليه الأمة كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:"اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين(٤) كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها لما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك"(٥) .

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٢٦)، (كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب طي السماوات والأرض يوم القيامة)، ورقمه (٢٧٩١).

(٣) بيان تلبيس الجهمية(١/ ٤٦٥).

(٤) علم الكلام هو: ما أحدثه المتكلّمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به. وأهل الكلام: هم الذين يخوضون في مسائل أصول الدين كالوحدانية، والمعاد، وإثبات النبوات، والوعد، والوعيد، والإيجاب على الله ﷻ والتجويز. انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: ٩٥): مصطلحات في كتب العقائد (ص: ٩١).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٨١)، مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).

المبحث الثالث

مسألة مكان العرش

ثبت بالنصوص الشرعية أن العرش من أول مخلوقات الله تعالى، وأنه خلقه قبل القلم كما سبق بيانه في المبحث السابق، وفي هذا المبحث سيكون الكلام عن مكان العرش حين خلقه الله عز وجل،وعن مكانه بعد خلق السموات والأرض،وعن مكانه بالنسبة للخالق.

هذا وإن النصوص التي وردت في مكان العرش سلكت في بيان مكانه عدة مسالك، ففي بعضها إخبار أن العرش خلقه الله على الماء فهو فوق الماء، وفي بعضها أنه فوق الجنة وهو كالسقف لها، وفي بعضها إخبار أنه فوق السموات والأرض،وفي بعضها أنه فوق ظهور الملائكة،وقد بينت النصوص أيضا أن الله فوق العرش مستوى عليه استواء يليق بجلاله وفيما يأتي توضيح ذلك وبيانه.

أولا: مكان العرش قبل خلق السموات والأرض

ورد في القرآن والسنة عدة نصوص بينت أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات والأرض وما فيهما، وبينت هذه النصوص أيضا مكان العرش قبل الخلق،ودلت أنه كان على الماء قبل أن يخلق الله السموات وما فيها والأرض وما عليها،ولم يرد في القرآن ما يدل على مكان العرش إلا آية واحدة وهي قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[١]، فالآية فيها دلالة واضحة على مكان العرش قبل خلق السموات والأرض وأنه كان على الماء.

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية:"وقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن، وعن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ قبل أن يخلق شيئا"[٢]، وروى

(١) سورة هود، الآية: ٧.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٠).

أيضا بسنده عن قتادة في قوله:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[(١)]، ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض"[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف الذي لا يُعلَم فيه نزاع أن الله لما خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام كان عرشُه على الماء قبل ذلك، فكان العرشُ موجودًا قبل ذلك، وكان الماء موجودًا قبل ذلك"[(٣)].

وكما دل القرآن الكريم مكان العرش قبل خلق الخلق وأنه كان على الماء، كذلك دلت السنة على ما دل عليه القرآن،وفيما يأتي جملة من الأحاديث الدالة على ذلك.

الحديث الأول: حديث عمران بن حصين ﷺ وفيه:"كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء."[(٤)]. وفي لفظ: "كان الله عز وجل، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب جل ثناؤه في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض"[(٥)]. قال ابن حجر: "وقوله هنا "وعرشه على الماء" وقع في رواية إسحاق بن راهويه "والعرش على الماء" وظاهره أنه كذلك حين التحديث بذلك، وظاهر الحديث الذي قبله أن العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، ويجمع بأنه لم يزل على الماء وليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ماء تحت العرش كما شاء الله تعالى"[(٦)].

وقال ابن تيمية:"ففي الحديث الصحيح بيان أنه كتب في الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السموات والأرض."[(٧)].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٣٠١)، تفسير الطبري(١٢/ ٣٣٠). تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٧)

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٣٤٥).

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ٦١) من البحث.

(٥)أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٤)وفي الاعتقاد (ص:٩١).

(٦) فتح الباري (١٧/ ٤٠٤).

(٧) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية(ص:٢٩٣).

الحديث الثاني:عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :" سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وعرشه على الماء."(١)

أخبر ﷺأن تقدير خلق هذا العالم المخلوق في ستة أيام، وكان حينئذ عرشه على الماء،"والمعنى كان عرشه قبل أن يخلق السموات والأرض على وجه الماء، وفيه إشارة إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم، لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض"(٢).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺقال :" يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء(٣) الليل والنهار . وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده . وقال وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع "(٤).

ففي قول الله تعالى وحديث رسول الله ﷺدلالة ظاهرة أن العرش كان مخلوقا على الماء إذ لا أرض ولا سماء(٥).

وهذه المسألة لا تحتاج إلى تفسير بأكثر مما هو واضح، لأن هذه من الأمور الغيبية التي لا يجوز للمسلمين التوسع فيها، وإدخال العقل العاجز عن إدراك المغيبات، وتصويرها في حدود المشاهدات(٦).

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٥٢) من البحث.

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٥٩).

(٣) سحاء هو فعلاء من السح والسح الصب يقال يداه تسحان أي تصبان المال صبا والسماء تسح أي تصب. غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٥٦٤) :

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٢٢) ، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].ورقمه: (٧٤١١).

(٥) الرد على الجهمية للدارمي(ص:٢٩).

(٦) الموسوعة العقدية للألباني(٧/ ٦٨١).

ثانيا: مكان العرش بعد خلق السموات والأرض.

لبيان هذه المسألة لابد من جمع النصوص الواردة فيها، والنظر فيها نظر تأمل وتريث،لأن هذا من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها، والتي لا يدرك بمجرد الظنون والتخرص والتخمين ، وبعد جمع تلك النصوص والتأمل فيها، يظهر للناظر فيها، أن هذه النصوص بينت أن العرش فوق السموات، وأنه فوق ظهور الملائكة، وأنه فوق الفردوس الأعلى من الجنة،وفيما يأتي توضيح ذلك وبيانه.

أولا: بيان أن العرش فوق السموات والأرض.

إن علماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله على عرشه وعرشه فوق سمواته كما نطق به الحديث عن النبي ﷺ:"إن الله على عرشه، وعرشه على سماواته، وسماواته على أرضه، هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة"(١).

قال أبو حنيفة:"من لم يقر أن الله على العرش قد كفر لأن الله تعالى يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٢)،وعرشه فوق سبع سموات"(٣).

---

(١) أخرجه ابو داود في سننه (٤/ ٢٣٢)، (كتاب السنة/باب في الجهمية) برقم:(٤٧٢٦) وقال:"والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين، وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحاق، كما قال أحمد."، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية"إن هذا الحديث وأمثاله وفيما يشبهه في اللفظ والمعنى لم يزل متداولا بين أهل العلم خالفا عن سالف ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدق به راد به على من خالفه من الجهمية متلقين لذلك بالقبول حتى قد رواه الإمام أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه في التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بأحاديث الثقاتالمتصلة الإسناد."بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٢٤٤)، ووسمه الإمام الألباني بالضعف.انظر:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثره االسيئ في الأمة (٦/ ١٤٥).

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) نقله ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل(٦/ ٦٢٣)، الذهبي في العرش (٢/ ٢٢٦)،وفي العلو (ص:١٣٤)،وابن أبي العز في شرح الطحاوية(٢/ ٣٨٧) وغيرهم.

قال الدارمي:في رده على الجهمية"فقلت لبعضهم: أتقرون أن لله عرشا معلوما موصوفا فوق السماء السابعة تحمله الملائكة والله فوقه،كما وصف نفسه بائن من خلقه؟ فأبى أن يقر به كذلك ،وتردد في الجواب وخلط ولم يصرح"(١).

قال إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة: "من لم يقر أن الله على عرشه، استوى فوق سبع سمواته، بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه"(٢).

والقول بأن العرش فوق السموات لا يمنع من كونه على الماء،لأن الماء فوق السماء والعرش فوق ذلك كله، وهذا كقوله تعالى﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾مع قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٣).لأن السموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤)، لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات(٥).

ثانيا:بيان أن العرش فوق الفردوس.

ومما ورد في مكان العرش بعد خلق الخلق أنه فوق الفردوس الأعلى من الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:" إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة "(٦).

---

(١) الرد على الجهمية(ص:٢٦).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم(ص:٨٤).

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة(ص:١٠٧).

(٦) تقدم تخريجه في (ص: ٧٣) من البحث.

قوله: " وفوقه عرش الرحمن " هذه الجملة هي المقصود من سياق الحديث؛ لأنه يدل على أن العرش فوق الفردوس. قال ابن خزيمة: " الخبر يصرح أن عرش ربنا ﷻ فوق جنته، وقد أعلمنا ﷻ أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه، الذي هو فوق جنته"(١).

إشكال:

ظاهر قوله ﷺ" وفوقه عرش الرحمن "يدل على أنه ليس فوق الفردوس إلا عرش الرحمن جل وعلا، وقد سبق بيان أن العرش على الماء كما في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(٢)، فالحديث يشير أن أعلى الجنة العرش، والآية تذكر أن عرش الله سبحانه وتعالى فوق الماء؟ فكيف يكون التوفيق بين هذين النصين؟

يمكن الجمع بين هذين النصين بأن يقال:

أولا: أن المراد من قوله﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ أي أن أرجل حملته على الماء والعرش فوق ظهورهم محمول، وهو مع ذلك سقف الجنة. قال ابن حجر عند توجيهه هذه المسألة:"...ويحتمل أن يكون على البحر بمعنى أن أرجل حملته في البحر كما ورد في بعض الآثار(٣)"(٤).

ثانيا: وإما أن يقال:أنه لا تعارض ولا تنافي بين الآية والحديث، لأن العرش أعظم مخلوقات الله عز وجل، فما ينفي أن يكون بعظمته وسعته على الماءوعلى الفردوس الأعلى من الجنة، ومشكلة هذا السؤال وغيره من الأسئلة أن بعض المسلمين اليوم يحاولون أن يكيفوا الأخبار الغيبية تكييفا ماديا ملموسا، وهذا خطأ جدا؛ لأن الأمور الغيبية لا يجوز التوسع

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤٠).

(٢) سورة هود، الآية:٧.

(٣) روي في ذلك بعض الآثار ولكن لم يصح منها شيء يعتمد عليه، وهذه الآثار أخرجها أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة(٢/ ٥٥١) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٦)، وأوردها القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٧٧)، انظر في تخريجها مفصلا : الروايات التفسيرية في فتح الباري (١/ ٢٦٠).

(٤) فتح الباري (١٧/ ٤٠٥)

فيها وإنما يجب الوقوف عند حروفها وعدم التزايد عليها[1]. لأن من دأب السلف عدم الخوض في الأمور الغيبية إذا لم يرد فيه نص شرعي. كما قال سليمان التيمي[2] :"ولو سئلت أين الله لقلت في السماء، فإن قال فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت على الماء، فإن قال فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت لا أعلم. قال أبو عبد الله[3] وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[4]"[5].

وخلاصة الكلام في هذا أن يقال : إن الأماكن المذكورة في هذه النصوص أماكن نسبية، فالعرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض كما هو واضح في نص القرآن، وصار فوق السموات والأرض بعد خلقهما، وكونه فوق الفردوس لا يمنع من كونه فوق السموات والأرض، فهو فوقهما جميعا وفوق جميع المخلوقات، وكونه فوق ظهور الملائكة فالمراد منه أن الملائكة تحمله.

وجماع القول في هذه النصوص أن العرش كان على الماء قبل خلق هذه المخلوقات، فلما خلق الله الخلق صار العرش فوق جميع الخلق، على الماء وعلى غيره من المخلوقات.

أما ما يتعلق بحمل الملائكة للعرش وكونه فوق ظهور الملائكة فسوف يأتي في مبحث مستقل إن شاء الله.

---

(١) موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ٣٨٨).

(٢) هو سليمان بن طرخان مولى بنى مرة، وقيل مولى قيس كان ينزل في بنى تيم فنسب إليهم، كنيته أبو المعتمر وكان من عباد أهل البصرة وصالحيهم ثقة وإتقانا وحفظا، وهو أحد التابعين الأثبات. ولد في سنة ٦٦هـ ومات بالبصرة سنة ١٤٣هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٥٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٢٠)، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد للكلاباذي (١/ ٣١٠).

(٣) القائل هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥.

(٥) خلق أفعال العباد(٢/ ٣٨)

ثالثا :مكان العرش بالنسبة للخالق

أما مكان العرش بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات فهو أقربها إليه سبحانه، وذلك لأن الله سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر في موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١)، ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه..ومما يؤيد كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺقال: "ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال"(٢).

ووجه دلالة الحديث على كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله تعالى:أن حملة العرش هم أول من يسمع كلام الله وأوامره مما يدل على كونهم من أقرب الخلق إلى الله تعالى.قال القرطبي:"فيه ما يدل : على أن علوم الملائكة بالكائنات يستفيده بعضهم من بعض إلا حملة العرش ؛ فإنهم يستفيدون علومهم من الحق سبحانه وتعالى ، فإنَّهم هم المبدوؤون بالإعلام أولاً ، ثم إن ملائكة كل سماء تستفيد من التي فوقها"(٣).

فلما كانت حملة العرش من أقرب الخلق إلى الله تعالى دل ذلك على كون العرش الذي يحملونه أقرب منهم إليه سبحانه.

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،(٧/ ٣٦) ،(كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان) برقم:(٢٢٢٩) .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم(٥/ ٦٣٨).

المبحث الرابع

أن العرش عظيم

لما كان العرش أعظم مخلوقات الله وأظهرها وأنورها وأشرفها، وأعلاها ذاتا وقدرا وأوسعها جرما وحجما[(١)]، تنوعت دلالات النصوص في بيان عظمته وإظهار سعته، فتارة يأتي فيها التصريح بأنه مخلوق عظيم بلغ من العظمة غايته، وتارة يأتي فيها وصفه بالسعة والمجد والكرم، وفي بعضها إظهار لعظمة العرش بالنسبة للمخلوقات الأخرى إليه، وأنها لا تساوي شيئا إذا قورنت بالعرش، بل هي متناهية في الصغر بالنسبة إليه، وفي بعضها إظهار لعظمته وذلك في بيان عظمة حملته، لأنه لا يمكن حمل العظيم إلا عظيم من العظائم، وهذا ما سيظهر جليا لمن تتبع أوجه دلالة النصوص على ذلك، وفيما يأتي توضيح ذلك وبيانه.

الوجه الأول:التصريح بأن العرش مخلوق عظيم.

جاء بيان ذلك في عدد من نصوص الكتاب والسنة، وفيما يأتي ذكر بعضها مع نقل أقوال أهل العلم فيها.

أولا:الآيات التي ورد فيها التصريح بعظمة العرش.

إن الله عز وجل قد وصف العرش بالعظمة في ثلاث آيات من كتابه:

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[(٢)].

قال القرطبي:"خص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه إذا ما ذكره."[(٣)].

ونظير هذا قول ابن الجوزي:"وإنما خص العرش بالذِّكر، لأنه الأعظم، فيدخل فيه الأصغر"[(٤)].

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٣٠٢).

(٤) زاد المسير (٢/ ٣١٣).

وقال ابن كثير "قوله:﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى"(١).

وقال الشوكاني "وصفه بالعظم لأنه أعظم المخلوقات"(٢)،وهذه العظمة لا أحد يعلم حدها وقدرها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه(٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤).يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من رب السماوات السبع، ورب العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه.

قال ابن عطية "وخصص" العرش " بالذكر في قوله ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ لأنه أعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه "(٥).

الآية الثالثة: قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٦). قال الشوكاني: "وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع إلى رسول الله ﷺ"(٧).

والمراد من كونه عظيما كبر جرمه وعظم حجمه واتساع جوانبه على ما هو مذكور في الأخبار، والمقصود هنا أن هذا الوصف لم يثبت لغيره من المخلوقات العظام كالسموات والأرض اللذين هما أعظم مخلوق شاهده البشر، بل يوصف بالسموات بالسبع الشداد والسبع الطباق وغير ذلك، والأرض نقطة صغيرة بالنسبة للسموات العلى،فلما لم توصف السموات والأرض بالعظمة مع كونهما أعظم المخلوقات التي يشاهدها الإنسان واختص العرش بوصفه بالعظمة في نصوص الكتاب والسنة دل ذلك على أن العرش أعظم مخلوقات

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٣).

(٢) فتح القدير (٢/ ٤٧٦،٤/ ١٥٥).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١/ ٤٠٠).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦.

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ٢٥١)،تفسير ابن عطية (٤/ ٢٥٧).

(٦) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٧) فتح القدير(٤/ ١٥٥).

الله تعالى،ولذلك ذكر غير واحد من المفسرين على أن العرش أعظم المخلوقات. فإن قال: قائل قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم ، فما الفرق بينهما.؟

"قيل: أما وصف عرش بلقيس بالعظم فهو بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض، فحصل الفرق بينهما"(١) فهذا تعظيم للعرش بالنسبة إلى سائر ما خلق من السماوات والأرض ، وأما عرش بلقيس فهو تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك. فبين التعظمين تفاوت عظيم. قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية :"يعني بذلك: مالك العرش العظيم الذي كل عرش وإن عظم فدونه، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره."(٢).

ثانيا:الأحاديث التي فيها التصريح بأن العرش عظيم.

وقدجاء وصف العرش بأنه عظيم في أحاديث كثيرة من السنة النبوية، ومنها ما يأتي:

الحديث الأول :عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺكان يقول عند الكرب " لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم "(٣).

و"المقصودمن الحديث: قوله: "رب العرش العظيم" وقوله: "رب العرش الكريم" وكلاهما وصف للعرش، وصف بأنه عظيم، وبأنه كريم، والعظمة تدل على الكبر، والسعة، والكرم يدل على الحسن، والجمال، والسعة أيضاً.قال الكرماني: "وصف العرش بالعظمة، هو من جهة الكمية، وبالكرم، أي: الحسن من جهة الكيفية، فهو ممدوح ذاتاً وصفة، وخص بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم، فيدخل الجميع تحته دخول الأدني تحت الأعلى"(٤).

وربوبيته تعالى للعرش، مع وصفه بأنه عظيم وكريم، تفيد تخصيصاً له عن غيره من السماوات والأرض، وذلك لأنه قدخصه بقربه، واستوائه تعالى عليه"(٥).

---

(١) تفسير الخازن (٥/ ١٤٢).

(٢) تفسير الطبري(١٨/ ٤٤).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ٥١) من البحث..

(٤)شرح الكرماني على صحيح البخاري (٢٢/ ١٤٩)، وانظر:عمدة القاري (٢٢/ ٣٠٢).

(٥)شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤٢٢).

وقال بدر الدين العينى: "وتخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى... ووصف العرش هنا بالكريم أي: الحسن من جهة الكيفية فهو ممدوح ذاتا وصفة، وفي الحديث السابق وصفه بالعظمة من جهة الكمية"(١).

الحديث الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه

عن النبى ﷺ قال " من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض "(٢).

قال بدر الدين العينى :"ومعنى العظيم في حق الله تعالى عظمة شأنه، وارتفاع سلطانه، وفي حق العرش كونه أعظم المخلوقات"(٣).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان ينام على شقه الأيمن ثم يقول"اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر"(٤).

الوجه الثاني :وصف العرش بأنه كريم ومجيد.

ورد في القرآن الكريم ثلاث صفات للعرش،فقد وصفه الله بأنه عظيم ووصفه بأنه كريم ووصفه بأنه مجيد، فجمع الله له بهذه الأوصاف الحميدة،العظمة،والكرم الذي هو عبارة عن منظره الحسن البهي،والمجد الذي يدل على سعته، فهو موصوف بالكبر والسعة وحسن المنظر.

---

(١) عمدة القاري (٢٢/ ٣٠٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٨٧)،(الجنائز/ باب الدعاء للمريض عند العيادة)ورقمه: (٣١٠٦)، ورواه الترمذي في سننه(٤/ ٤١٠)، (أبواب الطب عن رسول الله ﷺ/ باب:٣٢) ورقمه: (٢٠٨٣) وقال هذا حديث حسن غريب، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(٢/ ١٠٠٥).

(٣) شرح سنن أبي داود للعيني(٦/ ٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٧٨) ، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع)، ورقمه: (٢٧١٣).

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾[1] أي: الحسن البهي. فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحسن الباهر؛ ولهذا قال من قال: إنه من ياقوتة حمراء."[2].

ووجه دلالة الآية على عظمة العرش: أن الله وصفه بأنه كريم، ومن معاني الكريم في اللغة العربية السعة والعظمة كما بين ذلك غير واحد من علماء اللغة.

قال الأزهري: "قوله: ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾: أي العظيم"[3]. ونظير هذا ما ذكره ابن منظور[4] في تفسير هذه الآية حيث قال: "قوله: ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾: أي العظيم"[5].

وقد وصف الله العرش بأنه مجيد.

قال تعالى: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾[6]، أضاف الله العرش إلى نفسه كما تضاف إليه الأشياء العظيمة الشريفة وهذا كما قال ابن القيم": يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه واختصاصه به بل يدل على غاية القرب والاختصاص كمايضيف إلى نفسه بذو صفاته القائمة به كقوله ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ﴾[7] ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ ﴾[8]، ويقال : ذو العزة وذو الملك وذو الرحمة ونظائر

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٢) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٨٩).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٥، ١٠/ ١٣٢).

(٤) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب لسان العرب، إمام حجة في علوم اللغة. ولد في سنة ٦٣٠هـ وتوفي في سنة ٧١١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦ / ١٥)، بغية الوعاة (١ / ٢٤٨).

(٥) لسان العرب (١٢/ ٥١٤،١٢/ ٥١٠).

(٦) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٨) سورة الرحمن، الآية:٧٢.

ذلك فلو كان حظ العرض منه حظ الأرض السابعة لكان لافرق أن يقال : ذو العرش وذو الأرض."(١).

والمجيد بالخفض: صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه، قال ابن عطية:"وخصص العرش بإضافة نفسه إليه تشريفا، وتنبيها على أنه أعظم المخلوقات،"(٢)

وقال ابن كثير:""ذو العرش" أي: صاحب العرش المعظم العالي على جميع الخلائق...والمجيد فيه قراءتان: الرفع على أنَّه صفة للرب عز وجل، والجر على أنَّه صفة للعرش. وكلاهما معنى صحيح "(٣).

وقال ابن القيم: "ومن قرأ المجيد بالكسر فهو صفة لعرشه سبحانه وإذا كان عرشه مجيداً فهو سبحانه أحق بالمجد... فإن الله سبحانه وصف عرشه بالكرم وهو نظير المجد ووصفه بالعظمة فوصفه سبحانه بالمجد مطابق لوصفه بالعظمة والكرم بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وبهاء منظره فإنه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجمله وأجمعه لصفات الحسن وبهاء المنظر وعلو القدر والرتبة والذات ولا يقدر قدر عظمته وحسنه وبهاء منظره إلا الله ومجده مستفاد من مجد خالقه ومبدعه."(٤).

والمجد(٥) في لغة العرب يعطي معنى السعة، تقول العرب: أمجد الناقة علفاً أي أوسع لها وأكثر لها العلف. ويقولون: استمجد المرخ والعفار ــ وهما نوعان من الشجر أي كثر

---

(١) التبان في أقسام القرآن (ص: ٥٧).

(٢) تفسير ابن عطية(٥/ ٤٦٢).

(٣) تفسير ابن كثير(٨/ ٢٧١).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (ص:٩٥).

(٥) قال ابن فارس: مقاييس اللغة(٥/ ٢٩٧)"الميم والجيم والدال أصل صحيح، يدل على بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود. منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم. والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه. وتقول العرب: ماجد فلان فلانا: فاخره. ويقولون مثلا:" في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار"، أي استكثرا من النار وأخذا منها ما هو حسبهما، فهما قد تناهيا في ذلك، حتى إنه يقبس منهما... وقال قوم: أمجدت الدابة: علفتها ما كفاها."

وجودهما بشكل واسع وكبير.فهذا الوصف: المجيد يدل على السعة، فإذا كان هذا معناه فوصف العرش به يدل على أنه أوسع المخلوقات.

قال ابن القيم في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾(١)،"استوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(٢)، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء."(٣).

وبين الرسولﷺ عظمته بأن صور سعة العرش بالنسبة للسماوات والأرض، وصغرهما بالنسبة إليه،حيث حدد ﷺ المسافة التي بين السموات والأرض،وبين السموات الكرسي، وبين الكرسي والعرش، كما في حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ وفيه: أن النبي ﷺ قال:"هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمس مائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمس مائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تبارك وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء"، وفي رواية:"كم ترون بينكم وبين السماء. قالوا: لا ندري، قال:فإن بينكم وبينها إما واحدا، أو اثنين، أو ثلاثا وسبعين سنة، والسماء فوقها كذلك،حتى عد سبع سماوات"(٤).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(١/ ٥٧).

(٤) أخرجه أبوداود في سننه (٤/ ٢٣١)، (كتاب السنة / باب في الجهمية) ورقمه: (٤٧٢٣)، وأخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤٠٣)، (التفسير/ باب سورة الحاقة) ورقمه: (٣٢٩٨) وقال هذا حديث حسن غريب.وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ١٣٣)،(المقدمة/باب فيما أنكرت الجهمية)،ورقمه: (١٩٣)وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٢).، .وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣/ ١٩٢) حيث قال:"إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا

"ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير العادة مثلاً، ونيف وسبعون سنة، على سير البريد"(١).

وعن ابن مسعود، ﷺ قال:"ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش،وهو يعلم ما أنتم عليه"(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "هذا الحديث موقوف على ابن مسعود ،لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون له حكم الرفع ،لأن ابن مسعود لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات"(٣).

يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي ﷺ، والإثبات مقدم على النفي،والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته" انتهى كلامه. وكذلك تلميذه ابن القيم. انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٢٢)، قال الذهبي في العرش(٢/ ٤١)"رواه أبو داود بإسناد حسن وفوق الحسن."، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين:(ص:٢٦٤): "وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه".وممن ضعفه الشيخ الألباني كما في سلسلةالأحاديث الضعيفة (٣/ ٣٩٨-٤٠١) برقم: (١٢٤٧).

(١) العرش للذهبي(٢/ ٤٢)، وانظر:فتح الباري(١٣/ ٤١٣).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية(ص:٥٥)، وأبو الشيخ في العظمة(٢/ ٦٨٨)،و البيهقي في الأسماء والصفات(٢/ ٢٩٠).قال الذهبي في العرش(٢/ ١٦٥) رواه اللالكائي والبيهقي بإسناد صحيح عنه. وقال الألباني: إسناده حسن لكنه موقوف. الرد على الجهمية لعثمان الدارمي، تخريج الألباني (ص:٢٧).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٣٧).

الوجه الثالث: بيان عظمة العرش بالنسبة للمخلوقات.

إن أعظم المخلوقات التي يشاهدها البشر، السموات والأرض وما فيهما،وهذه المخلوقات بالنسبة إلى العرش صغيرة الأحجام خفيفة الأوزان، فهي بنسبتها إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وهذا مما عده بعض أهل العلم من المتواتر.(١) وقد ورد هذا مرفوعا إلى النبي ﷺ كما في حديث زيد بن أسلم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس"(٢).

وكذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض"(٣).

وعن مجاهد أنه قال: " ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة،(٤) وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة(٥).

فإن الأرض التي يتعاظمها أهلها، والسماوات التي يتعاظمها من نظر إليها، هي متناهية في الصغرأمام الكرسي، ولهذا مثل النبي ﷺ السماوات السبع في الكرسي الذي هو فوق ذلك،

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم النجدي (ص:٤٠١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)وابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٥٧٠، ٢/ ٦٤٨)، وابن بطة في الإبانةالكبرى (٧/ ١٨٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠١) وقال:"تفرد به يحيى بن سعيد السعدي وله شاهد بإسناد أصح". وسيأتي في الحاشية الآتية تخريج طريق أي ذر، وقال الألباني بعد ذكر طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٢٦):"وجملة القول: أن الحديث بهذه الطرق صحيح وخيرها الطريق الأخير والله أعلم". يريد طريق ابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، العظمةلأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٥٨٧)،وصححه الألباني بمجموع طرقه كما في الحاشية السابقة.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٣/ ٩٥١)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٢٤٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠١) قال ابن حجر: "أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه" فتح الباري ١٣/ ٤١١).

(٥) الشطر الأخير من الأثر أخرجه أبو الشيخ في العظمة(٢/ ٦٣٢).

وهو أكبر بكثير من السماوات بقوله:"إن السماوات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس" يعني: هذه السماوات صغيرة جدا بالنسبة إلى الكرسي، بل كدراهم سبعة ألقيت في ترس، والترس مكتنفها متقوس عليها، فهي صغيرة فيه وهو واسعها ، كما قال ﷻ عن الكرسي:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

فالأرض نقطة صغيرة جدا بالنسبة إلى السماء، والأرض والسماوات مجتمعة في غاية الصغر بالنسبة للكرسي، والكرسي أيضا فوقهما، وفوق ذلك عرش الرحمن ﷻ ، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فهو متناهي الصغر بالنسبة إلى عرش الرحمن(٢).

ووجه الدلالة من هذه الآثار: أنه لما كانت السموات والأرض متناهية في الصغر بالنسبة إلى الكرسي، وكان الكرسي متناهيا في الصغر بالنسبة للعرش، دل ذلك على كون العرش أعظم مخلوقات الله جل وعلا التي بلغنا علمها.

الوجه الرابع: بيان عظمة العرش ببيان عظمة حملته:

إن من أعظم خلائق الله ﷻ حملة عرشه،وإن مما بلغنا من أوصافهم وأذن لنا الشارع بالتحدث به، أنهم خلائق عظام، خفقان الطائر بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه سبعمائة عام، وفيما يأتي ذكر بعض الأحاديث الدالة على عظمة حملة العرش.

أولا: حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام"(٣).

وفي لفظ: "بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام"(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٩١).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ٥٣) من البحث.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧٠)، قال ابن كثير: "وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات" تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٢).وقال ابن حجر بعد ذكره رواية أبي داود في الحاشية السابقة: "أخرجه أبوداود وابن أبي حاتم من رواية إبراهيم بن طهمان عن محمدبن المنكدر وإسناده على شرط الصحيح"

ثانيا:حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه منثن تحت العرش،وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه، ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا "(١).

قال عبد الرؤف المناوي(٢): قوله "إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك" أي عن عظمة جثة ديك من خلق الله تعالى يعني عن ملك في صورة ديك وليس بديك حقيقة كما جاء تصريح ذلك في رواية أخرى:" إن لله تعالى ملكا في السماء يقال له الديك إلخ "(٣)"(٤).

والدليل على أن هذا الملك من حملة العرش قوله في رواية أخرى:" والعرش على منكبيه وهو يقول: سبحانك أين كنت، وأين تكون"(٥).

ودلالة هذه الأحاديث على عظم خلق الملائكة من وجهين:

الوجه الأول:أن المسافة التي بين أذن أحدهم إلى عاتقه بعيدة كل البعد حيث يستغرق الطائر سبعمائة سنة في الطيران للوصول إلى العاتق،وهذا يدل على أن هذه الملائكة أعظم خلقا من

فتح الباري (٨/ ٦٦٥)، وهذا يدل على أن هذه الرواية صحيحة ثابتة، وفي هذا رد على ما ذكره الشيخ الألباني: أن ذكر خفقان الطير في هذا الحديث منكر. انظر:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(١٤/ ٩٨٩).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط(٧/ ٢٢٠) وأبو الشيخ في العظمة(٣/ ١٠٠٣،٥/ ١٧٥٥) والحاكم في المستدرك(٤/ ٣٣٠)، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك، وقال الإمام الألباني صحيح. انظر سلسة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٨١)، وصحيح الجامع (١/ ٣٥٢).

(٢) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. ١٠٣١هـ. انظر: الأعلام للزركلي(٦/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠١٣)، وهذا ليس حديثا وإنما قول لأحد علماء السلف.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير(٢/ ٢٠٨).

(٥) سيأتي تخريجه في (ص: ١٥٧) من البحث.

السموات والأرض،لأن بعد ما بين سماءين مسيرة خمسمائة سنة[١]، وبعد ما بين شحمة أذن الملك إلى عاتقه فقط مسيرة سبعمائة سنة.

الوجه الثاني:أن رجلي هذا الملك في الأرض السفلى والعرش فوق ظهره محمول، فطوله من الأرض السفلى إلى العرش، ولما كان طول أحد حملة العرش من الأرض إلى العرش كان ذلك دليلا على أن العرش الذي يحمله أعظم من جميع الكون كله.

(١) كما تقدم بيان ذلك في حديث ابن مسعود المتقدم في (ص: ٩٤) من البحث.

المبحث الخامس

أن العرش سقف المخلوقات . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أن العرش سقف المخلوقات .

المطلب الثاني : مسألة هل العرش كروي ؟ .

المطلب الأول

أن العرش سقف المخلوقات

لما كان العرش أعظم مخلوقات الله وأوسعها وأرفعها وأعلاها، وكان محيطا بها قد وسعها، صار سقفا لجميعها، وصارت كلها تحته، لكونها متناهية في الصغر بالنسبة إليه، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، واعتمدوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

أولا:الأدلة من الكتاب:

لم يرد نص صريح من القرآن يدل على ان العرش سقف المخلوقات ولكن استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى:﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾(١).على أن المراد من السقف الوارد في هذه الآية هو العرش، فقد أقسم تعالى بعدد من مخلوقاته العظام الدالة على قدرته العظيمة، من السموات والبحار والجبال،والبيت المعمور الذي فوق السماء السابعة، أن عذابه واقع بأعدائه،ولا دافع له عنهم، ومن هذه المخلوقات التي أقسم الله بها "السقف المرفوع". والسقف المرفوع له معنيان عند المفسرين:

المعنى الأول: أن المراد من السقف المرفوع هو السماء، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

المعنى الثاني: أن المراد من السقف المرفوع هو العرش . قاله الربيع بن أنس(٢)، ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.وهو قول غير واحد من المفسرين.

قال أبو المظفر السمعاني(٣):"قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾(٤)، فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، والآخر:

---

(١) سورة الطور، الآية: ٥.

(٢) الربيع بن أنس البكري، نسبة إلى بكر بن وائل، البصري ثم الخراساني من صغار التابعين، توفي ما بين ١٣١ه و١٤٠ه .انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٧٠)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٧١)

(٣) هو الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الشافعي. ولد: سنة ٤٢٦هـ، وتوفي سنة ٤٨٩هـ. سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٦٤٠).

(٤) سورة الطور، الآية: ٥.

أنه العرش"[١]. وقال ابن الجوزي:"قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾[٢]: فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، قاله عليّ رضي الله عنه والجمهور. والثاني: العرش، قاله الربيع"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي:﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾[٤]، يعني السماء سماها سقفا، لأنها للأرض كالسقف للبيت، بيانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٥]. وقال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة"[٦].ولذلك استدل بعض أهل السنة والجماعة بهذه الآية على كون العرش سقفا لجميع المخلوقات.

قال ابن كثير بعد ذكره قول الجمهور: "وقال الربيع بن أنس: هو العرش، يعني أنه سقف لجميع المخلوقات، وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور"[٧].وهذا القول وإن كان الجمهور على خلافه لكن له حظ من النظر كما وجه إليه الحافظ ابن كثير رحمه الله.

ثانيا: الأدلة من السنة:

الحديث الأول:حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه:"..فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"[٨].

قال الحافظ ابن كثير:"قوله"وفوقه" بالفتح على الظرفية، وبالضم، قال شيخنا الحافظ المزي: وهو أحسن، أي وأعلاها عرش الرحمن"[٩].

---

(١) تفسير السمعاني(٥/ ٢٨٦).

(٢) سورة الطور، الآية: ٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير(٤/ ١٧٦).

(٤) سورة الطور، الآية: ٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٢.

(٦) تفسير القرطبي(١٧/ ٦١).

(٧) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٩) وانظر أيضا الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٣/ ٦٨٣)، فتح القدير (٥/ ١١٣) روح المعاني(١٤/ ٢٨).

(٨) تقدم تخريجه في (ص:٧٣) من البحث.

(٩) البداية والنهاية(١/ ١٩).

ووجه الدلالة من الحديث على كون العرش سقفا للمخلوقات : أنه لما كان العرش فوق الجنة وكان أقرب المخلوقات إلى الله عز وجل، وكان الرب سبحانه وتعالى مستو عليه، كما ينبغي لجلال عزه وعظيم سلطانه، دل ذلك على أنه سقف للمخلوقات كلها عال عليها، علوا لا يدانيه شيء.وأن جميع المخلوقات تحته.

يقول أبو بكر ابن خزيمة:"الخبر يصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته، وقد أعلمنا جل وعلا أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته."(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله:"وقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن، سقفها عرش الرحمن، قال ﷺ: "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن"(٢) فهذه الجنة سقفها الذي هو العرش فوق الأفلاك"(٣). وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى على أن العرش سقف المخلوقات وأعلاها وفيما يأتي جملة طيبة من أقوالهم.

قال الإمام أحمد: "وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد."(٤).

وقال ابن تيمية في معرض كلامه عن العرش:"قد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات وهو العالي عليها من جميع الجوانب وأنه لا يجوز أن يكون شيء مما في السماء والأرض فوقه"(٥).

وقال ابن كثير: "﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٦)، أي: هو مالك كل شيء، وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات، وجميع المخلوقات، من السماوات والأرضين، وما فيهما، وما بينهما، تحت العرش، مقهورون بقدرة الله"(٧).

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤١).

(٢) قوله "وسقفها عرش الرحمن " لم أجده في شيء من الكتب الستة.وإنما الوارد في صحيح البخاري، لفظ "وفوقه عرش الرحمن" كما تقدم. انظر:(ص: ٦٦) من البحث .

(٣) تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٥)، وانظر :الرسالة التدمرية (ص:٨٥).

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٧٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨١).

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٧) تفسير ابن كثير(٤/ ٢٤٣).

وقال ابن أبي العز في معرض كلامه عن العرش:"فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات."(١).

الحديث الثاني: حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ وفيه: "إن الله على عرشه، وعرشه على سماواته، وسماواته على أرضه، هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة"(٢).

قال ابن تيمية : "فإن الحديث يدل على أن الله فوق العرش ويدل على إحاطة العرش وكونه سقف المخلوقات"(٣). وقال ابن كثير:في قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤)"، أي: من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم، يعني: الذي هو سقف المخلوقات.كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "شأن الله أعظم من ذلك، إن عرشه على سمواته هكذا" وأشار بيده مثل القبة(٥)"(٦).

والحاصل كما قال الشيخ ابن عثيمين :"أن العرش هو سقف المخلوقات كلها، وهو عرش عظيم استوى عليه الرحمن ﷻ- كما قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٧)"(٨).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص:٢٧٨)، البداية والنهاية (١/ ٢٠)، وانظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٤،٥٨٥،٥٢١).

(٢) تقدم تخريجه في (ص: ٧٩) من البحث.

(٣) مجموع الفتاوى(٢٥/ ١٩٨).

(٤) سورة المؤمنون، الآية:٨٦.

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ٧٩) من البحث.

(٦) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٨٩).

(٧) سورة طه، الآية: ٥.

(٨) تفسير ابن عثيمين(سورة البروج/ ص:١٤٠).

المطلب الثاني

مسألة هل العرش كروي؟

قبل الكلام عن مسألة كروية العرش أود التمهيد لها تمهيدا تقريبيا في وصف تكوين العالم العلوي والعالم السفلي حسب ما ورد في النصوص الشرعية وأقوال أهل العلم في تفسيرها، وذلك لتيسير فهم شبهة القائلين بكروية العرش، ومن ثم يسهل بيان الصواب في المسألة.

فإن من المتقرر عند علماء المسلمين وغيرهم من علماء الفلك أن الأرض التي وضعها الله للأنام كروية الشكل، ونقل الإجماع على هذا غير واحد من علماء المسلمين (١).

ومن المتقرر أيضا أن الأرض في وسط السماء والسماء محيطة بها من جميع الجوانب وهي طبقات بعضها فوق بعض، كما ذكر ذلك غير واحد من علماء المسلمين(٢).

وتقرر أيضا عند أئمة السلف أن السموات السبع في جوف الكرسي كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣). يقول السدي في تفسير الآية: "إن السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه"(٤).

ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: " ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة "(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية وكذا الباقي. والكرسي فوق الأفلاك كلها والعرش فوق الكرسي ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة. والأفلاك

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٩٥، ١٥٠-١٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٥٣٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩١)، تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠).

(٥) تقدم تخريجه في (ص:٩٢) من البحث.

مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع؛ فإن لفظ " الفلك " يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١]"[٢]. قال ابن مسعود في هذه الآية: :"إن السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه"[٣].

وهذه السموات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ألقيت في أرض فلاة، فالعرش محيط بالكرسي الذي وسع السموات والأرض، بل هو محيط بالعالم كله[٤].ولا يلزم من هذه الإحاطة أن يكون العرش فلكا من الأفلاك ولا كرة من الكرات كما سيأتي بيانه.

فهذه صورة مصغرة ونبذة مختصرة عما وصل إلينا علمه من وضع العالم، بداية من الأرض مرورا بالسموات العلى، وانتهاء إلى الكرسي والعرش.

شبهة القائلين بكروية العرش.

إذا علم هذا "فإن طائفة من المتأخرين نظروا في علم الهيئة[٥] وغيرها من الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع وهو الأطلس[٦] محيط بها مستدير كاستدارته.. ثم سمعوا في أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وذكر كرسيه وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن إن العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع

---

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٦).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة ، الكتاب الثالث (٣/ ٣٢٤- ٣٢٥) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ١٩٥).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل(٧/ ٨)، الصواعق المرسلة(٤/ ١٣٠٨).

(٥) علم الهيئة هو العلم المختص بالكلام في الأجرام العلوية ، وما تحويه السفلية ، من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها. انظر: الجديد في الحكمة (ص: ٤٠٣).

(٦) الأطلس: هو الفلك الأعظم عند الفلاسفة وهو جسم كري يحيط بالعالم، وبه يتناهى العالم الجسماني فلا يكون وراءه خلاء ولا ملاء، وسمي بالفلك الأطلس لأنّه ليس فيه كواكب ولا نجوم، ويقال له أيضا فلك الأفلاك وفلك الكلّ، وكرة الكلّ، والفلك الأعلى والفلك الأقصى والفلك التاسع. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢ / ١٢٨٩)، تكملة المعاجم العربية (٧/ ٦٥) .

شيء إما مطلقا،وإما أنه ليس وراءه مخلوق"[١].فاعتبروا السموات السبع سبع أفلاك واعتبروا الكرسي الفلك الثامن والعرش الفلك التاسع، وكل فلك من الأفلاك كروي الشكل مستدير، فزعموا أن شكل العرش كروي مستدير كاستدارة الأفلاك[٢]. **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

الوجه الأول: عدم وجود دليل نقلي على كروية العرش.

فهذه المسألة مسألة غيبية لم يتطرق في البحث عنها علماء السلف لعدم ورود ما يعتمد عليه في ذلك،والأمور الغيبية متوقفة على النصوص الشرعية لقوله تعالى﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٣]، فالجزم بأن العرش كروي الشكل بدون استناد إلى نص شرعي يكون تقولا على الله بلا علم.ورب العرش قد نهى عن عباده أن يقولوا على الله ما لا يعلمون. قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤].

وأول من خاض في بحث هذه المسألة هم الذين تأثروا في علم الكلام والفلسفة،وسبب قولهم بكرية العرش: أنهم لما نظروا في علم الفلك رأوا أن الأفلاك مستديرة وأنها كرية الشكل، ثم سمعوا بأخبار العرش الواردة في النصوص الشرعية، فقالوا ظنا وتخمينا إن العرش كري الشكل كالأفلاك الأخرى وهو الفلك التاسع، وفي هذا يتبين أنه

" لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن " العرش " فلك من الأفلاك المستديرة الكروية الشكل؛ لا بدليل شرعي. ولا بدليل عقلي."[٥].

---

(١) الرسالة العرشية (ص:٤)، مجموع الفتاوى، (٦/ ٥٤٦).

(٢) انظر:المواقف للإيجي (١/ ٨)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٥٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٤٦)، الرسالة العرشية (ص: ٤)، الرد على المنطقيين (ص: ٢٦٧). تفسير ابن كثير (١/ ٦٨١).روح المعاني (١٢/ ٢٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٣٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٥) الرسالة العرشية (ص:٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٤٦).

الوجه الثاني: عدم وجود دليل عقلي على كون العرش هو الفلك التاسع.

إن القول بأن العرش هو الفلك التاسع قول لم يبن على أي دليل، فقد تقدم أنه لا يوجد دليل من الكتاب والسنة يدل على ذلك، وكذلك فإنه لا يوجد دليل عقلي يدل على أن العرش هو الفلك التاسع. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء آخر، بل ولا قام عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة، والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه، وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون لا ثبوته ولا انتفاءه.

مثال ذلك: أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا، بأن السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه في فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة، على أن الأفلاك مختلفة، حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك، كفلك التدوير وغيره.

فأما ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته: فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم"[1]. وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الأفلاك التسعة، كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل هو أن العرش هو الفلك التاسع رجما بالغيب، وقولا بلا علم. هذا كله بتقدير ثبوت الأفلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة[2].

الوجه الثالث: أن العرش مغاير لأشكال الأفلاك.

"فالأفلاك في أشكالها، وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد؛ فنسبة السابع إلى السادس، كنسبة السادس إلى الخامس، وإذا كان هناك فلك تاسع فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن إلى السابع. وأما العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات، وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض"[3]. فالآيات والأحاديث تدل على أن العرش مباين لغيره من المخلوقات وأن الله قد اختصه وميزه بأمور كثيرة منها:

---

(١) الرسالة العرشية (ص:٥-٦).

(٢) الرسالة العرشية(ص:٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٠)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية(٤/ ١٠٧)، الرسالة العرشية(ص:٧).

أن له حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، وأن الله قد أخبر بوجوده قبل خلق السموات والأرض وقبل وجود الأفلاك وأن الله سبحانه تمدح نفسه بأنه ذو العرش، ووصف العرش بأنه مجيد، وعظيم، وكريم. كما أن مما يدل على فساد قولهم ما ثبت في الشرع من أن للعرش قوائم وأنه يهتز، ومعلوم أن الأفلاك مستديرة وليس لها قوائم، كما أنها متحركة دائماً بحركة متشابهة لا تتغير، كما ثبت أيضاً أن زنة العرش أثقل الأزوان،وهم يقولون إن الفلك التاسع لا خفيف ولا ثقيل[1].

"**فقول القائل المنازع**: إن نسبة الفلك الأعلى إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، لو كان العرش من جنس الأفلاك، لكانت نسبته إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر، كما لم يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء، وإن كانت العليا بالنسبة إلى السفلى كالفلك على قول هؤلاء، وإنما امتاز عما دونه بكونه أكبر، كما تمتاز السماء العليا عن الدنيا، بل نسبة السماء إلى الهواء، ونسبة الهواء إلى الماء والأرض. كنسبة فلك إلى فلك. ومع هذا فلم يخص واحدا من هذه الأجناس عما يليه بالذكر، ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة "[2].

إشكال: قد يقول قائل: قد تقرر عند علماء المسلمين أن السموات مستديرات الأشكال، وأن الأرض في جوفها، وأن الكرسي محيط بالسموات والأرض، وأن العرش محيط بالخلق كله، ألا يدل ذلك على كون العرش فلكا مستديرا كروي الشكل؟ لكونه محيطا بالمخلوقات كلها، مع ما جاء في الآثار من كون العرش كالقبة على العالم، وكونه سقفا للفردوس الذي هو أعلى الجنة وأوسط الجنة، مع أن الأوسط لا يكون الأعلى إلا في المستدير؟ .

والجواب عن هذا الإشكال: أن يقال نعم قد تقرر ذلك عند علماء المسلمين[3]،

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٠)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ١٠٧)، الرسالة العرشية (ص: ٧)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠٨)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٤٥٠)، مقدمة التميمي على كتاب العرش للذهبي (١/ ٢٩١).

(٢) انظر:مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٢)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ١٠٩)، الرسالة العرشية (ص:٧-١٠).

(٣) انظر:(ص: ١٠٢) من البحث.

لكن كون العرش كالقبة على العالم، وكونه محيطا بالمخلوقات كلها، لا يلزم منها أن نجزم أن إحاطة العرش بالمخلوقات كإحاطة الكرة بما فيها، إذ ليس هناك ما يدل على ذلك دلالة قطعية، وهذه المسألة من الأمور الغيبية فلا يجوز الخوض فيها بدون بينة شرعية، وتمام البيان في هذا أن يقال: إن كون العرش كالقبة على العالم دلت عليه بعض الأحاديث واحتج بها العلماء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب بالحديث الذي في سنن أبي داود وغيره عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: "" ويحك! أتدري ما تقول؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، إن الله على عرشه، وإن عرشه على سمواته وأرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة".

وفي لفظ: "وإن عرشه فوق سمواته، وسمواته فوق أرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة"[1].

وقوله في الحديث مثل "القبة": يعني أنه على شكل القبة على العالم، وليس المراد أن العرش كالقبة فوق السماوات من جانب واحد، فإن السماوات محيطة بالأرض، ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم[2]. والعرش فوق كل جماعة على سطح الأرض من جهتهم.

فإذا كان ذلك كذلك فإنه يصح أن يقال إن العرش مقبب على السموات من كل جهة ولا يلزم من ذلك أن يقال إنه فلك ولا أن يوصف بالاستدارة مطلقا،فلفظ القبة لا يتعرض لهذا المعنى لا بنفي ولا إثبات، لكن يدل على الاستدارة من العلو كالقبة الموضوعة على الأرض.

يقول شيخ لإسلام ابن تيمية في تعليقه على الحديث المتقدم: "وهذا الحديث وإن دل على التقبيب، وكذلك قوله عن الفردوس:" إنها أوسط الجنة وأعلاها"، مع قوله: "إن سقفها عرش الرحمن، وإن فوقها عرش الرحمن"، والأوسط لا يكون الأعلى إلا في المستدير، فهذا لا يدل على أنه فلك من الأفلاك، بل إذا قدر أنه فوق الأفلاك كلها أمكن هذا فيه سواء قال

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٧٩) من البحث.

(٢): انظر فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي(١/ ٢٥٠).

القائل: إنه محيط بالأفلاك، أو قال: إنه فوقها وليس محيطا بها، كما أن وجه الأرض فوق النصف الأعلى من الأرض، وإن لم يكن محيطا بذلك. وقد قال إياس بن معاوية[١]: "السماء على الأرض مثل القبة"[٢]، ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو، ولا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل.

ولفظ الفلك يدل على الاستدارة مطلقا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٤]، يقتضي أنها في فلك مستدير مطلقا. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: في فلكة مثل فلكة المغزل[٥].

وأما لفظ القبة، فإنه لا يتعرض لهذا المعنى، لا بنفي ولا إثبات، لكن يدل على الاستدارة من العلو، كالقبة الموضوعة على الأرض."[٦].

وأما مسألة إحاطة العرش بالمخلوقات:

فقد قال غير واحد من علماء السنة وأئمة السلف أن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، فالسموات في جوف الكرسي، والكرسي وسع السموات والأرض، فهو محيط بما دونه من

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة: تابعي مشهور، قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. كان صادق الظن لطيفاً في الأمور، مشهوراً بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء وكان رأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. وكان ثقة فقيها، ولد سنة ٤٦هـ وتوفي سنة ١٢١هـ وقيل ١٢٢هـ، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٤)، وفيات الأعيان (١/ ٢٤٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٧٤).

(٢) نقله ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ١٨٣)، وفي التبصرة (٢/ ١٦٤)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٦)، وفي الرسالة العرشية (ص:١٣-١٤) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٢٩).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

(٤) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٥) لم أقف على أحد نقل هذا القول عن ابن عباس قبل شيخ الإسلام ابن تيمية: كما في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٨)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٧) والذي في صحيح البخاري (٦/ ٩٦): أن هذا القول للحسن البصري.

(٦) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٦)، الرسالة العرشية (ص:١٣-١٤).

الخلق، والعرش فوق الكرسي محيط به عال عليه، وهذا قول ابن جرير الطبري، وابن القيم، وابن عثيمين، وغيرهم. وفيما يأتي توضيح ذلك:

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: "﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾[١]، " يقول ذو السرير المحيط بما دونه"[٢]

وقال أيضا: "وقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣]. يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله"[٤].

وقال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[٥]، فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم. كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء"[٧].

وقال ابن عثمين: "والعرش هو ذلك السقف المحيط بالمخلوقات ولا نعلم مادة هذا العرش لأنه لم يرد عن النبي ﷺ حديث صحيح يبين من أين خلق هذا العرش لكننا نعلم أنه أكبر المخلوقات التي نعرفها"[٨].

وقال أيضا: "..أما العرش فهو ذلك المخلوق العظيم الذي فوق جميع المخلوقات واختصه الله تعالى لنفسه، وهو محيط بالكون كله"[٩].

---

(١) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٢) تفسير الطبري(٢١/ ٣٦٣).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٢.

(٤) تفسير الطبري(٢١/ ٦٥٢،١٩/ ٦٣).

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي(٦/ ٦).

(٨) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٤٧).

(٩) شرح العقيدة السفارينية (ص:٢٣٥).

هذه بعض أقوال أهل العلم في بيان كون العرش محيطا بالمخلوقات، ولكن لم يرد عن علم من أعلام السنة أن إحاطة العرش بالمخلوقات إحاطة كروية، ولكنهم أطلقوا الإحاطة ولم يكيفوها لعدم ورود نص يدل على ذلك، فيسعنا ما وسع القوم وحسبنا أن ننقل ما أثر عنهم من أقوالهم في وصف العرش، وأما التقديرات العقلية فليس لها حد تنتهي إليه، وما لم يرد فيه نص شرعي، فلا يجزم بنفيه ولا ثبوته.

قال شيخ الإسلام:"وسواء قدر أن العرش هو محيط بالمخلوقات - كإحاطة الكرة بما فيها - أو قيل إنه فوقها وليس محيطا بها؛ كوجه الأرض الذي نحن عليه بالنسبة إلى جوفها وكالقبة بالنسبة إلى ما تحتها أو غير ذلك. فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه"(١).

وقال أيضا:"وإذا كان الأمر كذلك فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا"(٢). وقال أيضا:"وغاية ما يقدر أن يكون كروي الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله ؛ فإن السموات السبع والأرض في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا"(٣).

وخاتمة القول أن يقال:" العرش: سواء كان هو الفلك التاسع أو جسما محيطا بالفلك التاسع أو كان فوقه من جهة وجه الأرض غير محيط به أو قيل فيه غير ذلك(٤) فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٥) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٤)، الرسالة العرشية(ص:٢١).

(٢) مجوع الفتاوى(٦/ ٥٦٧)، الرسالة العرشية(ص:٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى(٦/ ٥٦٧)، الرسالة العرشية(ص:٢٣).

(٤) هذه احتمالات وتقديرات عقلية لا أقل ولا أكثر، وقد تقدم بيان فساد قول القائلين بأن العرش فلك من الأفلاك.

(٥) سورة الزمر،الآية: ٦٧.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :" يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟"[١][٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ففي هذه الآية، والأحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السماوات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضته لها إلا كالشيئ الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما يدحى بالكرة"[٣].

تنبيه: حينما نقول: إن العرش محيط بالمخلوقات، لا يجوز أن نسحب القياس إلى معنى فوقية الله عز وجل، ومعنى كونه مستوياً على العرش، ونقول كذا في حق الله، فالله أعظم وأجل من أن تدركه عقولنا وأبصارنا، والله عز وجل، ليس كمثله شيء.

وحينما نقول: إن الكرسي محيط بالسماوات والأرض، والعرش محيط بالكرسي؛ لأن النصوص قد جاءت بذلك، وهذه مخلوقات، لكن نقف عند هذا، ولا نتكلم عن الله ﷻ بمثل هذه القاعدة؛ لأن الله ليس كمثله شيء،فإحاطته ليست كإحاطة الكرسي بالمخلوقات، ولا كإحاطة العرش بالكرسي والمخلوقات،لأنه سبحانه ليس كمثله شيء.

قال ابن أبي العز في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[النساء: ١٢٦] . "وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإنما المراد: إحاطة عظمة وسعة وعلم وقدرة، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة. كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم[٤]."[٥] .

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٧٤) من البحث.

(٢) مجموع الفتاوى(٦/ ٥٥٩)،الرسالة العرشية(ص:١٦).

(٣) مجموع الفتاوى(٦/ ٥٦٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره(٢/ ٢٤٦).

(٥)شرح الطاوية(٢/ ٣٧٤).

ولما كانت السماء محيطة بالأرض كانت عالية عليها ولما كان الكرسي محيطا بالسماوات كان عاليا عليها ولما كان العرش محيطا بالكرسي كان عاليا فما كان محيطا بجميع ذلك كان عاليا عليه ضرورة ولا يستلزم ذلك محايثته لشيء مما هو محيط به ولا مماثلته ومشابهته له فإذا كانت السماء محيطة بالأرض وليست مماثلة لها فالتفاوت الذي بين العالم ورب العالم أعظم من التفاوت الذي بين الأرض والسماء"[1]

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠٨).

المبحث السادس

أن للعرش قوائم

إن من أوصاف العرش الواردة في النصوص الشرعية أن له قوائم كالأعمدة، ولم يذكر في النصوص عدد هذه القوائم ولا أحجامها وكيفياتها ،وهذه صفة اختص بها العرش من دونه من العالم العلوي، كالسموات والكرسي المحيط بها، فلم يذكر للكرسي ولا للسموات أنهما ذات قوائم، بل أخبر تعالى أنه رفع السماء بغير عمد نراه[1]، كما قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2]، وأخبر تعالى عن الكرسي أنه وسع السموات والأرض كما قال تعالى:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[3].

فلم يرد في النصوص أن الكرسي له قوائم، فتبين من ذلك أن هذه القوائم مما تميز به العرش عن غيره من العالم العلوي.

وكون العرش ذي قوائم مما يستدل به على أنه مخلوق موجود ومحسوس، خلافا لمن زعم أن العرش شيء معنوي، كمن فسره بالملك، كما أن ذلك يستدل به أيضا أنه مخالف للأفلاك في الشكل والوصف، إذ أنه لم يثبت للأفلاك قوائم ولا أعمدة، خلافا لمن زعم أن العرش فلك من الأفلاك، كروي الشكل، كما سبق توضيحه.والمقصود هنا بيان الأدلة على أن للعرش قوائم:

---

(١) قال الإمام الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في ذلك :"وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾ [الرعد: ٢]فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم بها بقول سواه. تفسير الطبري (١٣/ ٤١١). وقال الحافظ ابن كثير ناقلا قول إياس بن معاوية:"السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد"،"وكذا روي عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فعلى هذا يكون قوله ترونها تأكيدا لنفي ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد ترونها، وهذا هو الأكمل في القدرة"تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٩).

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٣) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.

الدليل الأول: حديث أبي سعيد، قال: "جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ" قد لطم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلا من أصحابك من الأنصار، قد لطم وجهى، فقال: ادعوه، فدعوه، فقال: ألطمت وجهه؟ قال: يا رسول الله، إنى مررت باليهودى، فسمعته يقول: والذى اصطفى موسى على البشر، قال: قلت: أعلى محمد ﷺ" ؟ قال: فأخذتنى غضبة فلطمته، قال: لا تخيرونى من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى، أم جوزى بصعقة الطور"(١).

وفي لفظ: "فإذا موسى باطش بجانب العرش"(٢)،وفي لفظ: "فإذا موسى آخذ بالعرش"(٣).

وهذه الألفاظ الثلاثة يفسر بعضها بعضا، ومؤداها أن موسى عليه السلام يكون متعلقا بالعرش حين يفيق محمد ﷺ ومن بعده من الخلائق، فقوله: "فإذا موسى آخذ بالعرش" فيه إجمال، لأن فيه ذكر أن موسى سيأخذ بالعرش وليس فيها بيان للمكان الذي سيأخذه موسى من العرش، وقوله: "فإذا موسى باطش بجانب العرش" هذه الرواية فيها ذكر أن موسى سيأخذ بجانب العرش ولكن لم تتعرض في بيان ماهية الجانب الذي سيأخذه موسى من العرش.

وأما قوله: "فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش" في هذه الرواية بيان للإجمال الذي وقع في الروايتين السابقتين؛ لأن هذه الرواية وضحت المكان الذي سيأخذ به موسى من العرش، حيث إن الروايات الأخرى ليس فيها توضيح ذلك، وفي هذه بيان أن موسى عليه السلام سيأخذ بقائمة من قوائمه.

ومحل الشاهد من الحديث :قوله ﷺ: "فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ". أي بعمود من عمده:"والقائمة في اللغة واحدة قوائم الدابة، والمراد ههنا ما هو كالعمود

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣/ ١٢٠) ،(كتاب الخصومات/ باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي) برقم: (٢٤١١).وأخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ١٠١)،(كتاب الأنبياء/ باب فضائل موسى ﷺ)، ورقمه: (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه صحيح البخاري (٤/ ١٥٨)، (كتاب الأنبياء/ باب وفاة موسى) ورقمه: (٣٤٠٨)،وأخرجه مسلم صحيحه (٧/ ١٠١)، (كتاب الأنبياء/ باب فضائل موسى ﷺ) ورقمه (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٩) ، (كتاب الأنبياء / باب قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات:١٣٩])، ورقمه: (٣٤١٤).

للعرش."(١) فدل هذا الحديث على أن العرش له قوائم كالأعمدة لغيره.

قال ابن تيمية:"فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم، وجاء ذكر القائمة بلفظ الساق، والأقوال متشابهة في هذا الباب"(٢).

وقال ابن أبي العز في العرش:" قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: "فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور"(٣)"(٤).

الدليل الثاني:عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا المنذر ، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(٥). قال: فضرب في صدري ، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر"(٦).

وفي رواية عند أحمد:"والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش"(٧).يدل هذا الحديث على عظم فضل آية الكرسي، وأنها أعظم أية في كتاب الله، ومن فضلها أنها تقدس رب العرش عند ساق العرش.

والمقصود هنا بيان أن العرش له قوائم كالأعمدة تميز بها عن غيره من العالم العلوي، وقد تنوعت دلالات النصوص في بيان هذه القوائم، فجاء في بعضها تسمية هذه القوائم

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٢/٢٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٣)، الرسالة العرشية(ص:١١٠).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ١١٣).

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز(٢/ ٣٦٦).

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه(٢/ ١٩٩)،(كتاب الصلاة / باب فضل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥])، ورقمه: (٨١٠).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده(٣٥/ ٢٠٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ١٢٠٧)،ورقمه: (٣٤١٠) وانظر: مختصر العلو(ص:٩٢).

بجانب العرش، وفي بعضها تسميتها بساق العرش، وفي بعضها بقائمة العرش كما في هذا الحديث.

ووجه دلالة الحديث على أن العرش له قوائم: بين ظاهر، كما هو واضح في قوله: "إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش".

الدليل الثالث:عن ابن عباس، ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ "إنكم محشورون حفاة عراة، وأول من يكسى من الجنة يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح له عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم أوتى بكرسي فيطرح لي على ساق العرش"[1].

هذه بعض الأحاديث التي بينت أن العرش له قوائم، وقد جاء عن السلف آثار تفسيرية في بعض آي القرآن بينوا فيها أن هذه الآيات فيها دلالات على بعض الأشياء المتعلقة في قوائم العرش، فقالوا: "عليون" هو قائمة العرش اليمنى، "وظل ممدود" هو شجرة على ساق العرش [2].

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات(٢/ ٢٧٦): والحديث صحيح الإسناد كما قاله الشيخ الألباني، وانظر:تخريجه مفصلا. مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٢٥).

(٢)انظر: تفسير الطبري(٢٤/ ٢٠٧-٢١١)، و في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٠)، البعث والنشور للبيهقي(ص:٨٢٣)، تفسير البغوي (٨/ ١٢). تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢).

المبحث السابع

أن للعرش ظلا وفيه مطلبان

المطلب الأول : الأدلة على أن للعرش ظلا .

المطلب الثاني : من يستظل بظل العرش .

المطلب الأول

الأدلة على أن للعرش ظلا

ثبت في نصوص السنة أدلة كثيرة بينت أن للعرش ظلا يستظل به بعض المؤمنين يوم لا ظل إلا ظله، وهذه النصوص على نوعين، فالنوع الأول: ورد فيها إضافة الظل إلى الله عز وجل. والنوع الثاني: ورد فيها إضافة الظل إلى العرش، وفيها بيان أن الظل المضاف إلى الله هو ظل العرش، وهذه الإضافة هي من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وليست من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كما بينه غير واحد من أهل العلم، فالأحاديث التي جاء فيها الظل مضافا إلى العرش مبينة ومفسرة للأحاديث التي ورد فيها الظل مضافا إلى الله عز وجل. وفيما يأتي بيان ذلك وتوضيحه.

النوع الأول: الأدلة التي ورد فيها إضافة الظل إلى الله عز وجل .

الدليل الأول:عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:"سبعة يظلهم الله في ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"(١).

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"(٢).

الدليل الثالث: عن أبي اليسر رضي الله عنه مرفوعاً: "من أنظر معسراً أو وضع عنه؛ أظله الله في ظله"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١/ ١٣٣)، (كتاب الجماعة والإمامة/ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد)،ورقمه:(٦٦٠)،وأخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ٩٣)،(كتاب الزكاة/ باب فضل صدقة السر) ورقمه: (١٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ١٢) ،(كتاب الآداب/ باب فضل الحب في الله)،ورقمه: (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٢٣١)،(كتاب الرقاق/ باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر).ورقمه:(٣٠٠٦).

معنى الظل الوارد في هذه الأحاديث:

الكلام على معنى الظل من وجهين:

الوجه الأول: بيان أن إضافة الظل إلى الله ليست من باب إضافة الصفة إلى الموصوف. ذلك أن المضاف إلى الله تعالى على نوعين:

"النوع الأول: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا، يتميز بها المضاف عن غيره"(١). والظل المضاف إلى الله تعالى من النوع الثاني، وإضافته إلى الله هي إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا، كما بين ذلك غير واحد من أهل العلم.

قال البيهقي في تعليقه على الحديث ((سبعة يظلهم الله في ظله)):"وقد قيل: المراد بالخبر ظل العرش، وإنما الإضافة إلى الله تعالى وقعت على معنى الملك"(٢).

وقال القاضي عياض: "إضافة الظل إلى الله تعالى إضافة ملك، وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا ظل العرش كما جاء في حديث آخر مبينا، والمراد باليوم يوم

القيامة، إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء، إلا العرش"(٣) ثم تعقب عليه ابن حجر فقال:"كذا قال، وكان حقه أن يقول: إضافة تشريف؛ ليحصل امتياز هذا على غيره؛ كما قيل للكعبة: بيت الله، مع أنَّ المساجد كلها ملكه."(٤)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٥٦٤).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٢٢٦).

(٣)إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم (٣/ ٥٦٢)، وانظر: فتح الباري (٢/ ١٤٤)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٧٧) حاشية السيوطي على سنن النسائي(٨/ ٢٢٢).

(٤) فتح الباري(٢/ ١٤٤).

وقال العيني: "إضافة الظل إليه إضافة تشريف ليحصل امتياز هذا عن غيره، كما يقال للكعبة: بيت الله، مع أن المساجد كلها ملكه. "(١).

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يقف على خلاف في المسألة، وفي هذا يقول الشيخ عبد المحسن العباد:"إضافة الظل إلى الله إضافة تشريف، وهو من قبيل إضافة المخلوق إلى الخالق، كبيت الله وناقة الله ونحو ذلك، ولم أقف لأحد من أهل السنة على قول بأنه من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف"(٢).

ولهذا فإنه يتبين مما سبق من النقول عن أهل العلم أن الظل ليس صفة من صفات الله عز وجل، وأما معنى هذا الظل المضاف إلى الله تعالى فسوف يأتي في أقوال أهل العلم ما فيه غنية في توضيحه وبيانه.

الوجه الثاني:بيان المعنى المراد من الظل المضاف إلى الله عز وجل.

لما تبين أن الظل المضاف إلى الله ليس صفة من صفاته، كان لزاما بيان المراد من هذا الظل ولهذا ذكر العلماء عدة تفسيرات في بيان المراد منه، ومن هذه المعاني التي ذكرها أهل العلم:

أولا: أن المراد من الظل المضاف إلى الله رحمته أوظل الجنة.

قال البيهقي في تعليقه على الحديث ((سبعة يظلهم الله في ظله..)) : "ومعناه عند أهل النظر إدخاله إياهم في رحمته ورعايته، كما يقال أسبل الأمير، أو الوزير ظله على فلان؛ بمعنى الرعاية."(٣).

وقال ابن عبد البر بعد إيراده حديث:((سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله)) : "والظل في هذا الحديث يراد به الرحمة، والله أعلم، **ومن رحمة الله الجنة**، قال الله عَزَّ وجلَّ: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾(٤)، وقال:﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾(٥)،

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٥/ ١٧٧).

(٢) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي (ص:٢١٧). وانظر: الموسوعة العقدية للإمام الألباني(٦/ ٣٦٦،٣٦٧)، التعليق على الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٦).

(٣) الأسماء والصفات(٢/ ٢٢٦).

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.

وقال:﴿ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴾(١)"(٢). وقال البغوي في شرح حديث السبعة: "قيل: في قوله:((يظلهم الله في ظله))؛ معناه: إدخاله إياهم في رحمته ورعايته، وقيل: المراد منه ظل العرش"(٣).

ثانيا: أن المراد من الظل المضاف إلى الله هو ظل العرش.

قال البيهقي في تعليقه على الحديث"سبعة يظلهم الله في ظله.":"وقد قيل: المراد بالخبر ظل العرش، وإنما الإضافة إلى الله تعالى وقعت على معنى الملك"(٤).

ورجحه ابن حجر فقال: "وقيل المراد ظل عرشه ويدل عليه حديث .."سبعة يظلهم الله في ظل عرشه"... وإذا كان المراد ظل العرش استلزم ما ذكر من كونهم في كنف الله وكرامته من غير عكس فهو أرجح، وبه جزم القرطبي ويؤيده أيضا تقييد ذلك بيوم القيامة كما صرح به ابن المبارك في روايته عن عبيد الله بن عمر وهو عند المصنف في كتاب الحدود"(٥).وبهذا يندفع قول من قال المراد ظل طوبى أو ظل الجنةلأن ظلهما إنما يحصل لهم بعد الاستقرار في الجنة ثم إن ذلك مشترك لجميع من يدخلها والسياق يدل على امتياز أصحاب الخصال المذكورة فيرجح أن المراد ظل العرش"(٦).

قال العيني بعد ذكره المعنى الراجح: "..ثم كونهم في ظل عرشه يستلزم ما ذكره بعضهم من أن معنى: "يظلهم الله"، يسترهم في ستره ورحمته. تقول العرب: أنا في ظل فلان، أي: في

---

(١) سورة المرسلات، الآية:١٤.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٨٢).

(٣) شرح السنة (٢/ ٣٥٥)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٥٦٢)، وانظر: أيضا فتح الباري(٢/ ١٤٤)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري(٥/ ١٧٧). حاشية السيوطي على سنن النسائي(٨/ ٢٢٢).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٢٢٦).

(٥) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال (سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله..) (كتاب الحدود/ باب فضل من ترك الفواحش) ورقمه:(٦٤٢١).

(٦) فتح الباري (٢/ ١٤٤).

ستره وكنفه، وتسمي العرب الليل: ظلا لبرده، ويقال المراد من الظل: ظل طوبى أو ظل الجنة، ويرد هذا قوله: "يوم لا ظل إلا ظله" ؛ لأن المراد من اليوم المذكور يوم القيامة، والدليل عليه أن عبد الله بن المبارك صرح به في روايته عن عبيد الله بن عمر، على ما يجيء في كتاب الحدود(١)، وظل طوبى أو ظل الجنة إنما يكون بعد استقرارهم في الجنة، وهذا عام في حق كل من يدخلها، والحديث يدل على امتياز هؤلاء السبعة من بين الخلق، ولا يكون ذلك إلا يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، ويشتد عليهم حرها ويأخذهم الغرق ولا ظل هناك لشيء إلا ظل العرش"(٢).

ومما يرجح هذا القول أيضا أن الظل المضاف إلى الله عز وجل جاء مفسرا بظل العرش في أكثر من حديث، كما سيتضح في النوع الثاني من الأدلة.

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث على أن للعرش ظلا، أنه لما تبين مما سبق أن الظل المضاف إلى الله ليس صفة من صفاته، وترجح أيضا أن المراد من هذا الظل هو ظل العرش، كان في هذه الأدلة دلالة واضحة على أن للعرش ظلا يستظل به بعض المؤمنين يوم القيامة.

النوع الثاني: الأدلة التي ورد فيها الظل مضافا إلى العرش:

الدليل الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش"(٣).

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"(٤).

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال (سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله..) (كتاب الحدود/ باب فضل من ترك الفواحش) ورقمه: (٦٤٢١).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٥/ ١٧٧).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ٥٣) من البحث.

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ٥٣)، من البحث.

الدليل الثالث: عن أبي قتادة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "من نفس عن غريمه أو محا عنه؛ كان في ظل العرش يوم القيامة"(١).

الدليل الرابع عن عبادة بن الصامت ﷺ :"قال سمعت رسول الله يحكي عن ربه يقول المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله"(٢).

الدليل الخامس: عن معاذ بن جبل ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل يقول حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتباذلين في وحقت محبتي للمتزاورين في والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله"(٣).

الدليل السادس:عن العرباض بن سارية ﷺ قال:" قال رسول الله ﷺ قال الله ﷻ المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي."(٤).

هذه الأحاديث تفسر الإجمال الذي وقع في النوع الأول من الأدلة، وتبين أن الظل المضاف إلى الله تعالى هو ظل العرش، فقد ورد في حديث السبعة أن المتحابين في الله من الأصناف التي تستظل بظل الله يوم لا ظل إلا ظله.كما في قوله ﷺ:".. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه..".

وهذه الأحاديث تبين أن الظل الذي يستظل به المتحابون في الله هو ظل العرش، كما هو واضح في الحديث السابق:" قال الله عز وجل المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي" . وأيضا فقد سبق أن ممن يستظل بظل الله تعالى،الذين ينظرون المعسرين أو يضعون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٧/ ٢٥١، ٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ورقمه (٦٥٧٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٢٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٣٨) والطبراني في المعجم الكبير(٢٠/ ٧٩(وصححه الألباني في صحيح الجامع ورقمه: (١٩٣٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٨٤) . قال محققه:"إسناده صحيح،رجاله ثقات".وقال الألباني في صحيح الجامع برقم:(٤٣٢٠)"صحيح شهد له ما بعده".

(٤) أخرجه أحمد في مسنده(٢٨/ ٣٨٩)،ورقمه: (١٧١٥٨) وأورده الذهبي في كتاب العلو (ص:٨٤)، وحسن إسناده، ووافقه الألباني في مختصر العلو (ص:١٠٦).

عنهم، كما في قوله ﷺ :"من أنظر معسراً أو وضع عنه؛ أظله الله في ظله"(١).

وحديث أبي هريرة الآنف ذكره يدل على أن من أنظر معسرا سيستظل بظل العرش كما في قوله ﷺ: "من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"(٢).

فتبين من ذلك أن الأحاديث التي ورد فيها الظل مضافا إلى العرش مفسرة ومبينة للأحاديث التي ورد فيها الظل مضافا إلى الله عز وجل، وأن الظل المضاف إلى الله عز وجل هو ظل العرش. والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ١١٧). من البحث

(٢) تقدم تخريجه في (ص:٥٣) من البحث.

المطلب الثاني

من يستظل بظل العرش

ثبت في صحاح السنة أن الله يدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم على قدر ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون فيه إلى كعبيه ومنهم من يكون فيه إلى ركبتيه ومنهم من يكون فيه إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه(١). ومن أحوج ما يحتاجه العباد يومئذ ظل يقيهم من وهج الشمس وحرها ،وليس هناك ظل يستظل به العباد إلا من أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

واختار الرب جل وعلا من عباده من يفوز بتلك المنقبة فيستظل بظله عز وجل، وأخبر ﷺ أنهم عدة أصناف من المؤمنين ولم يحصرهم في عدد معين، بل ذكر ﷺ سبعة أصناف في حديث واحد، ولم يكن ذلك على سبيل الحصر لأنه ورد في حديث آخر صنفان آخران من أهل الظل كما سيأتي بيانه، ويمكن تقسيم هذه الأصناف إلى نوعين: أحدهما: الأصناف الواردة في حديث السبعة.و الثاني: الأصناف التي لم ترد في حديث السبعة.

أولا: الأصناف الواردة في حديث السبعة.

وردت سبعة أصناف من أهل الظل في حديث واحد، يعرفه العلماء بحديث السبعة، وهو حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال " سبعة يظلهم الله في ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"(٢). قال ابن عبد البر:" هذا أحسن حديث يروى في فضائل الأعمال وأعمها وأصحها إن شاء الله وحسبك به فضلا لأن العلم محيط بأن كل من كان في ظل الله يوم القيامة لم ينله هول الموقف"(٣).

---

(١) إشارة إلى حديث المقداد بن الأسود في صحيح مسلم (كتاب صفة النار/ باب صفة العرق يوم القيامة ورقمه: (٢٨٦٤).

(٢) تقدم تخريجه في (ص: ١١٧) من البحث.

(٣) التمهيد لابن عبد البر(٢/ ٢٨٠).

وسبب تخصيص الذكر بهذه الأصناف السبعة أن أعمالهم لا تتم إلا بمجاهدة النفوس ونهيها عن هواها، ومخالفة مراداتها، وضبطها في قيود الشرع، وفي هذا يقول ابن رجب: "هذه السبعة اختلفت أعمالهم في الصورة ، وجمعها معنى واحد ، وهو مجاهدتهم لأنفسهم ، ومخالفتهم لأهوائها ، وذلك يحتاج أولا: إلى رياضة شديدة وصبر على الامتناع مما يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع ، وفي تجشم ذلك مشقة شديدة على النفس، ويحصل لها به تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عند هيجانها إذا لم يطفئ ببلوغ الغرض من ذلك ، فلا جرم كان ثواب الصبر على ذلك أنه إذا اشتد الحر في الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة في ظل الله، فلم يجدوا لحر الموقف ألما جزاء لصبرهم على حر نار الشهوة أو الغضب في الدنيا"(١).

تنبيه: هل يفهم من قوله: ((سبعة يظلهم الله في ظله)) أنه لا يستظل بظل العرش غير هؤلاء السبعة؟ أم هذا العدد ليس له مفهوم، وبالتالي قد يكون هناك أصناف أخرى تشارك هذه السبعة في الظل؟ وهل هذه السبعة خاصة بالرجال دون النساء أم هي عامة لجميع البشر رجالا ونساء؟ وما وجه التخصيص بذكر هذه السبعة؟ هذا ما سيأتي بيانه في أقوال العلماء.

أولا: هل الحديث يدل على الحصر؟

قال ابن رجب:"وهذا الحديث يدل على أن هؤلاء السبعة يظلهم الله في ظله ، ولا يدل على الحصر، ولا على أن غيرهم لا يحصل له ذلك ؛ فإنه صح عن النبي ﷺ :((أن من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله))(٢)"(٣).

وقال ابن حجر بعد ذكره حديث أبي اليسر المتقدم آنفا : "وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له"(٤).

---

(١) فتح الباري لابن رجب(٤/ ٥٨).

(٢) تقدم تخريجه في (ص: ١١٧).

(٣) فتح الباري لابن رجب(٤/ ٦٣).

(٤) فتح الباري(٢/ ١٤٤).

ثانيا: هل هذه السبعة خاصة بالرجال دون النساء؟

قال ابن حجر: "ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له بل يشترك النساء معهم فيما ذكر إلا إن كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم، وتخرج خصلة ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن حتى الرجل الذي دعته المرأة، فإنه يتصور في امرأة دعاها ملك جميل مثلا فامتنعت خوفا من الله تعالى مع حاجتها"(١).

وقال العيني قوله:((سبعة)) أي: سبعة أشخاص، وإنما قدرنا هكذا ليدخل فيه النساء، فالأصوليون ذكروا أن أحكام الشرع عامة لجميع المكلفين، وحكمه على الواحد حكم على الجماعة إلا ما دل الدليل على خصوص البعض "(٢).

وجه تخصيص السبعة بالذكر:

قال العيني"فإن قلت: ما وجه التخصيص بذكر هذه السبعة؟ قلت: التنصيص بالعدد في شيء لا ينفي الحكم عما عداه، وقد روى مسلم من حديث أبي اليسر مرفوعا: ((من أنظر معسرا أو وضع له، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) . وهاتان الخصلتان غير الخصال السبعة المذكورة، فدل على ما قلنا(٣) .

وقال الكرماني: "وأما التخصيص بذكر هذه السبعة فيحتمل أن يقال فيه: ذلك لأن الطاعة إما تكون بين العبد وبين الله أو بينه وبين الخلق، والأول: إما أن يكون باللسان أو بالقلب أو بجميع البدن، والثاني: إما أن يكون عاما وهو العدل، أو خاصا وهو إما من جهة النفس وهو التحاب أو من جهة البدن، أو من جهة المال"(٤).

---

(١) فتح الباري(٢/ ١٤٨).

(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٧٧).

(٣)المصدر السابق.

(٤)الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ٤٧).

قال العيني: "قلت: أراد كونه باللسان هو الذكر، وأراد كونه بالقلب هو المعلق بالمسجد، وأراد بجهة جميع البدن الناشيء بالعبادة، وبجهة المال: الصدقة، ومن جهة البدن في الصورة الخاصة هي: العفة."(١).

الصنف الأول:الأئمة العادلون.

قال ابن رجب:"وأول هذه السبعة : الإمام العادل .وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى ، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه ، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك ؛ فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين . وهذا أنفع الخلق لعباد الله فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها . وقد روي"أنه ظل الله في الأرض"(٢)، لأن الخلق كلهم يستظلون بظله ، فإذا عدل فيهم أظله الله في ظله "(٣)، فهذا يبين أن كل إمام عدل في رعيته ورفق بهم ولم يشق عليهم سيستظل بظل العرش جزاء وفاقا.

وقال ابن عبد البر:"ويدخل في قوله عليه السلام إمام عادل كل من حكم بين اثنين فما فوقهما من رعية أو أهل وذرية كما قال ﷺ"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الحديث(٤)"(٥).

و قال القاضي: "هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام وبدأ به لكثرة مصالحه وعموم نفعه"(٦).

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٧٧).

(٢)يشير إلى حديث أبي بكرة ((السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله،ومن أهانه أهانه الله)) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٩٢)، والبزّار في مسنده (١٢/ ١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤٧٦-٤٨١(والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة(٤/ ١٦٠).

(٣) فتح الباري لابن رجب(٤/ ٥٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥)، (كتاب الجمعة/ باب الجمعة في الرى والمدن)، ورقمه: (٨٩٣)، وأخرجه مسلم في صحيحيه(٦/ ٧) ، (كتاب الإمارة/ باب الأمير مسؤول عن رعيته)، ورقمه: (١٨٢٩).

(٥) الاستذكار لابن عبد البر(٨/ ٤٤٩).

(٦)إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٥٦٢)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم(٧/ ١٢٠).

وقال ابن حجر:"والمراد بالإمام العادل صاحب الولاية العظمى ويلتحق به كل من ولي شيئا من أمور المسلمين فعدل فيه ويؤيده رواية مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه:"أن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"(١) وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط وقدمه في الذكر لعموم النفع به"(٢).

ويستخلص مما سبق من أقوال أهل العلم أن العادل الذي يستظل بظل العرش يشمل جميع أهل الولاية من أمة محمد ﷺ وليس خاصا بصاحب الولاية العظمى.

الصنف الثاني:الشاب الناشئ في عبادة الله.

خص الشاب لكونه مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى(٣).

وأيضا لأن العبادة في الشباب أشد وأشق لكثرة الدواعي وغلبة الشهوات، وقوة البواعث على اتباع الهوى(٤).

فلما غلب الشاب على شهوات نفسه، ونهاها عن هواها، وانقاد لطاعة ربه ورضوانه كان في ظل الله ، ولم يجد لحر الموقف ألما جزاء لصبره على حر نار الشهوة في الدنيا.

الصنف الثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد .

قوله: ((ورجل قلبه معلق في المساجد)) قال ابن حجر:" هكذا في الصحيحين وظاهره أنه من التعليق كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلا، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجا عنه. ويدل عليه رواية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه(٦/ ٧) ،(كتاب الإمارة/ باب الإمام العادل) ورقمه: (١٨٢٧).

(٢) فتح الباري(٢/ ١٤٥،١٤٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر(٢/ ١٤٤). وانظر: فتح الباري لابن رجب (٤/ ٥٨).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٥/ ١٧٦).

الجوزقي[١]:"كأنما قلبه معلق في المسجد"[٢] يحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب ويدل عليه رواية أحمد ((معلق بالمساجد))[٣]"[٤].

وقال ابن رجب:"وفي رواية :"إذا خرج منه حتى يعود إليه"[٥]، فهو يحب المسجد ويألفه لعبادة الله فيه ، فإذا خرج منه تعلق قلبه به حتى يرجع إليه ، وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه وقادها إلى طاعة الله فانقادت له ؛ فإن الهوى إنما يدعو إلى محبة مواضع الهوى واللعب ، إما المباح أو المحظور ، ومواضع التجارة واكتساب الأموال ، فلا يقصر نفسه على محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه ، وقدم عليه محبة مولاه .وقد مدح الله عمّار المساجد في قوله :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال:((لا توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا

---

(١) هو الإمام الحافظ المجوّد البارع محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشَّيْبَاني، ، أبو بكر الجوزقي: محدّث نيسابور في عصره. نسبته إلى ((جوزق)) من قراها. كان من الحفاظ الثقات. من مصنفاته (المسند الصحيح على كتاب مسلم) و (المتفق والمفترق) و (الجمع بين الصحيحين – خ).توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر:سيرأعلام النبلاء (١٦/ ٤٩٣)،تاريخ الإسلام (٨/ ٦٤١).

(٢) هذه الرواية بحثتها ولم أجد من أخرجها، غير أن ابن حجر أوردها في الفتح وعزاها للجوزقي،(٢/ ١٤٤)، ونقل الألباني هذه الرواية عن ابن حجر ولم يذكر مصدرا آخر غير الجوزقي. انظر: الثمر المستطاب(٢/ ٦٢٩–٦٣٠).

(٣) يشير إلى حديث سلمان وفيه :((ورجل قلبه معلق بالمساجد من حبّها)) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (ص: ١٢٤)، والحديث في صحيح مسلم (٣/ ٩٣) بلفظ: ((ورجل معلق بالمسجد))، (كتاب الزكاة / باب صدقة السر)، ورقمه (١٠٣١).

(٤) فتح الباري لابن حجر(٢/ ١٤٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ٩٣) ، (كتاب الزكاة / باب صدقة السر)، ورقمه : (١٠٣١).

(٦) سورة النور، الآية : ٣٦ – ٣٨.

تبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم[1]))[2].

الصنف الرابع: المتحابون في الله.

إن ممن يظلهم الله في ظله كل من كان الرابط بينهما الحب بجلال الله، فإن الهوى داع إلى التحاب في غير الله ؛ لما في ذلك من طوع النفس أغراضها من الدنيا ، فالمتحابان في الله جاهدا أنفسهما في مخالفة الهوى حتى صار تحابهما وتوادهما في الله من غير غرض دنيوي يشوبه ، وهذا عزيز جدا، ولن يتحابا في الله حتى يجتمعا في الدنيا في ظل الله المعنوي ، وهوتأليف قلوبهما على طاعة الله ، وإيثار مرضاته وطلب ما عنده ، فلهذا اجتمعا يوم القيامة في ظل الله الحسي[3] .

قال النووي في قوله: ((ورجلان تحابا في الله)):"معناه اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله أي كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهماوهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما"[4].

وقد بين ابن رجب رحمه الله معنى الاجتماع والافتراق بين المتحابين فقال: "يحتمل أنه يريد :أنهما اجتمعا على التحاب في الله حتى فرق بينهما الموت في الدنيا أو غيبة أحدهما عن الآخر ، ويحتمل أنه أراد أنهما اجتمعا على التحاب في الله ، فإن تغير أحدهما عما كان عليه مما توجب محبته في الله فارقه الآخر بسبب ذلك ، فيدور تحاببهما على طاعة الله وجودا وعدما "[5].

فهذه ثلاث معان للاجتماع والافتراق بين المتحابين:

أولا: أن يكون المراد من ذلك، الاجتماع والافتراق في المجلس، فتكون المحبة مستمرة حتى يتفرقا من مجلسهم ذاك. كما بينه النووي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٥١٢)، (كتاب المساجد والجماعات / باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة) ورقمه:(٨٠٠)وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٨١).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٥٨).

(٣) انظر:فتح الباري لابن رجب(٤/ ٦٠).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٢٠).

(٥) فتح الباري لابن رجب(٤/ ٦١).

ثانيا: أن يكون المراد من ذلك، الاجتماع في الحياة والافتراق في الموت أو غيبة أحدهما عن الآخر غيبة لا اجتماع بعدها، كما قال ابن حجر"والمراد أنهما داما على المحبة الدينية ولم يقطعاها بعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا، حتى فرق بينهما الموت"(١).

ثالثا: أن يكون المراد من ذلك، الاجتماع في الطاعة،والافتراق في المعصية.

وقد يقول قائل: إن التحاب في الله لا يتم إلا من طرفين، فما سبب عدهما في صنف واحد؟ قال ابن حجر: "تنبيه: عدت هذه الخصلة واحدة مع أن متعاطيها اثنان لأن المحبة لا تتم إلا باثنين، أو لما كان المتحابان بمعنى واحد كان عد أحدهما مغنيا عن عد الآخر لأن الغرض عد الخصال لا عد جميع من اتصف بها"(٢). وقد دلت أدلة كثيرة على أن المتحابين في الله يستظلون بظل الله يوم القيامة فمنها:

الدليل الأول: عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ:((إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))(٣).

الدليل الثاني:عن العرباض بن سارية قال: ((قال رسول الله ﷺقال الله عز وجل المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي))(٤) .

الدليل الثالث: عن عبادة بن صامت ﷺ : ((قال سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه يقول المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله.))(٥).

الدليل الرابع: عن معاذ بن جبل قال: ((سمعت رسول الله ﷺيحكي عن ربه ﷻ يقول حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتباذلين في وحقت محبتي للمتزاورين فيّ والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله))(٦).

---

(١) فتح الباري لابن حجر(٢/ ١٤٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٥)، وانظر:تحفة الأحوذي (٧/ ٥٨).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ١١٧).

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ١٢٣) من البحث.

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ١٢٢) من البحث.

(٦) تقدم تخريجه في (ص: ١٢٢) من البحث.

الصنف الخامس: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال.

والمقصود من هذا الصنف كل من دعته امرأة ذات حسن ومنصب وبهاء إلى فاحشة فامتنع منها، وقال إني أخاف الله، مع كثرة الدواعي إلى فعل الفاحشة، ولكن حجزه حاجز التقوى، وزجره زاجر الخشية من أن يراه الجبار وهو ينتهك حرمة من حرماته.

قال ابن رجب:"ويعني بالمنصب: النسب والشرف والرفعة في الدنيا ، فإذا اجتمع ذلك مع الجمال فقد كمل الأمر وقويت الرغبة ، فإن كانت مع ذلك هي الطالبة الداعية إلي نفسها، كان أعظم وأعظم ، فإن الامتناع بعد ذلك كله دليل على تقديم خوف الله على هوى النفس، وصاحبه داخل في قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[١]، وهذا كما جرى ليوسف عليه السلام.

قال عبيد بن عمير[٢]: "من صدق الإيمان وبره إسباغ الوضوء في المكاره، ومن صدق الإيمان وبره أن يخلو الرجل بالمرأة الجميلة فيدعها، لا يدعها إلا لله عز وجل"[٣]. ومثل هذا؛ إذا قال:((إني أخاف الله)) فهو صادق في قوله؛ لأن عمله مصدق لقوله، وقوله لها:((إني أخاف الله)) موعظة لها، فربما تنزجر عن طلبها، وترجع عن غيها"[٤]

وقال القاضي:" وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها"[٥]، "وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال لاسيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف، ومعنى دعته: أي دعته إلى الزنا بها

(١) سورة النازعات،الآية : ٤٠ .

(٢) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المفسر أبو عاصم المكي من كبار التابعين ولد في أيام رسول الله ﷺ توفي سنة ٧٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٦٣) التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٥٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦).

(٣)أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٧/ ١٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٦٨).

(٤) فتح الباري لابن رجب(٤/ ٦١-٦٢).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم(٣/ ٥٦٣).

هذا هو الصواب في معناه"[١].

الصنف السادس:كل من تصدق بصدقة فاجتهد في إخفائها.

والصدقة عموما حجاب عن النار كما في قوله ﷺ ((اتقوا النار ولو بشق تمرة"[٢]، وفي لفظ "من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة ، فليفعل))[٣]،وهي سبب لغفران الذنوب،والخطايا، في قوله ﷺ ((والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[٤].

وصدقة السر أفضل أنواعها، فهي تطفئ غضب الرب كما قال ﷺ((صدقة السر تطفئ غضب الرب))[٥]، ومن تصدق بصدقة فاجتهد في إخفائها وبالغ في إسرارها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه،كان في ظل العرش ونجا من هول الحر، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله فذكر منها ((ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)).

قال ابن رجب: "وهذا دليل على قوة الإيمان والاكتفاء باطلاع الله على العبد وعلمه به، وفيه مخالفة للهوى ومجاهدة للنفس ؛ فإنها تحب إظهار الصدقة ، والتمدح بها عند الخلق، فيحتاج في إخفاء الصدقة إلى قوة شديدة تخالف هوى النفس"[٦].

وقال ابن حجر:"ثم إن المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها"[٧].

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم(٧/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢/ ١١٠) ،(كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة) ورقمه: (١٤١٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ٨٦)،(كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة) ورقمه:(١٠١٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ٨٦) ،(كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة)ورقمه:(١٠١٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٢) ، (أبواب الصلاة/ باب ما ذكر في فضل الصلاة)، ورقمه: (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح،وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٢٩٥) (كتاب الزهد/ باب كف اللسان في الفتنة) ورقمه :(٤٢٠٩).وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩١٣).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٤٢١)، وفي المعجم الأوسط (١/ ٢٨٩)،وفي المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٢٠٥)،وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٣٥).

(٦) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٦٢).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٧).

الصنف السابع:من ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

ويدخل في هذا الصنف كل من يخشى الله في سره، ويراقبه في خلوته، وأفضل الأعمال خشية الله في السر والعلانية ، وخشية الله في السر إنما تصدر عن قوة إيمان ومجاهدة للنفس والهوى ، فإن الهوى يدعو في الخلوة إلى المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع في الخلوة .وذكر الله يشمل ذكر عظمته وبطشه وانتقامه وعقابه ؛ والبكاء الناشيء عن هذا هو بكاء الخوف ، ويشمل ذكر جماله وكماله وبره ولطفه وكرامته لأوليائه بأنواع البر والألطاف، لا سيما برؤيته في الجنة ، والبكاء الناشيء عن هذا هو بكاء الشوق.

ويدخل فيه أيضا: رجل ذكر أن الله معه حيثما كان ، فتذكر معيته وقربه واطلاعه عليه حيث كان يبكي حياء منه ، وهو من نوع الخوف أيضا(١).

وفيه: فضيلة ذكر الله في الخلوات مع فيضان الدمع من عينيه، فمن ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله لم يعذبه الله يوم القيامة ولا ترى عيناه النار كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.فعن ابن عباس قال:" قال رسول الله ﷺ:((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))(٢).

وقد جمع أبو شامة(٣) هذه الأصناف السبعة في بيتين فقال:

قال النبي المصطفى إن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق ... وباك مصل والإمام بعدله(٤)

---

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب(٤/ ٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٤/ ١٧٥)، (كتاب الجهاد/ باب فضل الحرس في سبيل الله) ورقمه: (١٦٣٩) وقال حديث حسن. وصححه الألباني في سلسلةالأحاديث الصحيحة (٦/ ٣٧٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الإمام، العلامة، ذو الفنون، شهاب الدين، أبو القاسم، المقدسي الأصل، الدمشقي، الشافعي، الفقيه، المقرئ، النحوي، أبو شامة. توفى في سنة ٦٦٥ هـ وكان مولده في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق.انظر: تاريخ الإسلام(١٥/ ١٤)، فوات الوفيات(٢/ ٢٦٩).

(٤)نقله ابن حجر في الفتح(٢/ ١٤٣).

النوع الثاني: الأصناف التي لم ترد في حديث السبعة.

وهذه الأصناف منها ما ورد في أحاديث صحيحة، ومنها ما ورد في أحاديث غير صحيحة، فما ورد في أحاديث صحيحة نثبتها في البحث، وما كان في أسانيدها مقال نشير إليها.

الصنف الأول والثاني: من أنظر معسرا أو وضع عنه.

إن إنظار المعسر والوضع عنه باب من أبواب تفريج الكروب عن المؤمن والتيسير عليه، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه أمره في الدنيا والآخرةكما قال رسول الله ﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة"[1].

قال ابن رجب:"قوله ﷺ:((ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة)).وهذا أيضا يدل على أن الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه عسير وأنه على الكافرين غير يسير، فدل على أنه يسير على غيرهم،﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾[2].والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إما بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجب، كما قال تعالى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[3] ، وتارة بالوضع عنه إن كان غريما، وإلا فبإعطائه ما يزول به إعساره، وكلاهما له فضل عظيم"[4].

ومن ثواب إنظار المعسر: أن الله يتجاوز ويعفو عن سيئات من تجاوز عن المعسرين أو خفف عنهم، كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال:((كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٧١) ، (كتاب الدعوات/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن)، ورقمه: (٢٦٩٩).

(٢) سورة الفرقان، الآية:٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية:١٨٠.

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٩).

معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه))[١].

وإنظار المعسر سبب لغفران الذنوب وتكفير السيئات، كما في حديث حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ، أن رجلا مات، فدخل الجنة، فقيل له : ما كنت تعمل ؟ ...، فقال: إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر، وأتجوز في السكة ، أو في النقد، فغفر له."[٢]

وهو سبب للنجاة من كروب يوم القيامة، كما في حديث أبي قتادة عن النبي ﷺ، قال:"من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه"[٣].

والمقصود هنا بيان أن إنظار المعسر سبب للنجاة من هول الموقف وحره والاستظلال بظل الله يوم لا ظل إلا ظله كما في حديث أبي اليسر ﷺ مرفوعاً: ((من أنظر معسراً أو وضع عنه؛ أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله))[٤].

والمراد من هذا الظل المضاف إلى الله هو ظل عرشه كما جاء ذلك مفسرا بحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله))[٥]. قال ابن حجر بعد ذكره حديث أبي اليسر المتقدم: "وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية."[٦].

الصنف الثالث: من أبرأ الدين عن غريمه.

والفرق بين هذا الصنف والصنف السابق، أن الصنف السابق كان سبب استظلاله بظل العرش إما أنه أمهل المعسر وأجل مطالبته، أو أنه خفف له ووضع بعض الدين عنه وطالب بعضه، وهذا الصنف استحق ظل العرش بإعفائه الدين عن المدين، وإبراء ذمته، وعدم مطالبته إياه،وسر استحقاقه ذلك الظل هو أنه آثر المديون على نفسه وأراحه، فأراحه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٨)، (كتاب البيع/ بابن أنظر معسرا)، ورقمه: (٢٠٧٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٣٣)، (كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر(ورقمه: (١٥٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه(٥/ ٣٣) (كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر)،ورقمه: (١٥٦٢) .

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه(٥/ ٣٣) (كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر)،ورقمه: (١٥٦٢).

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ١١٧).

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ٥٣) من البحث.

(٦) فتح الباري (٢/ ١٤٤).

الله،والجزاء من جنس العمل، كما في حديث أبي قتادة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : ((من نفس عن غريمه أو محا عنه؛ كان في ظل العرش يوم القيامة))[١].

قال عبد الرؤوف المناوي:"قوله((من نفّس))أي أمهل وفرج من تنفيس الخناق أي إرجائه.وقال عياض: "التنفيس المد في الأجل والتأخير، ومنه﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[٢]، أي امتد حتى صار نهارا[٣].((عن غريمه)) بأن آخر مطالبته، ((أو محا عنه)) أي أبرأه من الدين المكتوب عليه. ((كان في ظل العرش يوم القيامة)) لأن الإعسار من أعظم كرب الدنيا بل هو أعظمها فجوزي من نفس عن أحد من عيال المعسرين بتفريج أعظم كرب الآخرة وهو هول الموقف وشدائده بالإزاحة من ذلك ورفعته إلى أشرف المقامات"[٤].

ويتبين مما سبق أن هذه الأصناف الثلاثة يستظلون بظل العرش مع الأصناف السبعة المذكورة في حديث أبي هريرة المتقدم ذكره، فتلك عشرة كاملة، وذلك لصحة الأحاديث الواردة فيها، وأما الأصناف الواردة في الأحاديث التي في أسانيدها مقال فكثيرة جدا، ذكر منها ابن حجر ثمانية عشر صنفا مع العشرة المتقدمة.

فقال:"..ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك فزادت على عشر خصال وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جياد ونظمتها في بيتين تذييلا على بيتي أبي شامة وهما:

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ١٢٢) من البحث.

(٢) سورة التكوير، الآية: ١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/ ٢٢٩).

(٤) فيض القدير بشرح الجامع الصغير(٦/ ٢٣٣).

وزد سبعة إظلال غاز[١] وعونه[٢] وإنظار ذي عسر وتخفيف حمله
وإرفاد ذي غرم[٣] وعون مكاتب[٤]. وتاجر صدق في المقال وفعله[٥]

والمقصود أن كثيرا من شراح الحديث ذكروا أصنافا كثيرة ممن يستظلون تحت العرش، وتتبعها بعض العلماء حتى أوصلها فوق التسعين[٦]، ولكن كل ما ورد في هذه الآثار لا يخلو من مقال، فتكون غير ناهضة للاحتجاج، وعليه فإن ما ورد في صحاح السنة من هذه الأصناف غنية عما ورد في غيرها من الأحاديث الضعاف.

---

(١) وهذا ما ورد في حديث عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله ﷺ : (من أظل رأس غاز أظله الله يوم القيامة ومن جهز غازيا في سبيل الله لجهاده فله مثل أجره ومن بنى مسجدا ـ يذكر فيه اسم الله ـ بنى الله له بيتا في الجنة)، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٧) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٥٤) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٩٤).

(٢) ورد في ذلك حديث في سنده مقال وهو حديث سهل بن حنيف مرفوعا "من أعان مجاهداً في سبيل الله، أو غارماً في عسرته، أو مكاتباً في رقبته؛ أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٧)، وابن أبي شيبة في المصنف(٧/ ١٥٩) وضعفه الألباني. انظر حديث رقم :(٥٤٤٧)في ضعيف الجامع.

(٣) يشير إلى ما تقدم في الصنف الأول والثاني والثالث من إنظار المعسر والتخفيف له وإبراء الدين عن المدين. والأحاديث الواردة في هذه الخصال الثلاثة أحاديث ثابتة.

(٤) ورد ذلك في حديث سهل بن حنيف المتقدم ذكره في عون المجاهد، وقد ضعفه الألباني كما سبق بيانه.

(٥)قال البغوي: وروي عن سلمان، أنه قال: ("التاجر الصدوق مع السبعة، في ظل عرش الله يوم القيامة" يعني: مع هؤلاء السبعة التي جاءت في الحديث. شرح السنة (٢/ ٣٥٥) وقال الألباني حديث موضوع، انظر: حديث رقم:٢٥٠٢ في ضعيف الجامع

(٦) انظر:فتح الباري (٢/ ١٤٤)، وممن تتبعها الإمام السيوطي ووصلها إلى سبعين صنفا، كما في تمهيد الفرش للخصال الموجبة لظل العرش(ص:٨)، وقال المناوي بعد سرده هذه الأصناف: "هذا محصول ما التقطه ابن حجر والسخاوي والمؤلف في الأخبار وأكثرها ضعاف ومن أراد الوقوف على ما فيها من الكلام ومن رواها من الأعلام فليرجع إلى تلك التآليف." فيض القدير(٤/ ١٢٠)، ونظم الزرقاني هذه الأصناف في شرحه على الموطأ (٤/ ٥٥٠)، وأوصلها فوق التسعين.

المبحث الثامن

اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ

ثبت في صحاح السنة أن العرش اهتز لموت سعد بن معاذ لما توفي رضي الله عنه، فما المراد من العرش المذكور، هل هو عرش الرحمن أم هو السرير الذي حمل عليه سعد، أم هما معا[1]، وما معنى الاهتزاز الوارد في الأحاديث، هل هو التحرك حركة حقيقية أم هو عبارة عن الاستبشار والسرور، أم المراد أن حملة العرش استبشرت بقدوم سعد كما تستبشر الملائكة بقدوم روح المؤمن، وما سبب اهتزاز العرش، هل هو للفرح أم لعظمة الميت وفقده روحه. هذا ماسيتم إيضاحه وبيانه فيما يأتي:

أولا: بيان المراد من العرش المذكور.

اختلف العلماء في بيان معنى المراد من العرش الذي اهتز عند موت سعد بن معاذ، هل هو السرير الذي حمل عليه سعد عند موته أم هو عرش الرحمن، على قولين:

القول الأول: أن العرش الذي اهتز عند موت سعد هو السرير الذي حمل عليه.

وهذا قول بعض الصحابة كما كان يقول البراء بن عازب اهتز السرير، وكذلك ابن عمر وأسيد بن حضير، واعتمدوا في ذلك على الأحاديث الواردة في اهتزاز العرش والتي ليس فيها بيان المراد من العرش ومنها:

---

(١)أورد الطحاوي احتمال كون العرشين اهتزا لموت سعد فقال:"وقد يحتمل أن يكون العرشان جميعا المذكوران في هذا الحديث، وفي حديثي ابن عمر وأسيد بن حضير قد كان ذلك منهما جميعا والله أعلم غير أنا نصدق بما كان من رسول الله ﷺفي ذلك ونؤمن به"شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٧٤)، ولكن هذا الاحتمال ترده الأحاديث الصريحة التي تدل على أن المراد من العرش الذي اهتز عند موت سعد إنما كان عرش الرحمن كما سيأتي.

أولا: حديث جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺيقول: ((اهتز العرش لموت سعد بن معاذ))(١) وهذا الحديث وإن كان ورد في بعض رواياته أن المراد من العرش المذكور هو عرش الرحمن، لكن البراء ﷺكان يفسر العرش الوارد في الحديث بالسرير الذي حمل عليه سعد بعد موته، كما هو الثابت في بعض ألفاظ الحديث : "فقال رجل لجابر فإن البراء يقول:((اهتز السرير...))(٢)".

فهذه الرواية تبين أن البراء ﷺكان يرى أن المراد من العرش المذكور في حديث جابر المتقدم هو السرير الذي حمل عليه سعد عند موته.

ثانيا: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:((اهتز العرش لحب لقاء الله سعدا. قال: ثم قالوا: وما العرش؟ قال: سبحان الله، لقد تفسخت أعواده، أو عوارضه، وإنه على رقابنا وأكتافنا، وكان آخر من خرج من قبره النبي ﷺ، قال: " إن سعدا ضغط في قبره ضغطة، فسألت الله تعالى أن يخفف عنه " وقرأ:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(٣) قال: السرير))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٥) ، (كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه) ورقمه:(٣٨٠٣). وأخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ١٥٠)، (كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه) ورقمه:(٢٤٦٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٠ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٤٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ٣٦٧)، والحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣/ ٢٠٦) وقال البوصيري في الإتحاف(٧/ ٢٧٦)، رواه أبو بكر بن أبي شيبة ورواته ثقات".لكن أعله ابن حجر باختلاط عطاء بن السائب فقال: " وهذا من رواية عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر، وفي حديث عطاء مقال لأنه ممن اختلط في آخر عمره، ويعارض روايته أيضا ما صححه الترمذي من حديث أنس قال :" لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون : ما أخف جنازته، فقال النبي ﷺ: إن الملائكة كانت تحمله"،قال الحاكم:"الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة في الصحيحين .وليس لمعارضها في الصحيح ذكر". فتح الباري(٧/ ١٢٣).

فقوله في الحديث ((لقد تفسخت أعواده، أو عوارضه)) فيها دلالة واضحة على أن مراد ابن عمر من العرش هو النعش الذي يحمل عليه الميت، إذ أنه لم يثبت أن لعرش الرحمن أعوادا حتى تتفسخ، بل الثابت أن له قوائم، ولم يرد ما يدل على ماهية هذه القوائم.

قال أبو جعفر الطحاوي:" فكان في هذا الحديث أن ذلك العرش هو السرير الذي حمل عليه سعد رضي الله عنه"(١).

ثالثا: عن عائشة رضي الله عنها، قالت:((كان رسول الله ﷺإذا قدم من سفر، فنزل ذا الحليفة، خرج الصبيان، فيخبرونهم عن أهليهم، وأخبر أسيد بن حضير بموت امرأته، فبكى، فقيل له: أتبكي؟ فقال: وما لي لا أبكي وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن العرش اهتزت أعواده لموت سعد بن معاذ ..))(٢).

وقد دل هذا الحديث أيضا على أن العرش المذكور هو السرير الذي حمل عليه سعد كما في قوله "اهتزت أعواده" إذ الأعواد لا تكون لعرش الرحمن وإنما تكون لعرش الميت.

قال أبو جعفر الطحاوي بعد ذكره الحديث الثاني والثالث :"فكان في هذين الحديثين أن العرش المراد في الأحاديث الأول هو السرير الذي حمل عليه سعد بن معاذ.."(٣).

وقال أيضا:"فقال قائل: كيف يكون كما قاله ابن عمر وأسيد بن حضير، وإنما ذلك إخبار عن سرير لا نفس له، ولا يكون من مثله الاهتزاز الذي ذكراه عنه؟ فكان جوابنا له في ذلك أن السرير إن كان كما قال ابن عمر وأسيد، فإنه يحتمل أن يكون عز وجل فهّمه بعد أن حمل عليه سعد مكانه من الله عز وجل ومنزلته منه، فصار من أهل العلم والمعرفة بذلك، فاهتز له كما ذكر ابن عمر وأسيد من اهتزازه، كما ألهم الله ﷻ الخشبة التي كان رسول الله ﷺ

---

(١) شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١/ ٢٠٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٦٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٣٠٩):وأسانيدها كلها حسنة، وأخرجه أحمد في المسند(٣١/ ٤٤١)، بدون ذكر الأعواد والحاكم في المستدرك(٣/ ٢٠٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) شرح مشكل الآثار(١٠/ ٢٦٧).

يخطب الناس عليها قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر، وتحول إليه عنها، كان منها الحنين المروي في ذلك[١]"[٢].

القول الثاني: أن العرش الذي اهتز عند موت سعد هو عرش الرحمن وهو قول أكثر الصحابة[٣]واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

الدليل الأول:عن جابر ﷺ: سمعت النبي ﷺ يقول:((اهتز العرش لموت سعد بن معاذ)).

وفي رواية: فقال رجل لجابر فإن البراء يقول: ((اهتز السرير . فقال إنه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ))[٤].

ودلالة هذا الحديث على أن العرش المذكور هو عرش الرحمن واضحة، كما في قوله:((اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ)) فهذه الرواية مفسرة ومبينة للعرش المذكور في أول الحديث.

الدليل الثاني: عن أنس بن مالك ، أن نبي الله ﷺقال:((وجنازته موضوعة ، يعني سعدا، اهتز لها عرش الرحمن.))[٥].

وهذا الحديث يدل على أن العرش الذي اهتز لموت سعد ليس هو السرير الذي حمل عليه سعد رضي الله عنه بل هو عرش الرحمن وذلك من وجهين:

---

(١) يشير إلى حديث ابن عمر الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٦١)،وفيه: ((...فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺعلى المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت تنشق، فنزل النبي ﷺحتى أخذها، فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت، حتى استقرت)).

(٢) شرح مشكل الآثار(١٠/ ٢٦٨).

(٣) انظر:فتح الباري (٧/ ١٢٤).

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٥)،(كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه) ورقمه: (٣٨٠٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٧/ ١٥٠) ،(كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل سعد بن معاذرضي الله عنه) ورقمه: (٢٤٦٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه(٧/ ١٥٠)، (كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه) ورقمه: (٢٤٦٧).

أولا:أن سعدا ﷺلم يكن حمل على السرير الذي حمل عليه إلى قبره إلى ذلك الوقت، كما هو منصوص في الحديث"وجنازته موضوعة ، يعني سعدا" وإنما حمل عليه بعد ذلك.

ثانيا: التصريح بأن العرش الذي اهتز هو عرش الرحمن وليس هو السرير الذي حمل عليه سعد ﷺ.كما في قوله:((اهتز لها عرش الرحمن)).

وعليه فإن الراجح أن العرش الذي اهتز لموت سعد هو عرش الرحمن وليس هو النعش الذي حمل عليه سعد ﷺ، وبيان ذلك من عدة أوجه:

أولا: أن الأحاديث التي ورد فيها الإخبار بأن عرش الرحمن هو الذي اهتز لموت سعد أرجح من الأحاديث التي ورد فيها أن ذلك هو السرير الذي حمل عليه سعد.

قال ابن حجر:"قال الحاكم: الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة في الصحيحين وليس لمعارضها في الصحيح ذكر"(١).

ثانيا:أنه قد ثبت تراجع ابن عمر عن قوله أن العرش المذكور هو نعش سعد بن معاذ. كما قال ابن حجر:"وقد أنكر ابن عمر ما أنكره البراء فقال إن العرش لا يهتز لأحد ثم رجع عن ذلك وجزم بأنه اهتز له عرش الرحمن"(٢).

وأما تأويل البراء على أنه أراد بالعرش السرير الذي حمل عليه فلا يستلزم ذلك فضلا لسعد لأنه يشركه في ذلك كل ميت، قال أبو قتيبة:"وإذا كان التأويل على هذا، لم يكن لسعد في هذا القول فضيلة، ولم يكن في الكلام فائدة، لأن كل سرير من سرر الموتى، لا بد من أن يتحرك،لتجاذب الناس إياه.وبعد: فكيف يجوز أن يكون العرش السرير الذي حمل عليه سعد بن معاذ،وقد روي في حديث آخر: "اهتز عرش الرحمن لموته"(٣)(٤).

وقال ابن الجوزي:"ويروى عن ابن عمر أنه قال: إن العرش لا يهتز لموت أحد، ولكنه سريره حمل عليه. فهذان الشخصان – أعني البراء وابن عمر – لاحظا تعظيم العرش؛

---

(١) فتح الباري(٧/ ١٢٣).

(٢) فتح الباري(٧/ ١٢٤).

(٣) تقدم تخريجه في (: ١٤٢) من البحث.

(٤) تأويل مختلف الحديث(ص:٣٨٦).

فإن الله ﷻ نسبه إليه نسبة الصفات فقال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾[١]، كما قال﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾[٢] ولا شك في تعظيمه، غير أن المؤمن أعظم، وإنما تأول ما ليس بصريح، وعرش الرحمن لفظ صريح لا يحتمل التأويل، ولو بلغهما هذا اللفظ ما تأولا. ثم أي فخر في اهتزاز سرير؟ وكل سرير لميت يهتز عند تجاذب الرجال إياه"[٣].

وقال النووي:"وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح هذه الروايات التي ذكرها مسلم "اهتز لموته عرش الرحمن" وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي في مسلم والله أعلم"[٤].

وقد ثبت أيضا أن الصحابة بينوا المراد من العرش المذكور وأنه هو عرش الرحمن كما سبق بيانه خلافا لما تأوله البراء، رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثا: أنه جاء التصريح بأن العرش المذكور هو عرش الرحمن، وإذا جاء التصريح بطل التأويل، لاسيما وقد جاء حديث اهتزاز العرش لسعد بن معاذ عن عشرة من الصحابة أو أكثر وثبت في الصحيحين فلا معنى لإنكاره ولا حاجة إلى تأويله[٥].

قال القاضي أبو يعلى:"تأول قوم على أن العرش ها هنا السرير الذي كان عليه سعد وهذا غلط لوجهين أحدهما: أن في الخبر " اهتز عرش الرحمن جل اسمه " وإضافة العرش إلى الله سبحانه إنما ينصرف إلى العرش الذي هو في السماء، والثاني: أنه قصد بهذا الخبر فضيلة سعد، ولا فضيلة في تحرك سريره واهتزازه، لأن سرير غيره قد يتحرك ويهتز من تحته"[٦].

لاسيما وقد كان هذا الفضل لسعد مشهورا بين أوساط الصحابة، حتى فاخرت به الأوس على الخزرج، وقالت: منا من اهتز له عرش الرحمن، كما ورد في حديث أنس بن مالك قال:" افتخر الحيان من الأوس والخزرج فقال الأوس: منا غسيل الملائكة

---

(١) سورة البروج،الآية: ١٥.

(٢) سورة الأنعام،الآية: ١٣٣.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين(٣/ ٣١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ٢٢).

(٥) انظر:فتح الباري(٧/ ١٢٤).

(٦) إبطال التأويلات(٢/ ٣٨٤).

حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له عرش الرحمن، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن الأفلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، قال: فقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه أحد غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل."(١).

ثانيا: بيان معنى الاهتزاز الذي وقع للعرش عند موت سعد.

سبق البيان بأن العرش الذي اهتز لموت سعد هو عرش الرحمن، ولكن ما معنى هذا الاهتزاز؟ هذا ما اختلف فيه أهل العلم، هل المراد من اهتزاز العرش تحركه حركة حقيقية أم أن العرش ارتاح لروح سعد بعد وفاته أم المراد أن الملائكة استبشرت بموت سعد وفرحت بقدومه، وإن لم يكن وقع للعرش اهتزاز حقيقي، على قولين رئيسين(٢):

القول الأول: أن معنى الاهتزاز هو الاستبشار والارتياح.

إن كثيرا من شراح الحديث فسروا الاهتزاز المضاف إلى العرش بالاستبشار والارتياح والسرور ولكنهم اختلفوا فيمن صدر عنه هذا الارتياح والسرور، فقال بعضهم الارتياح والسرور صادر عن العرش، فيكون اهتزاز العرش لموت سعد كناية عن ارتياحه بروحه حين صعد به، لكرامته على ربه. وكل من خف لأمر وارتاح عنه فقد اهتز له.

"وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده(٥/ ٣٢٩) والطحاوي في مشكل الآثار(١٠/ ٣٧٢) والطبراني في المعجم الكبير(٤/ ١٠)، ونقل الإمام الألباني قول ابن عساكر"هذا حديث حسن صحيح" ثم قال: وهو كما قال. إرواء الغليل (٣/ ١٦٨)،وانظر: السلسلة الصحيحة رقم:(٢٣٦).

(٢) وهناك في المسألة أقوال أخرى، فقيل المراد من الاهتزاز: الكناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء العظيم إلى أعظم الأشياء فتقول: أظلمت الأرض لموت فلان وقامت له القيامة. قال الحربي:) إن العرب إذا عظمت الشيء نسبته إلى أكبر الأشياء عندها ، يقولون: قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الأرض والشمس(غريب الحديث للحربي (١/ ١٧١)، وقيل: هى علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه، ليشعر ملائكته بفضله. فتح الباري(٧/ ١٢٤).

اضطراب جسمه وحركته وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها"[١].وفيما يأتي توضيح القولين وذكر القائلين به:

أولا: تفسير اهتزاز العرش باستبشار حملة العرش بروح سعد بن معاذ.

وقد ذهب إلى هذا القول ابن قتيبة، وأبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري، وابن الجوزي،وغيرهم، واستندوا على هذا القول بأمرين:

الأمر الأول: دلالة اللغة على أن من معاني الاهتزاز الفرح والاستبشار.

قال أبو قتيبة:"ليس الاهتزاز ما ذهبوا إليه من الحركة ولا العرش ما ذهب إليه الآخرون.بل الاهتزاز: الاستبشار والسرور، يقال: "إن فلانا ليهتز للمعروف" أي يستبشر ويسر، "إن فلانا لتأخذه للثناء هزة"، أي ارتياح وطلاقة.

ومنه قيل في المثل: "إن فلانا إذا دعي اهتز، وإذا سئل، ارتز".-والكلام لأبي الأسود الدؤلي[٢]- يريد: أنه إذا دعي إلى طعام يأكله اهتز، أي: ارتاح وسر.وإذا سئل الحاجة، ارتز: أي ثبت على حاله ولم يطلق، فهذا معنى الاهتزاز في هذا الحديث، وأما العرش، فعرش الرحمن جل وعز، على ما جاء في الحديث، وإنما أراد باهتزازه، استبشار الملائكة الذين يحملونه ويحفون حوله، بروح سعد بن معاذ، فأقام العرش مقام من يحمله ويحيط به من الملائكة؛ كما قال الله عز وجل: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[٣].يريد: ما بكى عليهم أهل السماء، ولا أهل الأرض.فأقام السماء والأرض، مقام أهلهما.وكما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٤]أي: سل أهلها"[٥].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ٢٢).

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل أبو الأسود الديلي البصري، ويقال: الدؤلي، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً وهو أول من وضع النحو، كان مولده في أيام النبوة، وتوفي في سنة ٦٩هـ .انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٩٩)، وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٥).سيرأعلام النبلاء (٤/ ٨١).

(٣) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) تأويل مختلف الحديث(١/ ٣٨٧)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٨١).

الأمر الثاني: ما ورد في الأحاديث من أن الملائكة تستبشر بروح المؤمن.

قال أبو الحسن الطبري[١]: "وقد جاء في الأحاديث:"إن الملائكة تستبشر بروح المؤمن، وإن لكل مؤمن بابا في السماء يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، ويعرج فيه روحه إذا مات". وكأن حملة العرش من الملائكة فرحوا واستبشروا بقدوم روح سعد عليهم، لكرامته وطيب رائحته، وحسن عمل صاحبه، فقال النبي ﷺ: "اهتز له عرش الرحمن تبارك وتعالى" والله أعلم"[٢].

وقال ابن حجر:"وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش ويؤيده حديث "إن جبريل قال من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واستبشر به أهلها[٣]"[٤].

والقول بأن العرش لم يتحرك حركة حقيقية وأن الاهتزاز الوارد في الحديث معناه استبشار الملائكة بروح سعد، قولهم هذا تأويل ظاهر، لأنه لما كان المعنى يصح بدون هذا كان العدول عنه إلى التأويل بدون فائدة، لأن غاية ما دلت عليه هذه الأحاديث هو أن العرش تحرك لموت سعد، وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، فربما تحرك فرحا وسرورا بانتقال سعد من دار الفناء إلى دار البقاء، لأن أرواح الشهداء مستقرها تحت العرش تأوي إلى قناديل هناك كما ورد في الأحاديث، أو أنه يكون قد اهتز استعظاما لتلك الوقعة التي أصيب فيها سعد ﷺ.

---

(١) هو علي بن محمد بن مهدي ، أبو الحسن الطبري المتكلم الأصولي،رحل في طلب العلم، وصحب أبا الحسن الأشعري بالبصرة مدة، وتخرج به، وصنف التصانيف، وتبحر في علم الكلام، وهو مؤلف كتاب «مشكل الأحاديث الواردة في الصفات توفي سنة ٣٨٠هـ . انظر: تاريخ الإسلام (٢٦/ ٥١٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٦).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٨١) وانظر أيضا شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٧٤) شرح السنة للبغوي(١٤/ ١٨٠)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣/ ٢٢٧)، ولكن ليس فيه لفظ الاستبشار،وإنما ورد لفظ الاستبشار في شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٦٩)

(٤) فتح الباري(٧/ ١٤٧)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن تأول ذلك على أن المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم؛ فلا بد له من دليل على ما قال كما ذكره أبو الحسن الطبري وغيره، مع أن سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال."(١).

ثانيا: تفسير اهتزاز العرش بأنه كناية عن ارتياحه بروح سعد.

وممن قال بهذا القول الإمام أبو جعفر الطحاوي، وابن الأثير وابن حجر وغيرهم، فالمراد باهتزاز العرش عند هؤلاء استبشاره وسروره بقدوم روحه، ذلك لأنه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات، إذا اخضرت وحسنت، واستندوا على ذلك بأمرين:

الأمر الأول: دلالة اللغة على ذلك لأن من معاني الاهتزاز الفرح والاستبشار.

قال الطحاوي:"وقد كان أهل اللغة يذهبون إلى أن الاهتزاز هو الارتياح والسرور، كما يقال: فلان إذا سئل اهتز، أي: استشرف لذلك وسر به، فيكون الله تعالى ألهم العرشين(٢) موضع سعد منه، فكان منهما ما كان مما ذكر في هذه الأحاديث"(٣).

وقد بوب ابن حبان بابا فقال: "ذكر استبشار العرش وارتياحه لوفاة سعد بن معاذ" ثم ذكر تحته حديث اهتزاز العرش لموت سعد ثم قال: " :قوله ﷺ : "اهتز له عرش الرحمن"يريد به: استبشر وارتاح، كقوله الله جل وعلا:﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾(٤)، يريد به: ارتاحت واخضرت"(٥).

وقال ابن الأثير:"«اهتز العرش لموت سعد» الهز في الأصل: الحركة. واهتز، إذا تحرك. فاستعمله في معنى الارتياح. أي ارتاح بصعوده حين صعد به، واستبشر، لكرامته على ربه.

(١) مجموع الفتاوى(٦/ ٥٥٤)، وانظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/ ٣٨٥- ٣٨٥).

(٢) بناء على قوله احتمال كون العرشين اهتزا لموت سعد: "وقد يحتمل أن يكون العرشان جميعا المذكوران في هذا الحديث، وفي حديثي ابن عمر وأسيد بن حضير قد كان ذلك منهما جميعا والله أعلم غير أنا نصدق بما كان من رسول الله ﷺ في ذلك ونؤمن به" . شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٧٤).

(٣) شرح مشكل الآثار(١٠/ ٣٧٤).

(٤) سورة الحج، الآية:٥.

(٥) صحيح ابن حبان(١٥/ ٥٠٢).

وكل من خف لأمر وارتاح له فقد اهتز له"[١] فهو كناية عن ارتياحه بروحه حين صعد به، لكرامته على ربه. وكل من خف لأمر وارتاح عنه فقد اهتز له[٢].

الأمر الثاني: استدلوا أيضا بما جاء في رواية ابن عمر عند الحاكم بلفظ: "اهتز العرش فرحا به". قال ابن حجر: "والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت ووقع ذلك من حديث بن عمر عند الحاكم بلفظ "اهتز العرش فرحا به"[٣][٤].

وقد يستدل له أيضا قول الحسن البصري:"لقد اهتز عرش الرحمن فرحا لموت سعد"[٥]، فهذه النقول تدل على أن كثيرا من أهل العلم يرى أن معنى اهتزاز العرش هو استبشاره لروح سعد رضي الله عنه.

ويمكن أن يعترض على هذا القول: أن في الآثار التي استدلوا بها جمعا بين الفرح والاهتزاز، مما يدل على أنهما شيئان، فالاهتزاز هو أثر الفرح، وعلى هذا فالمعنى أن العرش تحرك لأجل الفرح، وفي هذا إثبات لكلا المعنيين، الحركة والفرح، وهذا أبلغ وأكمل من ترك أحد المعنيين، والاكتفاء بأحدهما.

فيكون هذا جمعا بين هذا القول وبين القول الثاني، الآتي قريبا، مفاده أن العرش تحرك حركة حقيقية فرحا بانتقال سعد من دار الفناء إلى دار البقاء، والله أعلم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث(٥/ ٢٦٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث(٣/ ٢٠٧)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٤/ ١٨٠)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم(١/ ٢٦٤).

(٣) هذا اللفظ عزاه ابن حجر إلى الحاكم ولم أقف عليه، ولكن وقفت على قول الحسن البصري:"لقد اهتز عرش الرحمن جل وعز بجنازة سعد رضي الله عنه ففسره الحسن: فرحا بروحه." كما سيأتي.

(٤) فتح الباري(٧/ ١٢٤).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٦٦)، قال محققه إسناده صحيح". وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٨)، وأورده الذبي في سير أعلام النبلاء(١/ ٤٧٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٠٥).

القول الثاني: أن العرش تحرك حقيقة لوفاة سعد.

فالاهتزاز الوارد في الحديث هو على حقيقته،وقد تحرك العرش لموت سعد فرحا بقدومه، وقد جعله الله في العرش ليكون فيه منقبة لسعد، وهذا هو ما دل عليه ظاهر الحديث، وهو أمر لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش إنما هو جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، وهذا هو ما ذهب إليه النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم.

وقد ردوا على من تأول بأن المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم، أو أن المراد به الكناية عن عظم الشأن أو غير ذلك من التأويلات بأنه لا دليل لهم على ما قالوا، كما أن سياق الحديث ولفظه ينفي تلك الاحتمالات. ولهذا فالأولى ترك التأويلات وإبقاء النص على ظاهره.

قال البغوي: "الأولى إجراؤه على ظاهره، وكذلك قوله عليه السلام: "أحد جبل يحبنا ونحبه"، ولا ينكر اهتزاز ما لا روح فيه بالأنبياء والأولياء، كما اهتز أحد وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر"[١].

وقال النووي في تعليقه على الحديث: "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ" اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة يحمل الحديث على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار"[٣].

وقال القسطلاني:"اهتز العرش" أي تحرك حقيقة "لموت سعد بن معاذ" فرحًا بقدوم روحه، وخلق الله تعالى فيه تمييزًا إذ لا مانع من ذلك"[٤].

وعليه فإن الراجح: أن معنى اهتزاز العرش هو تحركه لموت سعد رضي الله عنه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن تأول ذلك على أن المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم؛ فلا بد له من دليل على ما قال كما ذكره أبو الحسن الطبري وغيره، مع أن سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال"[٥].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٤/ ١٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ٢٢)، وانظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٦٦).

(٤) إرشاد الساري(٦/ ١٥٨).

(٥) مجموع الفتاوى(٦/ ٥٥٤).

وأما سبب اهتزاز العرش: فربما كان فرحا وسرورا بانتقال سعد من الدار الفانية إلى الدار الباقية؛ وذلك لأن أرواح السعداء والشهداء مستقرها تحت العرش، تأوي إلى قناديل معلقة هناك، "ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سماوات ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك"(١)

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/ ٢٠٤).

الفصل الثاني

علاقة بعض المخلوقات بالعرش وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول : علاقة الملائكة بالعرش .

المبحث الثاني : تعلق بعض المخلوقات بالعرش .

المبحث الثالث : سجود بعض المخلوقات تحت العرش .

المبحث الرابع : جلوس النبي ﷺ على العرش .

المبحث الخامس : الكتاب الموضوع عند العرش .

المبحث السادس : الكنز الذي تحت العرش .

المبحث السابع : تطاير الصحف من تحت العرش يوم القيامة .

المبحث الأول

علاقة الملائكة بالعرش وفيه مطلبان

المطلب الأول : حمل الملائكة للعرش .

المطلب الثاني : الملائكة الحافة بالعرش .

المطلب الأول

حمل الملائكة للعرش

لما كان العرش أعظم مخلوقات الله كان ثقله أثقل الأوزان كما قال ﷺ لجويرية:".. لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته."(١)

قال ابن تيمية:"فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان"(٢) فلما كان ذلك كذلك، لم يكن ليقوى على حمل العرش أحد، ولكن الله سخر لحمله ملائكة عظاما، ما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام ،ومع عظمتهم هذه إلا أنهم لم يحملوا العرش بقوتهم، ولكنهم حملوه بقدرة الله ومشيئته وإرادته وتأييده ولولا ذلك ما أطاقوا حمله(٣).

وحملة العرش من الملائكة الكرام، والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان ولا يصح الإيمان إلا به، وهذا يتضمن الإيمان بوجودهم،وما لهم من الصفات الخَلقية والخُلقية التي يتناسب مع مكانتهم ووظائفهم، والكلام عن حمل الملائكة للعرش من أوجه ثلاثة: أحدها: الأدلة على حمل الملائكة للعرش. والثاني:أوصاف الملائكة الحاملة للعرش. والثالث:عدد الملائكة الحاملة للعرش.

الوجه الأول: بيان الأدلة الواردة في حمل الملائكة للعرش.

إن كون العرش له حملة يحملونه هو أمر ثابت في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر حملة العرش في موضعين من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾(٤).

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٥٢) من البحث.

(٢) الرسالة العرشية(ص:٨).

(٣) انظر: نقض الدارمي على المريسي (١/ ٤٥٨) والعلو للذهبي(ص:١٢٧)،والوابل الصيب لابن القيم في (ص:٧٧).

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾(١).

ففي الآيتين دلالة واضحة على أن لعرش الله حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، يقول شيخ الإسلام: "إن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ ، وقوله:﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾، يوجب أن لله عرشا يحمل، ويوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك كما تقوله طائفة من الجهيمة، فإن الملك هو مجموع الخلق فهنا دلت الآية على أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمان"(٢).

وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار الدالة على أن لعرش الرحمن حملة من الملائكة يحملونه، وسأقتصر هنا على حديث عبد الله بن عباس ﷺ، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته: ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال : الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا ، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا"(٣)

وقد تقدم عند كلامنا عن عظمة الملائكة الحاملة للعرش جملة طيبة من الأحاديث الدالة على وجود حملة العرش، وقد أغنى ذلك عن إعادتها هنا(٤)، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا، كما قال أبو سعيد الدارمي في رده على المريسي: "وفي العرش وحملة العرش أخبار كثيرة عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين"(٥)، ولكن فيما ذكرنا غنية في الدلالة على المقصود.

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية(٣/ ٢٧٨).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ٨٣).

(٤) انظر:(ص: ٩٣) من البحث.

(٥)نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٤٨٣).

وهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على كون حملة العرش من جنس الملائكة وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة.

"وأما الذين أنكروا استواء الله على عرشه وقالوا: إن استوى بمعنى استولى، وأن المراد بالعرش الملك، فإنهم أنكروا أيضا كون حملة العرش هم من الملائكة، فقالوا: إن قوله: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾، ﴿ وَيَحۡمِلُ ﴾ بالجذب،﴿ عَرۡشَ رَبِّكَ ﴾ ملك ربك للأرض والسموات، ﴿ فَوۡقَهُمۡ ﴾أي فوق الملائكة الذين هم على أرجائها يوم القيامة،﴿ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ أي السموات السبع والأرض[١]، وقيل المراد بالثمانية: السموات والكرسي[٢].

فقد أولوا هذه الآية كما أولوا آيات الاستواء والآيات التي جاء فيها ذكر عرش الرحمن تبارك وتعالى. أما الصنف الآخر الذين زعموا أن العرش المذكور في الآيات المراد به الفلك التاسع، وهم الفلاسفة، فهم يقولون: إن المراد بالحملة الثمانية في قوله تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾، الثمانية أفلاك التي تحت الفلك المحيط أو ما يسمونه الفلك التاسع"[٣] .وقد تقدم بطلان هذه التأويلات أثناء الكلام عن مسألة كروية العرش وهي متوقفة على فرض التسليم لكون العرش فلكا من الأفلاك وقد بان فساد هذا القول أكثر من وجه [٤].

الوجه الثاني: بيان أوصاف الملائكة الحاملة للعرش، وأعمالهم.

فأما يتعلق بأعمالهم: فإن مما بلغنا من ذلك ، أن الله وكلهم لحمل عرشه، وخصهم بذلك من بين الملائكة،كما قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ﴾، والآية تدل على أن لله ملائكة سخرهم لحمل عرشه،وأن حملهم للعرش مستمر في الدنيا ولآخرة،كما في قوله تعالى﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾[٥]، فكما أنهم كانوا حاملين للعرش في الدنيا كذلك سيحملونه في الآخرة.

---

(١) تفسير القاسمي(٩/ ٣١١).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٣٨٣).

(٣) مقدمة محمد بن خليفة التميمي على كتاب العرش للذهبي (١ / ٣٣٩-٣٤٠) :

(٤) انظر: (ص: ١٠١)، من البحث.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

وأما كيفية حملهم للعرش فقد تنوعت دلالات النصوص على ذلك، ففي بعضها دلالة على أن منهم من يحمل العرش على منكبيه كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبيه وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون»[١].

وفي بعضها أن منهم من عنقه منثنية تحت العرش كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال :" إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه منثن تحت العرش،وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه، ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا "[٢].

وهذه الأخبار كلها تدل على أن حملة العرش خلائق عظام أعطاهم الله قدرة على حمله، وقد جاء البيان بكونهم أعظم خلقا من السموات والأرض، فأرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم فوق السموات ، ما بين أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وما بين ركب بعضهم إلى أظلافهم كما بين السماء والأرض، والنصوص في ذلك كثيرة.

وأما ما يتعلق بأوصاف حملة العرش الخَلقية والخُلقية، فيمكن تقسيمهاإلى نوعين:

أحدهما: ما يتعلق بأوصافهم الخَلقية.

أما ما يتعلق بأوصافهم الخَلقية، فمن النصوص ما فيها بيان لصورهم وأشكالهم، وورد في هذه النصوص أيضا أن لهم أعناقا، وآذانا، ومناكب وعواتق، وأرجلا، كما سبق بيانه فيما مضى من الأحاديث في حمل الملائكة للعرش[٣].

كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه منثن تحت العرش،وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه،

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/ ٤٩٦)، قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة(١/ ٢٨١)، رقم:(١٥٠).

(٢) تقدم تخريجه في (ص: ٩٤).

(٣) انظر:(ص: ٩٣) من البحث.

ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا "(١).وقد سبق البيان بأن هذا الديك من حملة العرش، وأنه ليس ديكا حقيقيا وإنما هو ملك على صورة ديك، كما جاء في بعض روايات الحديث، وقد تقدم ذكر بعض ما ورد في ذلك من الأحاديث(٢).

وقد دلت بعض الأحاديث والآثار على ذلك. فقد أورد الدارمي بسنده إلى عروة أنه قال: "حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته على صورة النسر، ومنهم من صورته على صورة الثور، ومنهم من صورته على صورة الأسد"(٣).

هذه بعض الأوصاف الخلقية لحملة العرش الذي وصل إلينا علمها والتي لها ورود في النصوص، على اختلاف في بعض الأخبار التي جاءت فيها هذه الأوصاف كما سبق بيانه،وسيأتي ما يدل على بعض أوصافهم الخُلقية.

والثاني: ما يتعلق بأوصاف حملة العرش الخُلقية.

وأما أوصاف حملة العرش الخُلقية، فقد جاء في النصوص أنهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا،ويدعون لهم بأن يدخلهم الله الجنة ويقيهم عذاب الجحيم،بل ويدعون لمن صلح من أباء المؤمنين وأزواجهم وذرياتهم كذلك، ويدعون لهم أيضا بأن يجنبهم الله الفواحش والسيئات ويدخلهم في رحمته، ليفوزوا فوزا عظيما. والنصوص الواردة في بيان هذه الأوصاف على نوعين:

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٩٤).

(٢)انظر:(ص:٥٣، ٩٣) من البحث.

(٣) أخرجه الدارمي في نقضه على المريسي(١/ ٤٧٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد(١/ ٢٠٢)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات معلقا (٢/ ٢٨٧)، قال محققه:"وقول عروة الذي علقه المصنف وصله ابن خزيمة في كتاب التوحيد بإسناد جيد، رجاله كلهم ثقات.". وقد ورد في هذا حديث أخرجه أحمد في مسنده(٤/ ١٥٩) والدارمي في سننه (٢/ ٢٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٥)وابن خزيمة في كتاب التوحيد(١/ ٢٠٤) وهو مختلف في صحته، صحح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية(١/ ١٢)، وفي تفسيره (٧/ ١٣٠)، وقد ضعف الحديث المعلمي في الأنوار الكاشفة(ص:٢٣٠) والألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٥٥)،وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند(٤/ ١٥٩).

أولا:ما جاء في تسبيحهم.

إن الله تعالى وصف الملائكة عموما أنهم يعبدون ربهم ويسبحون بحمده،ويسجدون له كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾[1].

ووصفهم أنهم لا يستحسرون عن عبادة ربهم ولا يستكبرون،بل هم قائمون بالتسبيح ليلا ونهارا لا يفترون ولا يسأمون كما قال تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[2]. وقال تعالى:﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾[3].

وحملة العرش من الملائكة؛ ولكن الله خصهم بالذكر وأخبر أنهم يسبحون بحمد ربهم، كما قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[4].

فيخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش، ومن حوله من الملائكة الحافة بالعرش، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، فيقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، والآية تدل على أن تسبيح حملة العرش دائم في كل الأوقات، كما دلت عليه الآيات الأخرى.

وقد وردت نصوص أخرى دلت على أنهم يسبحون تسبيحا خاصا في أوقات معينة، فهم يسبحون عند نزول الأوامر الإلهية من عند ذي العرش، إيذانا لأهل السموات من الملائكة بأن الله قضى أمرا في الكون، فيتسلسل التسبيح حتى يصل إلى ملائكة سماء الدنيا.

كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه:"..ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا . ثم قال : الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟

---

(١) سورة الأعراف،الآية:٢٠٦ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية:٢٠ .

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٨ .

(٤) سورة غافر،الآية: ٧.

فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا ، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا "[١].

ولما كان حملة العرش من أقرب الخلق إلى الجبار كانوا أشد الخلق خوفاً منه، لأنه على قدر القرب إلى العظيم الجبار يكون الخوف، فهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء السادسة وهكذا،ولذلك هم أول من يسبح بحمده إذا قضى الجبار أمرا في الكون، ثم يسبح من تحتهم من الملائكة[٢].

ثانيا: ما جاء في دعائهم للمؤمنين.

ومما جاء في النصوص من أوصاف حملة العرش الخُلقية أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم بالفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[٣].

لما علم حملة العرش تعظيم الله للمؤمنين عظموهم لتعظيمه إياهم لأنه مما يتقرب به إلى الملك التقرب إلى أهل وده الذين هم أولياؤه وأحباؤه، فشرع حملة العرش يطلبون محو الذنوب عنهم أعياناً وآثاراً.

ولما كان الاشتراك في الإيمان أشد من الاتحاد في النسب، صاروا يدعون لهم بالفوز بالجنان والنجاة من النيران لما بينهم من أخوة الإيمان ومجانسته وإن اختلف جنسهم في حقيقة التركيب، فدعاؤهم للمؤمنين شامل بطلب الغفران لهم والوقاية من النيران كما في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾. ودعاؤهم للمؤمنين شامل أيضا بالفوز بالجنان مع صالح آبائهم وأزواجهم

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٨٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٠٦).

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

وذرياتهم، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

ويدعون لهم أن يصرفهم الله عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، لأنه من يصرف عنه سوء عاقبة سيئاته يوم القيامة، فقد رحمه ربه، ومن يرحم الله فقد نجاه من هول العذاب، قال تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

فدلت الآيات على أن حملة العرش ومن حول العرش من خواص الملائكة، مأمورون بالتسبيح لله، ثم بالاستغفار للعاصين، والتائبين من المؤمنين وأنهم يجتهدون في الدعاء لهم على نحو ما جاء في الآيات السابقة، وخلاصة دعوتهم للمؤمنين هي النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

الوجه الثالث:بيان ما يتعلق بعدد حملة العرش.

جاء التبيان في نص القرآن أن عدد الملائكة الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾[3]، ولكن وقع الخلاف في المراد من الثمانية، هل هم ثمانية أملاك أم ثمانية أصناف أم ثمانية صفوف؟ كما اختلفوا في عددهم في الدنيا، هل هم ثمانية كما هم في الآخرة؟ أم هم أربعة، على قولين:

القول الأول: أن عدد حملة العرش ثمانية.

والقائلون بأن عدد حملة العرش ثمانية، اختلفوا في بيان المراد من الثمانية، هل هم ثمانية أملاك أم ثمانية أصناف أم ثمانية صفوف؟.قال ابن الجوزي في بيان المراد من الثمانية " فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: ثمانية أملاك[4]،

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٩.

(٣) سورةالحاقة، الآية: ١٧.

(٤) انظر: كتاب العرش لابن أب شيبة (١/ ٢٩١)، تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠). تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٠)، الدر النثور للسيوطي (١٤/ ٦٧٠)، الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي(ص:٥٧).

وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أملاك آخرين[١] هذا قول الجمهور. **والثاني**: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ[٢]. قاله ابن عباس وابن جبير وعكرمة. **والثالث**: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله. قاله مقاتل[٣] "[٤].

ولم يرد نص صريح في بيان المراد من الثمانية الحاملة للعرش، ولكن ظاهر القرآن يدل على أنهم ثمانية من الملائكة، وذلك أن الله تعالى أخبر في كتابه أن للعرش حملة يحملونه اليوم كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٥].

وأخبر في موضع آخر أن الذين يحملون العرش يوم القيامة هم ثمانية كما قال تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾، فتبين من ذلك أن المراد من الثمانية الواردة في هذه الآية ثمانية من الملائكة المذكورين في الآية الأخرى. والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: كتاب العرش لابن أبي شيبة (ص: ٢٨٣)، تفسير الطبري(٢٣/ ٢٢٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠)، العلو للذهبي (ص: ١١٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٢).

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. ما بين سنة ١٥١هـ وسنة ١٦٠هـ.انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٧٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١٤). تاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٢).

(٤) زاد المسير (٨/ ٣٥٠). وانظر: تفسيرمقاتل بن سليمان (٤/ ٤٢٣)، كتاب العرش لابن أبي شيبة(ص: ٣٨٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٢).

(٥)مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٢٨٢).

القول الثاني:أن عدد حملة العرش هم أربعة في الدنيا ثمانية في الآخرة.

وهذا القول هو اختيار ابن كثير[١]،وابن الجوزي[٢]، وذكر ابن الجوزي أن هذا هو قول الجمهور[٣].

واستدل أصحاب هذا القول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره فقال:

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد"[٤]

وهذا الحديث أقوى ما استدل به القائلون بهذا القول وهو مختلف في صحته، ولكن قد ثبتت آثار عن السلف تفسر هذا الحديث، منها ما أورد الدارمي بسنده إلى عروة أنه قال: "حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته على صورة النسر، ومنهم من صورته على صورة الثور، ومنهم من صورته على صورة الأسد"[٥].

ويستخلص مما سبق أن الله وكل للعرش ملائكة تحمله في الدنيا والأخرى، وأن عددهم ثمانية في الآخرة بنص آي الكتاب، وأما عددهم في الدنيا فلم يرد في ذلك نص تقوم به الحجة، وما ورد فيه فإنه لا يخلو من مقال.

---

(١)تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٠).

(٢) زاد المسير(٧/ ٢٠٨).

(٣) زاد المسير(٨/ ٣٥٠).

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ١٥٨).

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ١٥٨) من البحث، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٠٧-٢٠٨).

المطلب الثاني

الملائكة الحافة بالعرش

لما كان عرش الرحمن سرير ملكه، ومركز تدبير العوالم العلوية والسفلية، ومكان نزول أوامره عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[١]، وكانت الملائكة من العوالم العلوية، فإن الله وكل لبعض ملائكته حمل العرش وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة[٢].

وقد سبق البيان بما يتعلق بحمل الملائكة للعرش وعددهم وأوصافهم وشيء من أعمالهم، وفيما يأتي بيان ما ورد في الملائكة الحافة بالعرش، وما ذكر لنا من أوصافهم وأعمالهم.

أولا: ما يتعلق بوجودهم.

أخبر تعالى في موضعين من كتابه أن لله ملائكة حول عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

وفي الآيتين دلالة واضحة على وجود الملائكة الحافة بالعرش، ففي الآية الأولى بيان وجودهم في الدنيا كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، "والمعنى أن الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه، ويؤمنون بالله ببصائرهم، ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به،

---

(١) سورة يونس الآية: ٣.

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٢).

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

وأخبر عنهم بالإيمان"(١). وفي الآية الثانية أخبر تعالى عن وجودهم في الآخرة كما في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾. يقول ابن كثير: "لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كلاً من المحل الذي يليق به ويصلح له، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه، ويعظمونه ويقدسونه، وينزهونه عن النقائص والجور"(٢)، والمقصود هنا: بيان أن الله ملائكة تحف حول عرشه في الدنيا وفي الأخرى، وفيما يأتي بيان المراد من هذه الملائكة مع ذكر بعض أعمالهم.

ثانيا: المراد بالملائكة الحافة بالعرش.

هم طائفة من ملائكة الله المقربين الذين شرفهم الله بقربهم إياه وتعبدهم بتعظيمه والتسبيح له، والطواف بحول عرشه ، ولم يأت نص صحيح يدل على شيء من أسمائهم، إلا ما ذكره بعض المفسرين من أن الكروبيين(٣) هم الملائكة الحافة بالعرش(٤).كما قال ابن كثير: عند كلامه عن العرش: "هو العرش العظيم له قوائم عظام تحمله الملائكة الكرام، وتحفه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ولهم زجل بالتقديس والتعظيم"(٥).

وقال أيضا في معرض تعداده أصناف الملائكة : "ومنهم الكروبيِّون: الذين هم حول العرش وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٦)"(١).

---

(١)فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ١٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٢٥).

(٣) الكروبيون: مأخوذ من كرب إذا قرب قربا بالغاً والمراد بهم هنا الملائكة المقربون منهم سادة الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل، انظر:تهذيب اللغة (١٠/ ١١٩) ، مقاييس اللغة (٥/ ١٧٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦١).

(٤) انظر:تفسير البغوي (٤/ ١٠٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣١)، العلو للعلي الغفار (ص: ٦٩)، أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ١٠١)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٦٧).

(٥) البداية والنهاية (١/ ٣).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

وقال الذهبي عند كلامه عن عظمة العرش: "فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته وقوائمه وماهيته وحملته والكروبيين الحافين من حوله وحسنه ورونقه وقيمته"(٢).

ومن خلال ما تقدم من أقوال أهل العلم يظهر أن الكروبيين اسم مشهور للملائكة الحافة بالعرش، إلا أن هذا الاسم لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ، وغاية ما ورد فيه آثار ذكرها بعض المفسرين وبعض شراح كتب الحديث، واختلفت هذه الآثار في تعريف المراد بهم: فمنها ما ذكر أنهم سادة الملائكة، ومنها ما ذكر أنهم حملة العرش(٣).

ومنها ما ذكر أنهم الملائكة الحافة بالعرش كما سبق بيانه آنفا، وما دام لم يثبت شيء من ذلك، فإن التوقف عن الخوض فيه أولى، إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الشرع.

ثالثا: بيان ما ورد من أعمالهم.

إن مما ورد من أعمال الملائكة الحافة بالعرش، التسبيح والدعاء للمؤمنين، والطواف بالعرش، فأما تسبيحهم فقد أخبر تعالى أنهم لا يفترون عن التسبيح ليلا ونهارا كغيرهم من الملائكة كما قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾(٤).

وقد وصفهم الله تعالى أيضا أنهم يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم، ويسألون الله أن يدخلهم الجنة ويقيهم عذاب الجحيم. كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾(٥)، وقال أيضا: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ ﴾.

---

(١) البداية والنهاية (١/ ١١٢)، وانظر: أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ١٠١).

(٢) العلو للعلي الغفار (ص: ٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٠١)، تهذيب اللغة (١٠/ ١١٨)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥)، تفسير السمعاني (٥/ ٧)، تفسير البغوي (٤/ ١٠٦)، تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٧)، تفسير الخازن (٦/ ٨٩).

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٥) سورة غافر، الآية : ٧.

يقول ابن كثير:"يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ..فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب"(١)، وقد سبق شيء من التفصيل في تسبيحهم ودعائهم للمؤمنين عند الكلام عن حملة العرش بما أغنى عن إعادته هنا.

وأما طوافهم بالعرش، فقد جاء ذلك في نص التنزيل كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾، ففي هذه الآية بيان بين في كون هذه الملائكة حول العرش، وقد وضح العلماء المراد من كونهم حول العرش، وذكروا أنهم يطوفون به.كما قال البغوي: "قوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة"(٢).

وقال الشوكاني: "والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين"(٣).

وقد بين تعالى في موضع آخر عمل الملائكة الحافة حول العرش وأخبر بأنهم يطوفون به كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾.

ووجه دلالة الآية على طواف الملائكة حول العرش واضح، لأن قوله تعالى: ﴿ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾. معناه طائفين به، محيطين محدقين بجوانبه كما بينه غير واحد من علماء اللغة والتفسير(٤).

قال البخاري:" قال مجاهد: ﴿ حَآفِّينَ ﴾أطافوا به، مطيفين: بحِفَافَيه(٥)،

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٠).

(٢)تفسير البغوي (٤/ ١٠٦).

(٣)تفسير فتح القدير (٤/ ٥٥٣)، وانظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ١٦٣).

(٤) انظر:تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١)، تفسير السمعاني (٤/ ٤٨٣)، تفسير البغوي (٤/ ١٠٢)، تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠١)،

(٥) قوله "بحفافيه" هو بكسر المهملة وفاءين الأولى خفيفة. انظر:فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٤٩).

بجوانبه"[١]، فالحفّ هو الطواف، يقال:حف القوم بالشيء وحواليه يحفون حفا وحفوه وحففوه: أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا[٢].

وقال الخليل بن أحمد: "حف القوم بسيدهم: أي أطافوا به وعكفوا، ومنه قوله: ﴿ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾[٣]،وقال أبو عبيدة: ﴿ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ أطافوا به بحفافيه[٤].

والمقصود هنا بيان أن الله ملائكة وكلهم بالطواف بعرشه كما وكل طائفة من ملائكته لحمل عرشه، وعلاقتهم بالعرش هي أنهم مأمورون ومتعبدون بالطواف به والحف من حوله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا(٦/ ١٢٥) (كتاب التفسير/ سورة الزمر).

(٢) انظر:لسان العرب (٩/ ٤٩).

(٣) العين (٣/ ٣٠)، ونحوه قال الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٥)، وانظر:مقاييس اللغة (٢/ ١٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣٤٥)،تاج العروس (٢٣/ ١٥٠).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٩٢)، وانظر:الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٩٢)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٤٩).

المبحث الثاني

تعلق بعض المخلوقات بالعرش . وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : أرواح المجاهدين تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش مدة البرزخ .

المطلب الثاني : تعلق الرحم بالعرش .

المطلب الثالث : تعلق موسى عليه السلام بقائمة من قوائم العرش .

المطلب الأول

أرواح المجاهدين تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش

لما كان مأوى أرواح الشهداء ومقيلهم جانبا من حياتهم البرزخية كان من اللازم جمع أطراف الحديث المتعلق بحياتهم لإبراز صورة كاملة من هذه الحياة،ومن بينها مأواهم ومقيلهم،فالله أكرمهم بجواره، فجعل مسكنهم عنده في أعلى المخلوقات،في قناديل معلقة بعرشه.

فقد أخبر تعالى في كتابه أن أحوال الشهداء مخالفة عن أحوال غيرهم من أهل البرزخ،فأخبر أنهم يحيون حياة مستقرة، ونهى عن القول بأنهم أموات، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ فهم على حياة حقيقية ولكن لا يمكن أن نتصور كيفية حياتهم، ولهذا قال:﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[١]،

فلا يجوز أن نقول بما لا علم لنا به، ولا أن نصفهم بالأموات لعدم إحاطتنا بعلم ذلك،ولما كان الأكل والشرب من صفات البشر اللازمة، أخبر تعالى أنهم يرزقون، فدل ذلك على أنهم على حياة كاملة. قال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢]، فالآية الأولى فيها بيان حياة الشهداء،وليس فيها مكان حياتهم،والآية الثانية بينت أمرين آخرين، أحدهما: مكان الحياة،وأن ذلك عند ربهم، والثاني:أنهم يرزقون،فهذه ثلاث أوصاف للشهداء:أنهم أحياء،وأنهم يرزقون،وأنهم يعيشون عند ربهم.

ولما كانت الحياة تستلزم المأوى والمسكن جاء في نصوص الشرع ما يبين أن مأوى أرواح الشهداء يكون إلى قناديل معلقة بالعرش.وفيما يأتي توضيح ذلك وبيانه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

الأدلة على مأوى أرواح الشهداء:

الدليل الأول: عن مسروق(١) ، قال: سألنا عبد الله عن هـذه الآيـة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٢). قـال: أمـا إنـا قـد سـألنا عـن ذلـك، فقـال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل(٣) معلقة بالعرش، تسرح من الجنـة حيـث شـاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال : هل تشتهون شـيئا ؟ قـالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلـما رأوا أنهـم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا"(٤).

الدليل الثاني:عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " لما أصيب إخوانكم بأحـد جعـل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارهـا، وتـأوي إلى قناديـل مـن ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلـغ إخواننا عنا، أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقـال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم "، قـال: فـأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٥) إلى آخر الآية"(٦).

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي، الإمام، القدوة، العلم، أحد كبار التابعين توفي في سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ. انظر:الطبقات الكبرى (٦ / ٧٦) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد للكلاباذي (٢/ ٧٣٠) الثقات لابن حبان (٥/ ٤٥٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) القناديل جمع قنديل والقنديل، بالكسر: معروف، وهو مصباح من زجاج، في وسطه فتيل يملأ بالماء والزيت ويشعل انظر:تاج العروس (٣٠/ ٢٩٠). معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٨٦١). المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٢).

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ٥٨) من البحث.

(٥) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٦)تقدم تخريجه في (ص: ٥٣) من البحث.

والحديثان يدلان على عدة أمور:

أولا:أن من قتل في سبيل الله لا يسمى ميتا بل هو حي حياة كاملة كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

ثانيا:أن أرواح الشهداء تودع في أجواف طير،كما في قوله ﷺ:" لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر" وهذا من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانا خيرا منها تكون مركبا لأرواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا(١).

ثالثا: أنه يأتيها رزق ربها بكرة وعشيا،كما قال تعالى﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾فطعامها وشرابها من الجنة،تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها، كما قال ﷺ" ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها".

فالآية تدل على أن لهم رزقا يخصهم،والحديث بين أن مصدر الرزق الذي أعد الله لهم، وأن ذلك هو ورودها أنهار الجنة وأكلها من ثمارها. كما قال ﷺ :"إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمرة الجنة أو شجر الجنة"(٢).فإن قيل: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:"إنما نسمة المؤمن طائر يعلق(٣)، في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه"(٤).

---

(١) انظر: كتاب الروح لابن القيم (ص: ١١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٤/ ١٧٦)، (كتاب الجهاد/ باب ثواب الشهداء) ورقمه: (١٦٤١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ٤٤٠)، (كتاب الجنائز / باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر)، ورقمه: (١٤٤٩).وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٩٤).

(٣) قال ابن القيم: "((تعلق في شجر الجنة)) يروى بفتح اللام وهو الأكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الأكل والرعي. يقول تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين أشجارها. والعَلوقة والعَلاق والعلوق: الأكل والرعي. تقول العرب ما ذاق اليوم عَلوقا أي: طعاما. ". الروح (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٤) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ١٠٨)، (كتاب الجنائز/باب أرواح المؤمنين)، ورقمه: (٢٠٧٣)، وأخرجهابنماجه في سننه (٥/ ٣٣٧)(أبواب الزهد/ باب ذكر القبر والبلى)، ورقمه: (٤٢٧١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٥٧) وذكر محققوه أنه حديث صحيح، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٦٨).

وفيه دلالة واضحة على أن هذا الوصف يشمل المؤمنين كلهم،فأرواح كل المؤمنين طيور يأكلون من أشجار الجنة،فما وجه التخصيص بالرزق على أرواح الشهداء؟

"قيل: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم"(١).

قال ابن القيم:"وأما النصوص والآثار التي ذكر في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة فكلها حق وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس...

فإن قيل: فإن كان هذا حكم لا يختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص؟

قيل: تخصيصهم بالذكر في هذه النصوص دل على التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها وأن هذا مضمون لأهلها ولا بد، وأن لهم منها أوفر نصيب. فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فراشهم وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم، فله نعيم يختص به، لا يشاركه فيه من هو دونه.

ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانا خيرا منها تكون فيها إلى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها. ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير.

وتأمّل لفظ الحديثين: فإنه قال:"نسمة المؤمن طير" فهذا يعم الشهيد وغيره. ثم خص للشهيد بأن قال:"هي في جوف طير"، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير"(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧٠٠).
(٢)الروح لابن قيم (ص: ٩٨-٩٩).

رابعا:أن مأوى أرواح الشهداء تكون في قناديل معلقة بالعرش.

ذلك أنه لما كان لابد لكل حي من مأكل ومشرب ومسكن، وسبق البيان أن مأكل هذه الأرواح ومشربها يكون من الجنة، بين ﷺ أن الرب سبحانه اختار للشهداء في سبيله مكانا عليا،لأنهم لما قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا جازاهم الله تلك المنزلة العلية، جزاء وفاقا،فاصطفاهم لمجاورته في أعلى عليين، وجعل مسكن أرواحهم في قناديل معلقة في ظل عرشه،كما قال ﷺ :" لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل".

ففي الحديث دلالة على أن الله هيأ لهم كل سبل الحياة من مأكل ومشرب ومأوى ومقيل، وأن الله قد أتم لهم النعم.

والمقصود بيان أن تلك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها،وتشرب من أنهارها ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش هي لها كالأوكار للطائر، وهي مسكنها ومأواها.

المطلب الثاني

تعلق الرحم بالعرش

لما كان العرش أوسع مخلوقات الله تعالى استوى عليه الرب باسمه الرحمن، كما قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١]، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[٢]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء[٣].

ولما كانت الرحم مشتقة من الرحمن[٤]، صار بين الرحم والرحمة مناسبة معنوية ولفظية، وصار للرحم تعلق بصفة الرحمة، ولما كان الرب استوى على العرش بالصفة الرحمانية جعل الله الرحم عند العرش الذي هو منصة الرحمة فتعلقت به وعاذت بالله من القطيعة[٥].

ولهذا ورد في الأخبار الصحيحة والآثار الثابتة أن صلة الأرحام من أسس الإيمان، كما في قوله ﷺ"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه"[٦]، وأخبر ﷺ أنها سبب للهداية والاستمساك بحبل الله المتين كما في قوله ﷺ:

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٧).

(٤) كما جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله: أنا الرحمن وهى الرحم شققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها بتته)) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ١٣٣)، وأحمد في مسنده، (٣/ ١٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٣٧٨) وفي السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٩).

(٥) انظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٣/ ٩٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٣٢) ، (كتاب الأدب / باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه) ورقمه: (٦١٣٨).

" إن الرحم شجنة[١]من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته"[٢].

وأخبرﷺ أنها بسط في الرزق وبركة في العمر، كما في قوله ﷺ: " من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه "[٣].

ولما كانت صلة الأرحام في منزلة علية في الإسلام، أخبر الشارع أن قطعها من عظائم الآثام، وسبب للضلال عن الطريق القويم وصراط الله المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[٤].

وأخبر ﷺأن الله حرم على الجنة قاطع الأرحام، كما في قوله:"لا يدخل الجنة قاطع"[٥].

وهذه النصوص فيها دلالة واضحة على أن جزاء الواصل الجنان وأن جزاء القاطع النيران، وهذا يدل على أهمية صلة الأرحام في الإسلام، ومما يدل على أهميتها أيضا: إخباره ﷺ أن الرحم سمت وارتفعت على الخلائق فتعلقت بعرش الرحمن، وعاذت بالله تعالى من القطيعة. كما قال ﷺ:"الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله."[٦].

وليس المقصود هنا الكلام عن فضائل صلة الأرحام وقبائح قطعها وما يترتب عليها من الآثام فإن بسط الكلام عن هذا له موضع آخر. وإنما المقصود بيان معنى تعلق الرحم

---

(١) والشجنة والشجنة بكسر الشين وضمها عروق الشجر المشتبكة. يقال بيني وبينه شجنة رحم وشجنة رحم أي قرابة مشتبكة. كاشتباك العروق.انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٤٧) لسان العرب (١٣/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٦) ،(كتاب الأدب / باب من وصل وصله الله) ورقمه: (٥٩٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣/ ٥٦)، (كتاب البر والصلة/ باب من أحب البسط في الرزق) ورقمه: (٢٠٦٧). وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٨)، (كتاب الآداب/ باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) ورقمه: (٢٥٥٧).

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٢ – ٢٣.

(٥)أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٧)، (كتاب الآداب/ باب صلة الرحم)، ورقمه: (٢٥٥٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٧)، (كتاب الآداب/ باب صلة الرحم)، ورقمه: (٢٥٥٥).

بالعرش، هل هو تعلق حقيقي؟، أم هو تمثيل تقريبي، وهو عبارة عن شدة الاعتناء بصلة الأرحام، والتحذير عما يترتب عن قطعها من الآثام. هذا ما سيتم بيانه فيما يأتي من أقوال أهل العلم.

المعنى المراد من تعلق الرحم بالعرش.

لما كانت الرحم معنى من المعاني، وكانت المعاني مما لا يضاف إليها أفعال ولا أقوال، اختلف شراح الحديث في المراد من تعلق الرحم بالعرش، وقيامها ومخاطبتها لله تعالى، فذهبت طائفة منهم إلى أن ذلك من مجاز الكلام وليس حقيقة واقعة، إذ المعاني لا تصدر منها أفعال ولا أقوال، وذهب آخرون إلى أن ذلك أمر حقيقي ثابت بنصوص الشرع ولا داعي لصرفه عن ظاهره، وذهبت طائفة ثالثة إلى احتمال أن يكون ذلك حقيقة، واحتمال أن يكون من مجاز الكلام، وفيما يأتي توضيح هذه الأقوال وبيان الصواب منها.

القول الأول: إن تعلق الرحم بالعرش إنما هو ضرب مثل وليس واقعا حقيقة.

وإنما يكون المراد من ذلك أحد أمرين: إما أن يراد منه تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظم إثم قاطعها لأن الرحم معنى من المعاني وليس لها وجود في خارج الذهن، فلا يتصور تعلقها بالعرش حقيقة.

وإما أن يقال: إن المتعلق بالعرش ملك من الملائكة، أقامه الله ذلك المقام ليعبر عن مرادات الرحم ومقاصدها. وهذا قول كثير من شراح الحديث كالقاضي عياض، والقرطبي وغيرهم.

قال القاضي عياض: "اعلم أن الرحم التي توصل وتقطع ويتوجه فيها البر والإثم إنما هي معنى من المعاني وليست بجسم وإنما هي القرابة والنسب، واتصال مخصوص تجمعه رحم والدة، فسمى ذلك الاتصال بها، والمعانى لا توصف بقيام ولا كلام، ولا يصح منها.وذكر مقامها وتعلقها هنا ضرب مثل وحسن استعارة على مجارات كلام العرب لتعظيم شأن حقها وصلة المتصفين بها المتواصلين بسببها، وعظم إثم مقاطعتهم وعقوقهم.... أو قيام ملك من ملائكة الله تعالى وتشبثه بالعرش وكلامه عنها ذلك الكلام بأمر الله تعالى "[1].

وقال القرطبي عند كلامه عن قيام الرحم وتعلقها بالعرش:"هذا الكلام من المجاز

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٩)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ١١٢).

المستعمل، والاتساع المشهور، إذ الرحم عبارة عن قرابات الرجل من جهة طرفي آبائه وإن علوا ، وأبنائه وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الأعمام والعمات ...وما كان كذلك استحال حقيقة القيام والكلام ، فيحمل هذا الكلائم على التوسع ، ويمكن حمله على أحد وجهين : **أحدهما** : أن يكون الله تعالى أقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة ، فيقول ذلك، وكأنه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ، ويكتب ثواب من وصلها ، ووزر من قطعها، كما قد وكل الله بسائر الأعمال كراما كاتبين ، وبمشاهدة أوقات الصلوات ملائكة متعاقبين. **وثانيهما**: أن ذلك على وجه التقدير والتمثيل المفهم للإغياء، وشدة الاعتناء، كأنه قال: لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، ثم قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وعلى التقديرين فمقصود هذا الكلام: الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى قد نزلها منزلة من قد استجار به فأجاره، وأدخله في ذمته وخفارته ، وإذا كان كذلك فجار الله تعالى غير مخذول ، وعهده غير منقوض"[2].

القول الثاني: أن تعلق الرحم بالعرش تعلق حقيقي وإن كنا نجهل كيفيته.

وهذا هو قول السلف وأئمة السنة، فقد ثبت في نصوص الشرع أفعال وأقوال كثيرة منسوبة إلى الرحم، من القيام والكلام، والتعلق بالعرش، والأخذ بحقو الرحمن، وقد وصفت بأوصاف الأجساد فقد أخبر ﷺ أن لها لسانا طلقا، وأنها توضع على الصراط، وأنها تجيء يوم القيامة، وهذا مما لا يقبل التأويل.[3]

قال الشيخ عبد الله الغنيمان: "هذه الأفعال المسندة إلى الرحم، من القيام، والقول، ظاهر الحديث أنها على ظاهرها حقيقة، وإن كانت الرحم معنى يقوم بالناس، ولكن قدرة الله تعالى لا تقاس بما يعرفه عقل الإنسان، ولا داعي أن يقال: إن الله تعالى جعلها في جوهر، وجعل لها حياة، وأنطقها بعد ذلك، فقد جاء أن أعمال العبد تأتيه، وتخاطبه، وتجادل عنه،

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٢٤-٥٢٥).

(٣) ستأتي بعض الأحاديث الدالة على صحة نسبة الأقوال والأفعال إلى الرحم.

وهذا من جنسه، والله أعلم"[١]، وهذا الذي قرره الشيخ عبد الله الغنيمان في معنى الحديث هو القول الصواب والمذهب الحق الذي عليه السلف[٢].كما سيأتي توضيحه.

القول الثالث: احتمال القولين الأول والثاني وعدم الترجيح بينهما.

وذلك بإمكان أن يكون المراد من هذه الأفعال المسندة إلى الرحم على حقيقتها كما ذهب إليه علماء السلف، ويحتمل أيضا أن لا يكون المراد منها على حقيقتها، بل يكون المراد منها: إما ضرب مثل وحسن استعارة، ويكون المقصود الاهتمام وشدة الاعتناء بها، وإما على حذف مضاف، فيكون الفاعل الحقيقي لهذه الأفعال المسندة إلى الرحم ملكا من الملائكة وكله الله إليه هذه الأعمال المسندة إلى الرحم، وهذا القول ذهب إليه ابن حجر وتبعه بعض الشراح[٣] .

قال ابن حجر عند كلامه عن قيام الرحم وأخذها بحقو الرحمن: "يحتمل أن يكون على الحقيقة، والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله، ويجوز أن يكون على حذف أي قام ملك فتكلم على لسانها، ويحتمل أن يكون ذلك على طريق ضرب المثل والاستعارة والمراد تعظيم شأنها وفضل واصلها وإثم قاطعها"[٤].

والراجح من هذه الأقوال الثلاثة: القول الثاني وهو قول السلف، وذلك لمطابقته ظاهر النصوص ولعدم استحالة أن يكون المراد منها على ظاهرها، فإنه لا استحالة في تجسد الرحم بحيث تعقل وتنطق والله على كل شيء قدير[٥].

ومما يرجح هذا القول أن الرحم أضيفت إليها أقوال وأفعال كثيرة كالقيام والكلام، والمجيء كما ثبت في الأحاديث الصحاح ومن تلك الأحاديث:

حديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبيﷺ قال: " خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم،

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٨١- ٣٨٢).

(٢) الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٤/ ٢٩٠).

(٣) انظر:فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٨٠)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٦٥٦-٦٥٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٨٠).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٧)، فيض القدير (٤/ ٥٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٠).

فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يارب، قال: فذاك.."[1] والشاهد من الحديث قوله " قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة"، ففيه دلالة واضحة على صدور القيام والكلام من الرحم.

وقد جاء في بعض الأحاديث ما يبين أن هذا الكلام الصادر من الرحم كلام حقيقي. فقد ورد أن لها لسانا تتكلم به يوم القيامة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:عطف لنا النبي ﷺإصبعه فقال: "الرحم شجنة من الرحمن، من يصلها يصله، ومن يقطعها يقطعه، لها لسان طلق ذلق يوم القيامة"[2].

وجاء في رواية أخرى "وإنها تجيء يوم القيامة تتكلم بلسان طلق ذلق فمن أشارت إليه بوصل ، وصله الله ، ومن أشارت إليه بقطع قطعه الله "[3].

وعليه فإن قوله في الحديث"الرحمة معلقة بالعرش"المقصود منه أنها متمسكة به آخذة بقائمة من قوائمه[4]، ويكون هذا التعلق تعلقا حقيقيا على الوجه الملائم بها، لأنه ليس هناك ضرورة إلى صرف الحديث عن ظاهره مع إمكان حمله على التحقيق، بلا مانع وصارف من دليل عقلي أو نقلي، ولا يعترض بذلك كون الرحم معنى من المعاني، فإنه لا مانع من أن يجعلها الله تعالى صورا وأجساما، ويجعلها ناطقة وسائلة ومجيبة، مع أن المحققين من أهل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٤)، (كتاب التفسير/ باب ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[محمد: ٢٢]) ، ورقمه:(٤٨٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٢)، (كتاب الآداب/ باب صلة الرحم) ورقمه: (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده(١١/ ٣٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٢) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٢/ ٣٥٩)، وصححه الألباني في غاية المرام (ص: ٢٢٩- ٢٣١) وفي صحيح الأدب المفرد (ص: ٥٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٣١٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٩)، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياق "، وذكر محققوا المسند أن الحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٤) انظر:مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٦٥٨).

العلم على أن المعاني لها حقائق ثابتة في علم الله تعالى، فإذا تبين هذا فالحديث يترك على حاله ولا يتصرف في منواله كما هو طريق السلف(١).

وأما تأويله وصرفه عن ظاهره فهو من مسالك الخلف من أهل التأويل المذموم، والصواب عدم حمل كلام الله ورسوله على الاصطلاحات الحادثة بعد مضي عصر الصحابة وأتباعهم؛ لأن الله تعالى ورسوله ﷺ خاطب الناس بلغة العرب، والمخاطبون فهموا مراده، وما كانوا يفرقون بين الحقيقة والمجاز(٢)، ولأن الأصل أن الخطاب في الكتاب والسنة وبيانالشريعة محمول على ما تعقله العرب وتستعمله في كلامها فإن الله لم يخاطبنا بما لا نعقله ولا نفهمه(٣).

إذا تبين هذا فليعلم أن تعلق الرحم بالعرش نظير تعلقها بالرحمن وأخذها بحقوه، وما يقال في ذاك يقال في هذا، إلا أن الفرق بينهما أن تعلقها بالعرش تعلق بمخلوق، وذاك تعلق بالخالق.

وكان السلف يثبتون تعلق الرحم بالرحمن ويجرون ذلك على ظاهره، ولم يؤثر عن أحد منهم أنه صرفه عن ظاهره أو أنه تعرض لتأويله(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على حديث تعلق الرحم بالرحمن: "والمقصود هنا أن هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات التي نص الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجبه والغرض أن هذا ليس مما اتفقت الأئمة على تأويله"(٥).

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٢٤٥).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٢٣٤).

(٤) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن كثير من السلف أنهم كانوا يثبتون صفة الحِقْو والحُجْزَة لله تعالى، وكانوا يردون على من أنكر هذه الصفة ويتهمونه بالتجهم. انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٠٧). وما بعدها، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٢٨٢-٢٨٥)، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص: ١٢٥-١٢٧).

(٥) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٢٢).

بل النزاع فيه كالنزاع في غيره من صفات الله الواردة في القرآن والسنة كالوجه واليدين والقدم ونحو ذلك، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الرازي حين زعم أنه لابد من تأويل الحديث المتقدم حيث قال: "هذا من الأخبار التي يقره من يقر نظيره والنزاع فيه كالنزاع في نظيره فدعواك أنه لابد فيه من التأويل بلا حجة تخصه لا يصح"(١).

فلا يجوز صرف النص عن ظاهره المفهوم بلا حجة ولا برهان، لأن ذلك يفضي إلى إبطال صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، ولهذا فإن هذا الباب من نوع العلم الذي يلزمنا الإيمان بظاهره لوقوع الحجة به وقيام الدليل عليه من جهة التوقيف ولا يجوز لنا البحث عن باطنه والكشف عن علته كما لا يجوز لنا ذلك في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى بل يصح الإيمان والعلم به(٢).

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٠٦).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٣٥).

المطلب الثالث

تعلق موسى بقائمة من قوائم العرش

إن من المشاهد العظيمة التي تقع في يوم القيامة صعق الخلائق بعد النفخ في الصور كما قال تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[1]، والآية الكريمة تتحدث عن نفختي الصعق، والبعث، وفيها إخبار عن هلاك جميع الخلائق بعد نفخة الصعق، ونفخة الصعق هي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ". وأما نفخة البعث فهي النفخة التي يبعث فيها جميع الخلائق ممن شمله الصعق كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

وإن أول من يرفع رأسه من الخلائق بعد البعث هو المصطفى ﷺ كما أخبر ذلك في غير موضع، قال ﷺ "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة.."[2].

وليس هنا موضع بسط الكلام في النفخ في الصور وعدد النفخات وما يصحب ذلك من الأهوال والأمور العظام، فإن الكلام عن هذا له موضع آخر، ولكن المقصود هنا بيان ما ورد في أن النبي ﷺ يرى موسى عليه السلام متعلقا بالعرش بعد رفعه ﷺ رأسه وإفاقته من الصعق. ولبيان هذه المسألة لابد من معرفة زمن وقوع تعلق موسى بالعرش، وكيفية تعلقه به، ومكان تعلقه منه، مع بيان السبب الموجب لأن يكون موسى عليه السلام متعلقا بالعرش دون غيره من الخلائق.

أولا: متى يتعلق موسى بالعرش؟

لا شك أن تعلق موسى عليه السلام بالعرش إنما هو من حوادث يوم القيامة، لمجيء ذلك في الأحاديث الواردة في النفخ في الصور، ولعدم مجيء ما يدل على أنه متعلق بالعرش الآن، وليس هناك ما يدل على الجزم في وقت حصوله، ولهذا اختلف أهل العلم في وقت حصول

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢)سيأتي تخريجه في (ص: ١٨٨) من البحث.

التعلق بالعرش المضاف إلى موسى عليه السلام، هل هو بعد نفخة الأولى التي يصعق فيها الخلائق أم هو بعد الصعقة الواقعة لتجلي الله للخلائق يوم القيامة، فقال بعضهم إن النبي ﷺ يرى موسى متعلقا بالعرش بعد إفاقته من صعقة التجلي التي تقع في عرصات القيامة، وقال آخرون بل المقصود حصول ذلك بعد نفخة الصعق التي يفنى فيها جميع الخلائق، وفيما يأتي ذكر القولين ومن قال به من أهل العلم وما استند إليه كل فريق فيما ذهب إليه.

القول الأول: أن هذا التعلق يحصل بعد صعقة التجلي.

وهذه الصعقة إنما هي صعقة في موقف القيامة، وسببها تجلي الله للخلائق حينما يتجلى الله لفصل القضاء فيصعق الخلائق كلهم ثم يفيقون، فأول من يفيق النبي ﷺ فيجد موسى قائما آخذا بقائمة العرش، وهذا قول القاضي عياض، وأبو الحجاج المزي، وابن القيم،وابن كثير، والطحاوي، وغيرهم[(١)].

وأما أدلتهم: فقد استندوا إلى ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور"[(٢)].

واستدلالهم بهذا الحديث لهذه المسألة من وجوه:

الوجه الأول: أن قوله ﷺ: "أم جوزي بصعقة الطور" كما قال ابن كثير: "يدل على أن هذا الصعق الذي يحصل للناس يوم القيامة سببه تجلي الرب سبحانه لعباده لفصل القضاء، فيصعق الناس من تجلي العظمة والجلال، كما صعق موسى يوم الطور حين تجلى ربه للجبل فجعله دكا، وخر موسى صعقا. فموسى، عليه السلام، إذا صعق الناس يوم القيامة ؛ إما أن يكون جوزي بصعقة الطور فلا يصعق يومئذ، وإما أن يكون صعق فأفاق، أي صعق صعقة خفيفة، فأفاق قبل الناس كلهم. والله أعلم"[(٣)].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٢).

(٢)تقدم تخريجه في(ص:١١٣) من البحث

(٣) انظر:البداية والنهاية (١٩/ ٤٧٧).

الوجه الثاني: أنه ﷺ قال في الحديث:"فأكون أول من يفيق"، وهذا يدل على أنه ﷺ يصعق فيمن يصعق، وأن التردد حصل في موسى، هل صعق وأفاق قبله من صعقته، أو لم يصعق؟ولو كان المراد به: الصعقة الأولى، وهي صعقة الموت، لكان ﷺ قد جزم بموته، وتردده هل مات موسى، أو لم يمت، وهذا باطل؛ لوجوه كثيرة، فعلم أنها صعقة فزع، لا صعقة موت، والآية لا تدل على أن الأرواح كلها تموت، عند النفخة الأولى، وإنما تدل على أن من لم يذق الموت قبلها يموت، وأما من مات، أو من لم يكتب عليه الموت، فلا يموت[١].

إذا تبين هذا فإن تعلق موسى بالعرش يقع بعد صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم[٢].

الوجه الثالث: أنه لو كان هذا الصعق موتا لكان موتة أخرى.

ولهذا فإن الصعق الوارد في الحديث كما قال ابن القيم: "هو صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ، يصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾[٣]، ولو كان هذا الصعق موتاً، لكانت موتة أخرى .وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء، فقال أبو عبد الله القرطبي:"ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور"[٤].

قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمر[٥]: "وظاهر حديث النبيﷺ يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضى أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل. وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين

---

(١) الروح (ص: ٣٥).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٢).

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٥.

(٤) أصل هذا الكلام للحليمي كما في المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٤٣٢).

(٥) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الإمام أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي المحدث المدرس الشاهد نزيل الإسكندرية، صاحب كتاب: المفهم لما أشكل من فوائد صحيح مسلم، ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٥٦هـ. انظر:الوافي بالوفيات (٧/ ١٧٣)، تاريخ الإسلام (١٤/ ٧٩٥).

تنشق السموات والأرض قال فتستقل الأحاديث والآثار"(١).

قال ابن القيم: "فعلم أنها صعقة فزع لاصعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى. نعم تدل على أن موت الخلائق عند النفخة الأولى وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية والله أعلم)(٢).

توجيه أصحاب هذا القول لأدلة الفريق الثاني:

وقد أجاب أصحاب هذا القول عن الروايات الأخرى الدالة على أن هذا التعلق يحصل بعد نفخة الصعق، وقالوا كل ما ورد في ذلك فهو من وهم الرواة.

قال ابن القيم: "فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: (إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش).

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال. ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث، فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا:

أحدهما: "أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق".

والثاني: "هكذا: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة" ففي الترمذي وغيره من حديث أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح(٣).فدخل على الراوي

---

(١) الروح (ص: ٣٥)، وانظر:في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٥٧)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٣١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٢). وإكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (٧/ ٣٥٧).

(٢) الروح (ص: ٣٥)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ٣٠٨) ، (أبواب التفسير/ باب ومن سورة بني إسرائيل) ورقمه: (٣١٤٨)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٣٦٢) ،(أبواب الزهد / باب ذكر الشفاعة)، ورقمه: (٤٣٠٨) والحديث صححه الألباني كما في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٦٩).

هذا الحديث في الحديث الآخر وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ يقول ذلك. فإن قيل: فما تصنعون بقوله:"فلا أدرى أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل"، والذين استثناهم الله إنما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة كما قال الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(١)، ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة.

قيل: هذا والله أعلم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله:"فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور". فظن بعض الرواة أن هذه الصعقة هي صعقة النفخة وأن موسى داخل فيمن استثنى منها، وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعا فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث، فكيف يقول لا أدرى أبعث قبلي أم جوزي بصعقة الطور فتأمله.

وهذا بخلاف الصعقة التي يصعقها الخلائق يوم القيامة إذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم فإنهم يصعقون جميعا وأما موسى فإن كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلي ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلي عوضا من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة فتأمل هذا المعنى العظيم"(٢).

القول الثاني: أن تعلق موسى بالعرش يكون بعد نفخة الصعق أو بعد نفخة البعث.

وهذا القول هو مقتضى ظاهر الأحاديث وهو الذي تدل عليه أكثر روايات الحديث بل وجاء ذلك مصرحا في أكثر من موضع من الأحاديث الصحاح، وفيما يأتي بعض الأحاديث التي وقع فيها التصريح بأن تعلق موسى بالعرش يكون بعد نفخة الصعق أو بعد نفخة البعث.

---

(١) سورة الزمر الآية: ٦٨.

(٢) الروح (ص: ٣٧)، وانظر:شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٣)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٤٠)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان (١/ ٤٣٢).

الحديث الأول: حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة."(١).

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: "لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله "(٢).

الثالث: حديث أبي هريرة :"لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي"(٣).

الحديث الرابع:عن أبي هريرة، قال: قال يهودي بسوق المدينة، والذي اصطفى موسى على البشر، قال: فلطمه رجل من الأنصار، فقال: تقول هذا ورسول الله ﷺ فينا قال: فأتى اليهودي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٤)، قال: (فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي، أم كان ممن استثنى الله)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٢٦)، (كتاب التفسير / باب قوله تعالى﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].ورقمه: (٤٨١٣).

(٢)تقدم تخريجه في (ص: ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١٥٩)، (كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى وإن يونس لمن المرسلين) ورقمه:(٣٤١٤). وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٣) (كتاب الفضائل/ باب من فضائل موسى ﷺ) ورقمه: (٢٣٧٣).

(٤) سورة الزمر الآية: ٦٨ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ٣٧٣)، (كتاب التفسير/ سورة الزمر) ورقمه: (٣٢٤٥) وقال حديث حسن صحيح.، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٣٤٠) ، (كتاب الزهد/ باب البعث)،

ووجه دلالة هذه الأحاديث على أن تعلق موسى بالعرش يكون بعد نفخة الصعق التي يصعق فيها جميع الخلائق، ظاهر وبين، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن ذلك جاء مصرحا في الأحاديث السابقة كما في قوله ﷺ : "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش"، ففي هذا دليل واضح على أن هذا التعلق يحصل بعد نفخة الصعق أو بعد نفخة البعث، لأن النبي ﷺ يرى موسى متعلقا بالعرش بعد نفخة البعث، ونفخة البعث تعقب نفخة الصعق، وقد تردد ﷺأصعق أم لم يصعق، ولذلك فإن تردده ﷺ يفيد أن الأمر دائر بين النفختين، فإن كان قد صعق فيكون تعلقه بالعرش بعد نفخة البعث جزما، وإن كان لم يصعق صار تعلقه بالعرش بعد نفخة الصعق.

فتبين من ذلك أن الصعق الوارد في هذه الأحاديث المراد به: الصعق الذي يعقب النفخة الأولى، ولو كان المراد منه صعق آخر يقع في مواقف القيامة لم يكن لذكر النفخة الآخرة من معنى، لأن النفخ في الصور إنما يكون في ثلاث مواضع، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث[١]، وآخر هذه النفخات هي نفخة البعث، وليس هناك دليل يدل على وجود نفخة أخرى بعد نفخة البعث، فتبين من ذلك أن الصعق الذي يفيق منه ﷺ هو الصعق الذي يعقب النفخة الأولى.

والمقصود هنا: بيان أن الصعق الذي يفيق منه ﷺ حين يرى موسى عليه السلام متعلقا بالعرش، سببه النفخ في الصور وليس سببه صعقة التجلي كما قاله بعض أهل العلم. **يوضحه**:

الوجه الثاني: أنه جاء التصريح في أن هذا الحديث تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾[٢]. كما قال ﷺ عقب هذه الآية: قال: " فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي، أم كان ممن استثنى الله."

ورقمه:(٤٢٧٤)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٠٩).قال محققه: "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن"، مسند أحمد (١٥/ ٥١٠).

(١) اختلف أهل العلم في عدد النفخات في الصور فقيل: هي ثلاثة، وقيل هما نفختان. ولمعرفة أقوال أهل العلم في ذلك انظر:المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٠)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٦، ١١/ ٣٧٠).

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٨.

وذلك ظاهر في الدليل الرابع من الأدلة السابقة، وعليه يدل صنيع الإمام البخاري في تبويباته، فإنه أورد حديث الصعق في باب النفخ في الصور.[١] وإذا تبين أن هـذا الحـديث تفسير للآية السابقة اتضح أن المراد من الصعق الوارد في الحديث هو الصعق الوارد في الآية، وهذا الصعق الوارد في الآية يكون بعد النفخة الأولى كما هو نص الكتاب، فبطل بذلك قول من قـال: إن الصعق الوارد في الحديث هو صعق يكون في مواقف القيامة وسببه تجلي الله للخلائق.

وتبين من ذلك أن تفسير الصعق الوارد في الحديث بصـعق الـتجلي "غفلـة عـن مسـاق الحديث ؛ فإنه يدل على بطلان ما ذكر دلالة واضحة ، فإن النبي ﷺ قال: إنه حـين يخـرج مـن القبر فيلقى موسى ، وهو متعلق بالعرش ، وهذا كان عند نفخة البعث "[٢].

ولهذا فإن الصواب ما نصت عليه هذه الروايات من أن موسى عليه السلام يبعـث قبـل نبينا ﷺ، وأما تردده: أأصابه الصعق فبعث قبله، أو كان ممن استثنى الله تعالى، أو جـوزي عـن الصعق بصعقة الطور، كل ذلك يقتضي أنه بعث قبله.

إشكال:

ولكن يبقى الإشكال في أن النفخة التي استثنى الله تعـالى منهـا هـي الأولى، ومعلـوم أن موسى عليه السلام قد مات قبلها، فكيف يصح استثناؤه منها[٣].

"**ووجه الإشكال** : أن نفخة الصعق إنما يموت بها من كان حيا في هذه الدار ، فأما مـن مات فيستحيل أن يموت مرة أخرى ؛ لأن الحاصل لا يستحصل ، ولا يبتغى ؛ وإنما يـنفخ في الموتى نفخة البعث ، وموسى قد مات ، فلا يصح أن يموت مرة أخرى ، ولا يصـح أن يكـون مسـتثنى ممن صعق ؛ لأن المستثنين أحياء لم يموتوا ، ولا يموتون ، فلا يصح اسثناؤهم من الموتى"[٤].

أجوبة أهل العلم عن هذا الإشكال:

وقد أجاب بعض أهل العلم عن هذا الإشكال: بأن الصعق المذكور في القرآن والسنة يعم جميع من في السموات والأرض من الأحياء والأموات، فيكون موتا للأحياء وغشية

(١) انظر: صحيح البخاري (٨/ ١٠٨).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٢).

(٣) انظر:شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤٣٤).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٢).

للأموات، لأن الصعق له معان منها الغشي، ومنها الموت[1].

قال أبو العباس القرطبي: "والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك: أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى..."[2].

وقال ابن حجر: "ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع كما وقع في سورة النمل ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[3]، ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتا ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين فمن كان مقبورا انشقت عنه الأرض فخرج من قبره ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك وقد ثبت أن موسى ممن قبر في الحياة الدنيا"[4].

وبهذا تجتمع الأدلة ولا يكون قوله ﷺ: «لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور" الذي استدل به أصحاب القول الأول مخالفا للأحاديث الصريحة الواردة في هذا الباب، بل يكون موافقا لمقتضاها مبينا لمحتواها، نعم قد يكون فيه نوع من الإجمال ولكنه جاء بيان هذا الإجمال في الأحاديث الآنف ذكرها.

ولا يعارضه ما ورد في الأحاديث الأخرى من"أن موسى ممن استثنى الله، لأن الأنبياء أحياء عند الله وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا وقد ثبت ذلك للشهداء ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء وورد التصريح بأن الشهداء ممن استثنى الله[5]. وهذا

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للهرري (٢٣/ ٣٠٤).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٥٩).

(٣) سورة النمل ، الآية: ٨٧.

(٤) فتح الباري (٦/ ٤٤٤)،

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٤).

قول بعض أجلة الصحابة والتابعين كأبي هريرة وابن عباس، وسعيد ابن جبير[١]. وعلى كل فإنه لما كانت أحوال البعث والنشور خارجة عن تصورنا فإننا لا نستطيع إدراك كنهها بجميع تفاصيلها[٢] فلا نتكلف بما لا علم لنا به. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

مناقشة أدلة أصحاب القول الأول:

إذا تقرر هذا فإن استدلال أصحاب القول الأول للحديث السابق على أن الصعق المذكور في الأحاديث هو صعق التجلي لا يخلو من مقال وذلك من وجوه:

أولا: أن استدلالهم بقوله "أم جوزي بصعقة الطور" على أن هذا الصعق هو الذي يحصل للناس يوم القيامة وأن سببه تجلي الرب سبحانه لعباده لفصل القضاء، هو استدلال غير صحيح لأن ثبوت ذلك يحتاج إلى نص صريح. ولأن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة تكون عيانا، كرؤية القمر ليلة البدر، ولم يرد ما يدل على أن رؤية الله يوم القيامة يتقدمها صعق يصيب الخلائق.

نعم: الصعق الذي وقع لموسى بالطور صحيح أن سببه كان تجلي الله للجبل، ولكن لا يقاس عليه تجلي الله للناس يوم القيامة لأن أحكام الدنيا غير أحكام الآخرة، ولما لم يرد نص صريح في المسألة كان عدم الخوض فيها أولى.

ولهذا فإن إثبات صعق يسمى صعق التجلي يحتاج إلى دليل مستقل، فإن هذا الحديث في أقل أحواله يكون محتملا، وليس نصا في أن المراد بهذا الصعق هو صعق التجلي.

وإذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال، فكيف وقد جاء التصريح بأن الصعق المذكور هو الصعق الذي يعقب النفخة الأولى، كما تقدم بيانه.

ثانيا: أن قولهم: "لو كان المراد بالصعقة الواردة في الحديث : الصعقة الأولى، وهي صعقة الموت، لكان ﷺ قد جزم بموته، هل مات موسى، أو لم يمت، وهذا باطل." وكذلك قولهم: "ولو كان هذا الصعق موتاً، لكانت موتة أخرى".

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٦)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٤٣١)، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٥٤) الروح لابن القيم (ص: ٣٥).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للهرري (٢٣/ ٣٠٤).

فالجواب عنه أن النبي صلى ﷺ قد تردد في صعقه ولم يتردد في موته ولفظ الصعق لفظ شامل للغشية والموت(١)، فيحمل تردده ﷺ على الغشية لا على الموت(٢)، علما بأن موسى عليه السلام صعق بالطور ولا شك أن صعقه كان غشية ولم يكن موتا، فإذا تبين أن الصعق ذو معان لم يلزم منه أن صعق موسى -إن صعق- يكون موتة أخرى.

"ويؤيده أنه عبر بقوله:"أفاق" لأنه إنما يقال: أفاق من الغشي وبعث من الموت وكذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة لأنها لم تكن موتا بلاشك"(٣).

ولا يستشكل على ذلك مجيء لفظ البعث في بعض الروايات، لأنه "وإن كان المعروف: أن الإفاقة إنما هي من الغشية ، والبعث من الموت ، لكنهما لتقارب معناهما أطلق أحدهما مكان الآخر "(٤)، والله أعلم.

ثالثا: أنه ثبت في صحيح السنة أن الله يتجلى لعباده في الموقف، وورد أنهم يرونه ولم يرد أنهم يصعقون كما في حديث جابر: "تدعى الأمم بأوثانها ، وما كانت تعبد ، الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك ، فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ويتبعونه"(٥).

وورد أيضا أنه لا يصيب المؤمنين ضرر في رؤيتهم ربهم في الموقف، ولا شك أن الصعق ضرر، فعن أبي هريرة: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في

(١) "أصل الصعق ، والصعقة : الصوت الشديد المنكر ، كصوت الرعد ، وصوت الحمار ، وقد يكون معه موت لشدته . وهو المراد بقوله : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الزمر: ٦٨]،وقد تكون معه غشية ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾[الأعراف: ١٤٣]، انظر:المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٠)، وانظر:فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٤).

(٢) انظر:شرح صحيح مسلم للهرري (٢٣/ ٣٠٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٤).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٢).

(٥)أخرجه مسلم في صحيحه(١ / ١٢٢)، كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة)، ورقمه: ١٩١، وأخرجه البخاري كما في الحاشية التالية.

الشمس، ليس دونها سحاب؟، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه،.)[١]، وأيضا فإن تجلي الله الواقع في عرصات القيامة الذي يحصل للمؤمنين لا يعقبه صعق وإنما يعقبه سجود، كما هو الوارد في النصوص كما في قوله ﷺ : "فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة."[٢] الحديث.

وأخيرا لا شك أن نبينا محمدا ﷺ هو الذي يشفع للناس الشفاعة العظمى لفصل الخلائق، وهذه الشفاعة لا تحصل إلا بعد سجوده واستئذانه للشفاعة كما هو ثابت في دواوين السنة الصحيحة، والمقصود أن النبي ﷺ يرى ربه قبل سجوده ولم يثبت أنه يصعق، بل الثابت أنه ﷺ إذا رأى ربه خر له ساجدا، كما في قوله ﷺ : "فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا"[٣]، فإذا تبين أن النبي ﷺ يرى ربه في الموقف ولا يصعق، اتضح أن الصعق الذي يفيق منه ﷺ عند رؤيته لموسى عليه السلام متعلقا بقائمة من قوائم العرش هو الصعق الذي يعقب النفخ في الصور، وليس صعقا يحصل له في الموقف.

وإذا تقرر هذا فإن ما زعم ابن القيم[٤] من توهيم بعض روايات الحديث الواردة في الصحيحين وادعاء أن بعض الرواة ركب حديثا في حديث فهو" احتمال بعيد جداً، ويحتاج إلى دليل، ولا وجود له، إذ لا يجوز تخطئة الراوي بمجرد إشكال يعرض للإنسان في لفظ الحديث"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩ / ١٢٨) كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: [٢٢ – ٢٣]. ورقمه: ٧٤٣٧.

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه (٩ / ١٣٠) ، كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: [٢٢ – ٢٣]. ورقمه: ٧٤٣٩.

(٣) سيأتي تخريجه في (ص: ٢٠٣) من البحث.

(٤) نبَّه إلى ذلك الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٦/ ٤٤٥).

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤٣٢).

ولأن إعمال النصين أولى من إهمال أحدهما، ولا يصار إلى الترجيح إلا إذا تعسر الجمع، وقد أمكن الجمع كما تقدم ولله الحمد.

ولهذا فإن قوله ﷺ "إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش" هو مثل قوله في الحديث الآخر: "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة" وما يقال في هذا يقال في ذاك. والله تعالى أعلى وأعلم.

وعليه فإن ما ذكره الحليمي(١) في الجمع بين الحديثين يكون وجيها، حيث قال عقب قوله ﷺ: "فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق"، "فظاهر هذا الحديث: أن هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور، فإذا حمل الحديث عليها فذاك. وإن حُمل على صعقة الموت عند نفخ الصور، وصُرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله.

قيل: المعنى: أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور؟ أي فلا أدري أبعثه قبلي كان وهباً له وتفصيلاً من هذا الوجه، كما فضل في الدنيا بالتكليم. أو كان جزاء له بصعقة الطور، أي قدم بعثه على بعث الأنبياء الأخرين بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها(٢).

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، القاضي أبو عبد الله الحليمي البخاري الفقيه الشافعي، كان رئيس أصحاب الحديث، وله التصانيف المفيدة ينقل منها البيهقي كثيرا، ولد بجرجان سنة ٣٣٨هـ، وتوفي في جمادى الأولى، وقيل في شهر ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ، رحمه الله تعالى، ونسبته إلى جده حليم المذكور. انظر:وفيات الأعيان (٢/ ١٣٨)، تاريخ الإسلام (٩/ ٥٧).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٤٣٢)، ونقله القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٥٧). وابن القيم في الروح (ص: ٣٥) وتعقبه عليه بأن هذا الجمع غير صحيح، وهو متعقب عليه، لأن تعقبه مبني على رد الروايات الأخرى للحديث الواردة في الصحيحين، وتوهيم رواتها. وقد تقدم عدم صحة هذا المسلك في أوائل هذا المطلب.

منشأ الإشكال في المسألة:

ومنشأ الإشكال(١) في هذه المسألة هو السؤال بكيف(٢) في أمر غيبي وإعمال العقل بها لا مجال للرأي فيه، فمن قال كيف يصح استثناء موسى من نفخة الصعق التي يموت فيها الخلائق وقد ثبت أن موسى مات من قبل؟.

قيل له: كيف يصح أن يكون موسى يصلي في قبره وقد مات من قبل؟(٣) فما أجاب به هنا يكون جوابا له هناك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لا يمكن الجزم بكل من استثناه الله فإن الله أطلق في كتابه. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺقال: "إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله؟" وهذه الصعقة قد قيل إنها رابعة وقيل إنها من المذكورات في القرآن؛ وبكل حال النبي: ﷺ قد توقف في موسى هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟

فإذا كان النبي ﷺلم يجزم بكل من استثناه الله لم يمكنا أن نجزم بذلك وصار هذا مثل العلم بقرب الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما"(٤).

وأما سبب تعلق موسى بالعرش فلعله لهول ما يقع عند النفخ في الصور كما قال أبو العباس القرطبي: "هذا من موسى تعلق فزع لهول المطلع ،وكأنه متحرِّم بذلك المحل الشريف ، ومتمسك بالفضل المنيف"(٥)، ومما يدل على ذلك كيفية تعلقه بالعرش، فقد بينت

---

(١) انظر:المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٤٣٢).

(٢) قال القاضي عياض: "وهذا من أشكل الحديث ؛ لأن موسى قد مات قبل ، فكيف تدركه صيحة الصعق و إنما تصعق الأحياء ؟!" إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (٧/ ٣٥٦).

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال:"..مررت ، على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر ، وهو قائم يصلي في قبره" أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ١٠٢)، (كتاب الفضائل/ باب من فضائل موسى عليه السلام)، ورقمه: (٢٣٧٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٦).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٣٢).

بعض الروايات أنه يتعلق بقوة كما في قوله: "فإذا موسى باطش بجانب العرش"[١] أي آخذ بشيء من العرش بقوة والبطش الأخذ بقوة[٢]، فتبين من ذلك أن تعلق موسى بالعرش هو التجاء إلى الله من هول المشهد كما أن الرحم متعلقة بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة.

وأما مكان تعلقه من العرش فهو ظاهر بين كما ورد في صريح الروايات أنه يتعلق بقائمة من قوائم العرش، وقد سبق شيء من التفصيل في ذلك عند الكلام عن قوائم العرش بما أغنى عن إعادته هنا. والله أعلم .

ويستخلص مما سبق من النصوص أن نبي الله موسى عليه السلام سيتعلق بقائمة من قوائم العرش عند البعث والنشور، وأن الرحم معلقة بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة، وأن أرواح المجاهدين مسكنها قناديل معلقة بالعرش، فلما كان العرش من أشرف المخلوقات عند الله، - وقد كفى به شرفا أن الله خصه بالاستواء عليه دون غيره من خلقه-، دل ذلك على أن من تعلق به له عند الله منزلة علية، لأنه لا يمكن القرب منه إلا من كان عند الله زكيا، فموسى عليه السلام كليم الله، وأحد أولي العزم من الرسل، والشهداء لهم المرتبة الثالثة عند الله، بعد النبيين والصديقين، فهم ممن خصهم المولى بنعمه، والرحم اشتق لها الرحمن من اسمه، هي الرحم وهو الرحمن. ولها عهد عند الله أن من وصلها وصله الله وأن من قطعها قطعه الله، وقد تم بيان هذا فيما مضى من المطالب الثلاثة.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ١١٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٥).

المبحث الثالث

سجود بعض المخلوقات تحت العرش وفيه مطلبان :

المطلب الأول : سجود النبي ﷺ تحت العرش .

المطلب الثاني : سجود الشمس تحت العرش .

تمهيد

لما كان العرش أعلى المخلوقات وأرفعها،وكان هو سقفها اقتضى ذلك أن تكون جميع المخلوقات تحته[١]،ولما كانت كل الكائنات مسبحة بحمده كما أخبر تعالى في غير ما آية من كتابه كقوله:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[٢]، وكان من جنس تسبيحها سجودها لربها[٣]، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾[٤] ، وقال أيضا: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[٥].

لما كان ذلك كذلك كان لزاما أن يكون سجود جميع المخلوقات واقعا تحت العرش لكون جميعها تحته[٦]، ولكن جاء تخصيص سجود بعض المخلوقات تحت العرش كسجوده ﷺ تحت العرش يوم القيامة للشفاعة، وكذلك سجود الشمس تحت العرش عند غروبها، وهذا ما سيتم بيانه فيما يأتي من المطالب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٢)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٥/ ٢٨)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٣٠١).

(٢) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٨٤).

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٨،٤٩.

(٦) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٥٩).

المطلب الأول

سجود النبي ﷺ تحت العرش

إن الرب تبارك وتعالى أخبر في غير موضع من كتابه أنه لا شفاعة عنده لأحد من الخلق إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا،سواء كان الشافع ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو وليا مرضيا،فشفاعتهم لا تنفع بنص الكتاب إلا بهذين الشرطين:

أولا:إذن الله للشافع أن يشفع للمشفوع له.كما قال تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1]، وقال أيضا:﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[2]، ففي الآيتين نفي الرب سبحانه الشفاعة عن غيره إلا بإذنه.

ثانيا: رضى الله عن الشافع والمشفوع له.ولا يرضى الرحمن إلا عن أهل التوحيد.قال تعالى:﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[3]، ففي الآية بيان في أن الملائكة لا يشفعون إلا من كان عند ربه مرضيا.[4]وقد جمع الله هذين الشرطين في موضعين من كتابه،قال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[5]، وقال أيضا:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[6].وقد أكرم الله نبيه محمدا ﷺبأن يكون أول الشفعاء يوم القيامة،كما قال ﷺ:"أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا"[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) انظر:إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٢١)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٠٤)، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص: ٩٧).

(٥) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٦) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٩)، (كتاب الإيمان/ باب في قول النبي ﷺ :أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا) ورقمه:(١٩٦).

ومع كونه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة، وكونه المخصص بالمقام المحمود، وكونه أول الشفعاء يوم القيامة، فإنه لا يشفع ابتداء[1] ولكنه يستأذن ربه في ذلك، فيؤذن له فيخر ساجدا لربه فيفتح الله عليه من محامده ما لم يكن سبق أن فتح عليه من قبل، فيحمده بتلك المحامد ثم يؤذن له في الشفاعة فيشفع.

وليس المراد هنا الكلام عن الشفاعة وبيان شروطها وأنواعها وأدلتها، فالكلام في تفصيل ذلك له موضع آخر، وإنما المقصود هنا بيان كيفية استئذان المصطفى ﷺ عند شفاعته لفصل الخلائق، وعند شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة، وعند شفاعته لأهل الكبائر من أمته فهو ما يخصنا في هذا البحث،وبيان ذلك فيما يأتي:

كيفية استئذان النبي ﷺ للشفاعة.

اتفقت الأحاديث الواردة في الشفاعة على كيفية استئذان النبي ﷺ للشفاعة، وأن ذلك يتم في سجوده ﷺ لربه، كما في حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:" أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه.."[2].

ولكن اختلفت ألفاظ الأحاديث في تحديد مكان سجوده،ففي بعضها أنه يسجد تحت العرش، وفي بعضها أنه يسجد في الجنة، وورد في بعضها أنه يسجد بعد استئذانه على ربه في داره، وسيتضح ذلك فيما يأتي.

أولا: ما ورد فيه التصريح أنه ﷺ يسجد تحت العرش.

جاء في حديث الشفاعة الطويل أن الله عز وجل يجمع الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد ويدنيهم الشمس، فيصيبهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيطلبون الشفاعة من آدم أبي البشر عليه السلام، وأولي العزم من الرسل عليهم السلام، يذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم

---

(١) انظر: الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص: ١١٣)، مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام (٢/ ٣٥٠)، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص:٥٢٨)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٣٩)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٤) قال الحاكم في المستدرك(٢/ ٥٦٤)، "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(١/ ٩٨).

موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون من الشفاعة،ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقولون:"يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه. فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز و جل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى "(١).

ففي الحديث بيان بين في مكان سجوده ﷺ ،وأنه يأتي تحت العرش فيخر ساجدا لربه، ويحمده بتلك المحامد التي سيفتح الله عليه في سجوده. وقوله "فآتي تحت العرش"، فيه عموم، لأن العوالم والخلائق كلها تحت العرش لكونه محيطا بالكائنات كما تقدم، فما المراد من قوله "تحت العرش؟.

لم يرد في ذلك نص صحيح يدل على اسم هذا المكان الذي يسجد فيه النبي ﷺ، ولكن جاء في بعض روايات حديث الشفاعة ما يدل على اسم هذا المكان وأنه يقال له الفَحْص، وأنه مكان قُدَّام العرش. كما في قوله: "فإذا جاءوني انطلقت حتى آتي الفَحْص فأخرُّ قدام العرش ساجدا، فيبعث الله إلي ملكا فيأخذ بعضدي فيرفعني، قال أبوهريرة: فقلت: يارسول الله، وما الفَحْص؟فقال: قُدَّام العرش"(٢)،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ٨٥) ،(كتاب التفسير/ باب﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء: ٣]). ورقمه: (٤٧١٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٧) ، (كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) رقم: (١٩٤) .

(٢)أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٨٩)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٨٤)، والطبري في تفسيره (٣/ ٦١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣/ ٨٢٩)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٣٤٠)، كلهم من طريق واحد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار، وفيه إسناده رجل مجهول، فالحديث ضعيف الإسناد.وعليه فإن ذكر "الفحص" في الحديث يكون منكرا، لأنها زيادة مخالفة للروايات الأخرى الواردة في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث.

وهذه رواية ضعيفة فلا يُعوّل عليها، ومع ضعفها فهي مخالفة لما جاء في الصحيحين من أن النبي ﷺ يسجد في الجنة.

ثانيا: ما ورد فيه سجوده ﷺ في دار الرب.

جاء في بعض روايات حديث الشفاعة أنه ﷺ يستأذن على ربه فيؤذن له،فإذا دخل عليه في داره ورآه خر له ساجدا. كما في حديث أنس"... ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة ..."(١).

والشاهد من الحديث قوله:"فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا" ففي الحديث دلالة على أنه يسجد في دار الله تعالى بعد استئذانه على ربه، وأما المراد من الدار هنا فقيل هي الجنة، وأن النبي ﷺ يسجد في الجنة،كما نقل ابن حجر عن القاضي عياض حيث قال:"..الدار هي الجنة، وأضيفت إلى الله تعالى إضافة تشريف ومنه ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾(٢) على القول بأن المراد بالسلام هنا الاسم العظيم وهو من أسماء الله تعالى قيل الحكمة في انتقال النبي ﷺ من مكانه إلى دار السلام أن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة وإشفاق ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام"(٣).

ويؤيد هذا القول ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه:".. فيأتونني فأنطلق معهم ...قال: " فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لي، ويرحبون بي، فيقولون: مرحبا، فأخر ساجدا، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٣١) ،(كتاب التوحيد/باب قول الله تعالى﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢] ورقمه: (٧٤٤٠)وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٤) ، (كتاب الإيمان/ باب بيان من يخرج من النار)، ورقمه: (١٩٣)،وقوله"في داره" ليس في صحيح مسلم.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٣٦).

وقل يسمع.."[1].

والشاهد من الحديث أنه ﷺ يخر ساجدا لربه بعد فتح أبواب الجنة،فدل على أنه يسجد في الجنة. وقيل: مكان سجوده ﷺ مكان معين، والمراد من الدار هنا مكان تحت العرش يقال له الفحص.

قال الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان في قوله:"((فأستأذن على ربي في داره))...قيل: المراد الجنة، والظاهر أن المراد مكان معين، كما في حديث الشفاعة الطويل "فآتي تحت العرش" ، وفي حديث الصور: "فآتي مكاناً تحت العرش، يقال له: الفحص"، فيكون المعنى: المكان الذي تحت عرشه"[2].

وهذا القول يرده ما جاء في الروايات الصحيحة من وقوع سجوده ﷺ في الجنة كما سيأتي توضيحه.

ثالثا: ما ورد فيه التصريح من أنه ﷺ يسجد في الجنة.

وقد جاء ذلك مبيَّنا في بعض الأحاديث التي وردت في الشفاعة العظمى كما في حديث ابن عمر:"إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيؤمئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم"[3].

وهذا الحديث فيه دلالة قوية على أمرين مهمين : **أحدهما**: أن الشفاعة العظمى تقع في الموقف، وذلك حين تُدنى الشمس على رؤوس الخلائق، فيطلبون الشفاعة من الأنبياء على ما ذكر في الحديث.

والثاني: أن هذه الشفاعة تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ، وإذا أراد أن يشفع سجد لله تعالى، ولكن سجوده ﷺ لا يكون في الموقف، بل يترك الموقف، ويذهب حتى يصل إلى الجنة،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٠٩)، (كتاب التفسير/ باب ومن سورة بني إسرائيل)، ورقمه: (٣١٤٨)وقال هذا حديث حسن.وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢٨) وصححه الألباني كما في سلسلةالأحاديث الصحيحة (٤/ ٩٧).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(٢/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٤)،(كتاب الزكاة/ باب من سأل الناس تكثرا)، ورقمه:(١٤٧٥).

فيستفتح فيفتح له، فإذا فتح له خر لربه ساجدا. كما في قوله: " فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيؤمئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع"(١).

ونحوه ما جاء في رواية أخرى:"...فيأتوني فيقولون: يا محمد اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، قال: فأقول: نعم، فآتي باب الجنة، فآخذ بحلقة الباب فأستفتح، فيقال: من أنت؟ فأقول: محمد فيفتح لي فأخر ساجدا، فأحمد ربي بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد كان بعدي(٢).

ومما جاء في بيان موقع سجوده ﷺ حديث سلمان الفارسي وفيه:" تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق قامة في الأرض...، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ائتوا أباكم آدم فليشفع لكم إلى ربكم، فيأتون آدم فيقولون...فيأتون محمدا ﷺ، فيقولون: يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وختم، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وجئت في هذا اليوم آمنا، وقد ترى ما نحن فيه فاشفع لنا إلى ربنا ، فيقول: أنا صاحبكم، فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة في الباب من ذهب، فيقرع الباب، فيقال: من هذا ؟ فيقال: محمد، قال: فيفتح له، فيجيء حتى يقوم بين يدي الله ، فيستأذن في السجود فيؤذن له فيسجد ، فينادي: يا محمد ! ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، وادع تجب"(٣).

والشاهد من الحديث قوله: "فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة في الباب من ذهب، فيقرع الباب ، فيقال: من هذا ؟ فيقال: محمد ، قال: فيفتح له، فيجيء حتى يقوم بين يدي الله ، فيستأذن في السجود فيؤذن له فيسجد".

---

(١) انظر:فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢١/ ٢١٣)، إسناده صحيح على شرط مسلم كما ذكر ذلك محققوا المسند.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(١١/ ٤٤٩)، وابن خزيمة في التوحيد(٢/ ٧٠٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٢): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح."، وقال الألباني في تخريجه كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٨٤): "إسناده صحيح على شرط الشيخين ولكنه موقوف على سلمان وهو الفارسي إلا أنه في حكم المرفوع لأنه أمرغيبي لا يمكن أن يقال بالرأي ولا هومن الإسرائيليات".

ففيه بيان أن النبي ﷺ يكون واقفا مع الخلائق حتى تنتهي إليه الشفاعة ثم ينطلق فيذهب نحو الجنة، فإذا وصل الجنة قرع بابها فيفتح له، فيذهب حتى يقوم بين يدي الله، فيخر ساجدا ثم يؤذن له في الشفاعة ثم يشفع.

فدل الحديث على أن محل سجوده ﷺ يكون في الجنة بين يدي الرحمن، فلما كان سجوده ﷺ واقعا بين يدي الله في الجنة،وكان الرب سبحانه على عرشه،دل ذلك على أن سجوده ﷺ واقع

تحت العرش أيضا، فتبين من ذلك أن سجوده في الجنة هو معنى سجوده تحت العرش.

ويتبين من خلال ما سبق: أن الروايات التي ورد فيها أنه ﷺ يسجد تحت العرش فيها إجمال،وكذلك ما جاء في كون سجوده ﷺ واقعا في دار ربه، والإجمال الواقع في هذه الروايات جاء مبينا في الروايات الأخرى الدالة على أن سجوده ﷺ واقع في الجنة، فالجنة تحت العرش، وهي دار الرب[1].

وسواء قيل إن سجوده ﷺواقع تحت العرش، أو قيل إن سجوده يقع تحت العرش، ويقع أيضا في الجنة،فليس هناك خلاف معتبر بين القولين،لأن سجوده ﷺ في الجنة هو معنى سجوده تحت العرش،لكون العرش سقف الفردوس الأعلى من الجنة،فإذا سجد في الجنة سجد تحت العرش حتما. والله أعلم.

---

(١) انظر:توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (٢/ ٢٣٨).

المطلب الثاني

سجود الشمس تحت العرش

لما كانت جميع الكائنات مسخرة ومذللة لربها، أخبر تعالى أنها تسبح بحمده وتسجد له سجودا حقيقيا،ولكن لكل جنس من هذه الكائنات سجوده الخاص به، والذي يتناسب مع طبيعته وخلقته(١)، فالنجم والشجر يسجدان، والملائكة تسجد للديّان، وكذلك كثير من الإنس والجان،وكل ما خلقه الله فهو في سجود للرحمن.قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾(٢). وقال أيضا:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٣).

ففي هذه الآيات إخبار عن سجود هذه المخلوقات وأنها مسخرة له سبحانه، وليس فيها بيان عن تفاصيل كيفية سجودها، فجميع هذه المخلوقات تسجد له سبحانه ولكن على هيئة لا يعلمها إلا خالقها عز وجل.

وقد أخبر الشارع عن بعض ما يتعلق في سجود هذه المخلوقات، ومنها ما جاء في أن الشمس تسجد لربها، وأنها تسجد تحت العرش عند غروبها، والمقصود هنا بيان أدلة سجود الشمس تحت العرش كل ليلة، وكيفية الجمع بين كونها لا تغيب عن العالم في آن واحد وبين سجودها تحت العرش عند مغيبها.

أولا: الأدلة على أن الشمس تسجد لربها.

من الأدلة التي جاء فيها التنصيص على سجود الشمس لربها قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾(٤).

---

(١) انظر:تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٣)،

(٢) سورة الرعد، الآية:١٥.

(٣) سورة النحل ،الآية: ٤٨،٤٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.

ففي هذه الآية يخبر تعالى أنه يسجد له من في السموات والأرض من المخلوقات، ومنها الشمس والقمر،فتبين من ذلك أن سجود الشمس سجود حقيقي، وهوسجود "بتمييز وادراك يخلق الله تعالى فيها" (١).

لكن لا يتصور أن سجودها كسجود الإنسان، بل لها سجود يخصها، إذ إن لكل مخلوق سجودا يتناسب بطبعه، "وسجود كل شيء مما يختص به"(٢).

ومن الأدلة الدالة على سجود الشمس أيضا عموم النصوص الواردة في أن جميع المخلوقات تسجد لخالقها(٣).

وقد دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن الكريم من سجود الشمس لخالقها، وبينت أن جريانها متوقف على سجودها لربها،واستئذانها في السير في طلوعها وغروبها،وبينت أيضا أنه سيأتي زمان تسجد لربها فتستأذن في الطلوع من مطلعها،ولكن الخالق لا يأذن لها، ويأمرها أن تطلع من مغربها فينعكس سيرها ودورانها. وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانهالم تكن آمنت من قبل، والمراد هنا بيان ما جاء في سجودالشمس من السنة النبوية الصحيحة.

فعن أبي ذر ﵁ قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس تدري أين تذهب . قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(٤)"(٥).

وفي رواية قال أبو ذر:"كنت مع النبي ﷺعند غروب الشمس فقال:يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٣).

(٣) انظر:فيما تقدم في (ص:٢٠٧) من البحث.

(٤) سورة يس،الآية:٣٨.

(٥) تقدم تخريجه في (ص: ٥٤) من البحث.

فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(١). "(٢).

وفي رواية قال أبو ذر: "دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس فلما غربت الشمس قال "يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ". قال قلت الله ورسوله أعلم قال: " فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها". في قراءة عبد الله"(٣).

وفي رواية قال: أبو ذر: "سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾(٤)، قال: "مستقرها تحت العرش"(٥).

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: " أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم ؟

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر، (٦/ ١٢٣) ، (كتاب التفسير/ باب ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]. ورقمه: (٤٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٥)، (كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: ٧] ورقمه: (٧٤٢٤). وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٩٦)، (كتاب الإيمان/ باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان)، ورقمه: (١٥٩).

(٤) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦/ ١٢٣) ، (كتاب التفسير/ باب ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨])، ورقمه: (٤٥٢٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه(١/ ٩٦)، (كتاب الإيمان/ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) ورقمه : (١٥٩).

ذاك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾(١)"(٢).

والغرض من جمع روايات الحديث بيان أن في بعضها زيادات تكلم فيها بعض العلماء كما سيأتي في آخر المبحث.

وهذا الحديث بجميع رواياته يدل على سجود الشمس لخالقها كل يوم سجودا حقيقيا، ولا حاجة إلى تأويل ذلك بالانقياد والطاعة والتسخير،فإن الكون كله مسخر ومنقاد لربه،(٣)ولا يقال أيضا إنه ﷺ شبّهها بالساجد عند غروبها، فكل هذه التأويلات يأباه ظاهر النص(٤).

وقد "أنكر قوم سجودها، وهو صحيح ممكن لا يحيله العقل وتأوّله قوم على التسخير الدائم"(٥)، وهو غير صحيح أيضا، لأن الله قد اختص الله كل مخلوق بسجود يناسب هيئته وخِلقته، لا يشترك فيه مع غيره إلا بموجب الاشتراك اللفظي لا الاشتراك الفعلي الحقيقي المطابق للفعل والهيئة.

فكما أن الشجر يسجد لربه ولا نفقه كيفية سجوده فكذلك الشمس تسجد لخالقها،ولا يقاس سجود هذه المخلوقات على سجود الإنسان،لأنه "من المعلوم أن سجود كل شيء بحسبه،وليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض"(٦).

ولبيان معنى سجود الشمس تحت العرش لابد من فهم **"معنى الغروب"**. لأنه قد التبس ذلك على بعض الناس، فظنوا أن الغروب الوارد في قوله ﷺ"أتدري أين تغرب؟"هو التواري التام عن نظر جميع أهل الأرض وأن هذا من لوازم السجود المذكور.

---

(١) سورة الأنعام، الآية:١٥٨.

(٢)سيأتي تخريجه في (ص: ٢٢٠).

(٣) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني (٧/ ٨٩)، وفيض الباري على صحيح البخاري للشخ محمد أنور شاه الكشميري (٤/ ٣٠٥- ٣٠٦).

(٤) انظر:كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٣٥٩)، وعارضة الأحوذي لابن العربي المالكي (٩/ ٣٠-٣١)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٣٨).

(٥) عارضة الأحوذي (٩/ ٣٠)،وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٩٩).

(٦) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٣٥٤)، مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٨٤)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢١/ ٢٨٤) .

فقالوا كيف يمكن الجمع بين كون الشمس لا تغيب عن العالم في آن واحد وبين سجودها تحت العرش عند مغيبها. والجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: بيان معنى الغروب من حيث اللغة.

ذلك أن من معاني الغروب "الذهاب" كما قال ابن منظور: "الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس"(١) فغروب الشمس هو عبارة عن ذهابها واختفائها عن أهل قطر معين من الأرض كما تقتضيه اللغة.

وليس معنى الغروب اختفاؤها التام عن أهل الأرض قاطبة، فالشمس وإن كانت غاربة عن قوم فهي طالعة على آخرين باتفاق أهل العلم والمعرفة، و"لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين"(٢).

إذ ليس هناك مكان معين تختفي فيه الشمس فتكون فيه محبوسة حتى يطلع الفجر كما يفهمه بعض الناس، يوضح ذلك ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾(٣).

قال الخطابي: "وليس معنى قوله: ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾(٤)، أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبر عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيره حتى لم يجد وراءها مسلكا فوجد الشمس تتدلى عند غروبها فوق هذه العين، أو على سمت هذه العين، وكذلك يتراءى غروب الشمس لمن كان في البحر وهو لا يرى الساحل، يرى الشمس كأنها تغيب في البحر، وإن كانت في الحقيقة تغيب وراء البحر"(٥).

والغروب المضاف إلى الشمس هو في رأي العين وليس للشمس غروب تام عن الأرض كلها، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ ﴾، ولم يقل غربت في عين حمئة، لأن الناظر إلى الشمس عند مغيبها في جهة البحر يجزم أنها تغيب في

(١) لسان العرب (١/ ٦٣٨).

(٢) نقل عنه الآلوسي في روح المعاني (١٢/ ١٣).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٥) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٩٨٥)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤).

البحر،وهذا واقع في عين البصر، وإن كان غير واقع في عين البصيرة.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله :" قال القفال[1]: قال بعض العلماء : ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا وصل إلى جرمها ومسها ؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض ، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة ،بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق ، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة ، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ؛ ولهذا قال : "﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾[2]، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم"[3].

وقال ابن كثير رحمه الله :"وقوله :﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾، أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه "[4]. وكذلك طلوعها هو في رأي العين كما قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾[5].

وهذا صحيح في رأي البصر لكنه مخالف لرأي البصيرة، ولذلك نسب المرئي إلى من يراه فقال:"وترى". لأن هذا هو ما يلوح للناظر،والواقع أن الشمس لا ينقطع طلوعها عن وجه الأرض.

---

(١)الإمام، العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القَفَّال الكبير، إمام وقته، بما وراء النهر، وصاحب التصانيف، توفي في عام ٣٦٥هـ.انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٠٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٨٢)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٣).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٠ .

(٣) تفسير القرطبي(١١/ ٤٩-٥٠).

(٤) تفسير ابن كثير(٥/ ١٩١)، وانظر أيضا: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٤٨)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٣٤).

(٥) سورة الكهف، الآية:١٧.

فتبين من ذلك أن الغروب الوارد في الحديث معناه ذهابها عن أهل ذلك القطر،وذهاب الشمس هو معنى جريانها المذكور في الآية، يوضحه:

الوجه الثاني: أن جميع روايات الحديث الصحيحة جاء فيها لفظ الذهاب.

كما في قوله ﷺ لأبي ذر: ""يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ". قال قلت الله ورسوله أعلم قال: " فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها."[(١)]

ولفظة "الذهاب" تتضمن معنى الحركة، فما من ذاهب إلا وهو متحرك،بل جاء في بعض روايات الحديث تفسير الذهاب بالجري، كما في قوله ﷺ :" أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة "[(٢)].

والمتأمل يجد أن كل الروايات الصحيحة جاءت بلفظ: أين تذهب ؟،إلا رواية واحدةعند البخاري وغيره –وهي التي أثارت الإشكال– جاءت بلفظ ":"يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال:فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. فذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[(٣)]"[(٤)].

فيكون ظاهرها دالا على أن كل غروب عن أهل كل قطر من لوازم سجودها تحت العرش ،**ولحل هذا الإشكال يحمل معنى الغروب** في هذا السؤال على ما جاء في أكثر الروايات التي في الصحيحين وغيرهمامن عموم معنى "الذهاب".وبيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول:أن أكثر الروايات جاءت بلفظ الذهاب إلا هذه الرواية،فيحمل ما جاء في هذه الرواية من الغروب على ما جاء في الروايات الأخرى من الذهاب، فيفسر بعضها ببعض،لأن الباب إذا لم يجمع طرقه لم يتبين خطؤه من صوابه،لاسيما وأنه ليس في اللغة ما ينفي هذا، بل فيها ما يدل عليه ويقتضيه كما سبق بيانه.

---

(١) تقدم تخريجه في: (ص: ٢٠٩) من البحث.

(٢) سيأتي تخريجه في: (ص:٢٢٠) من البحث.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٤) تقدم تخريجه في (ص: ٢٠٩)

الوجه الثاني:أن الرواية التي جاء فيها الغروب جاء فيها أيضا لفظ الذهاب،كما في قوله ﷺ في الحديث السابق: " يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال:"فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ".فالذهاب الوارد في قوله ﷺ: " فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش"هو بيان لمعنى الغروب الوارد في الحديث.

فقوله:"تذهب" يدل على جريانهاولا يدل على مكان الغروب لأن الشمس لا تغرب في موقع حسي معين وإنما تغرب في جهة معينة وهي ما اصطلح عليه الناس باسم المغرب أو الغرب، والغروب في اللغة التواري والذهاب كما ذكره ابن منظور وغيره، يقال غرب الشيء أي توارى وذهب[١].

ولهذا يقال: "إن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا هو وقت العصر في بلد ، ووقت الظُّهر في بلدٍ آخر ، ووقت الضَّحوة في بلد ثالثٍ ، ووقت طلوع الشمس في بلدٍ رابع ، ونصف الليل في بلد خامسٍ ، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بالاستقراء والأخبار وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال : إنَّها تغيبُ في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين.[٢]

وبهذا يزول الإشكال، فيكون معنى غروب الشمس ذهابها واختفاؤها[٣] عن أهل قطر معين،وذهابها هو جريانها في فلكها كما جاء ذلك موضحا في القرآن والسنة الصحيحة.

فالخلاصة أن المراد بلفظ "الغروب" في الحديث الذهاب والسير والجريان كما هو مفسر في الرواية الأخرى، وكما هو مستعمل في لغة العرب وكما هو مستفاد من ظاهر قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾[٤]،فالغروب في حقيقته ليس إلا جريان الشمس وليس

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٦٣٨).

(٢) انظر: تفسير اللباب لابن عادل ـ (١٢/ ٥٥٧).

(٣) يقال:"غَرَبتِ الشمس غروبا: اختفت في مغربها، أي في مكان غروبها، وفلان غاب والْقوم ذهبوا وَعنهُ تنحى يقال اغرب عني وفلان غربا وغربة بعد عن وطنه" معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٦٠١)،وانظر: أيضا: المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٧).

(٤) سورة يس، الآية: ٣٨.

للشمس مغرب حقيقي ثابت يتفق عليه أهل الأرض.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"والمراد بـ"مغرب الشمس"مكان مغرب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمورة من طريق غزوته أو مملكته،وذلك حيث يلوح أنه لا أرض وراءه بحيث يبدو الأفق من جهة مستبحرة، إذ ليس للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل"(١). إذا تبين هذا، فالشمس تسجد لربها كل يوم وهي تجري في فلكها،وسجودها ليس من لوازم غروبها عن أهل قطر معين، وليس المعنى كما قال ابن كثير: " أن الشمس تصعد إلى فوق السماوات حتى تسجد تحت العرش، بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التسيير وليس في الشرع ما ينفيه، بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه"(٢).

مكان سجود الشمس.

وأما مكان سجودها،فهو تحت عرش الرحمن،كما في قوله"حتى تسجد تحت العرش"، وقوله في الحديث ""تحت العرش"" يحتمل على أمرين:

أحدهما: أن يقال: إن سجودها تحت العرش هو كسجود غيرها من الخلائق، وذلك لأن السموات والأرض وغيرهما من العوالم كلها تحت العرش ففي أي موضع سقطت وغربت فهو تحت العرش،وأينما سجدت فهي ساجدة تحت العرش،سجودا يخصها ويناسبها.

قال ابن الجوزي: "ربما أشكل الأمر في هذا الحديث على من لم يتبحر في العلم، فقال: نحن نراها تغيب في الأرض، وقد أخبر القرآن أنها تغيب في عين حمئة، فإذا دارت تحت الأرض وصعدت، فأين هي من العرش؟

فجواب الأول: إن الأرضين السبع في ضرب المثال كقطب رحا، والعرش لعظم ذاته كالرحى، فأين سجدت الشمس سجدت تحت العرش، وذلك مستقرها"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير(١٦/ ٢٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/ ٧٠)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٢٥٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٥٩).

وذلك لأن العرش محيط بجميع المخلوقات من كل جهة،كإحاطة الرحى بقطبه، فلما كان ذلك كذلك وأخبر الشارع عن سجودها لزم أن يكون ذلك واقعا تحت العرش.

والثاني: أن يكون سجودها واقعا في مكان مخصوص.

لا شك أن جميع الخلائق يسجدون تحت العرش، فما من ساجد إلا وسجوده واقع تحت العرش، لكون العرش محيطا بجميع الخلائق، ولكن إذا قيل:إن سجود الشمس تحت العرش داخل في هذا العموم، فإنه يشكل عليه أنه لا وجه لتخصيص سجود الشمس تحت العرش حينئذ!!!

وعليه فإن الصحيح الذي يدل عليه ظاهر النصوص أن الشمس تسجد مكانا معيّنا سماه الشارع "تحت العرش" فقوله في الحديث: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش" يدل على أن لها غاية معينة تجري إليها ليقع سجودها فيه.

وهذه الغاية هي المسماة بـ"تحت العرش"ولو لم يكن لها مكان معين تسجد فيه لما كان لقوله: "فإنها تذهب حتى تسجد" من معنى، لأن كلمة "حتى" تدل على الغاية، فالشمس لا تجاوز غايتها حتى تسجد، إذ إن ذهابها كل يوم مربوط باستئذانها للجريان والسير الدؤوب، وهذا السير والجريان غير مأذون لها حتى تسجد، وسجودها لا يقع في كل مكان، وإنما يقع في غاية معينة، وهذه الغاية هي"تحت العرش" كما هو منصوص في جميع روايات الحديث.

بل جاء في بعض الروايات تصريح انتهائها إلى هذا المكان المعين، ووقوع سجودها فيه، كما في قوله: "تذهب حتى تنتهي تحت العرش عندربها"(١).وبهذا يتبين عدم صحة قول ابن الجوزي المتقدم.

وأن" الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش وهو سَمْت معين لا قبل للناس بمعرفته، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة

---

(١)أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩/ ١٤).

الأجرام التابعة لنظامها تنقطع تبعا لانقطاع حركتها هي وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي"(١).

وقت سجود الشمس.

وأما وقت سجودها: فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها تسجد عند محاذاتها تحت العرش في جريانها.

قال الخطابي في تعليقه على حديث أبي ذر: "وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والخبر عن سجود الشمس والقمر لله عز وجل قد جاء في الكتاب قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾(٢). وليس في هذا إلا التصديق والتسليم وليس في جودها لربها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها والتصرف لما سخرت له"(٣).

وقال أيضا: "فأما قول الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾(٤)، فإنه ليس بمخالف لما جاء في هذا الخبر من أن الشمس تذهب حتى تسجد تحت العرش، لأن المذكور في الآية إنما هو نهاية مدرك البصر إياها حال الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد غروبها فيما دل عليه لفظ الخبر، فليس بينهما تعارض"(٥).

ولا يفهم من هذا أيضا أن الشمس تخرخ من فلكها فتصعد فوق السموات حتى تسجد تحت العرش لأنه من ال"معلوم أن الشمس لا تزال في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٦)، فهي لا تزال تسبح في

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠-٢١).

(٢) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٣) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٨٩٤)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٥) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٨٩٤- ١٨٩٥)، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٤٨)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٣٤).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

الفلك وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة كما أخبر النبي ﷺ فهي تسجد سجودا يناسبها وتخضع له وتخشع كما يخضع ويخشع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس"(١).

قال ابن كثير في تعليقه على حديث أبي ذر السابق: "ولا يدل على أنها تصعد إلى فوق السماوات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا، وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه، وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التسيير، وليس في الشرع ما ينفيه، بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فإذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلاً في اعتدال الزمان، بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي فإنها تكون أبعد ما يكون من العرش ؛ لأنه مقبب من جهة وجه العالم، وهذا محل سجودها كما يناسبها، كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا، فإذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من الشرق، فيؤذن لها، فتبدو من جهة الشرق."(٢).

ومن خلال ما تقدم من أقوال أهل العلم يتبين أن سجود الشمس يحصل إذا غربت من الجهة التي كان عليها النبي ﷺوإن كان لغيرهم من أهل الأرض نهار، فالليل المقصود هو ليل تلك الجهة، ولهذا فإنه ليس من لوازم سجود الشمس أن تغيب جميع عن أهل الأرض، فهي "تسجد كل ليلة تحت العرش، كما أخبر به الصادق المصدوق، وهي طالعة على جانب من الأرض، مع سيرها في فلكها، وهي دائماً تحت العرش، في الليل والنهار، بل وكل شيء من المخلوقات تحت العرش، لكنها في وقت من سيرها، وفي مكان معين، يصلح سجودها، الذي لا يدركه الخلق، ولكن علم بالوحي، وهو سجود يناسبها على ظاهر النص.(٣)

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإذا كان النبي ﷺ قد أخبر أنها تسجد كل ليلة تحت العرش فقد علم اختلاف حالها بالليل والنهار مع كون سيرها في فلكها من جنس واحد وأن كونها تحت العرش لا يختلف في نفسه وإنما ذلك اختلاف بالنسبة والإضافة علم

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٣٧).

(٢) البداية والنهاية (١/ ٧٠-٧١)، تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٦).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤١١).

أن تنوع النسب والإضافات لا يقدح فيما هو ثابت في نفسه"[١].

"يعني: أن اختلاف السير يكون بالنسبة لمن في الأرض، فهي تطلع على جانب منها وتغرب عن جانب آخر، مع أن سيرها في فلكها ليس فيه هذا الاختلاف، فلا يختلف سجودها باختلاف الليل والنهار؛ لأن هذا الاختلاف يكون بالنسبة إلى من في الأرض، وبالإضافة إليهم، أما هي فسجودها في مكان معين من سيرها، وفي وقت معين لا يختلف.."[٢]

وهذا المكان المعين والوقت المعين الذي تسجد فيه الشمس هو مما استأثر به الشارع الحكيم بعلمه ولا قبل للناس في معرفته. وإنما أخبر الشارع أنها تسجد إذا ذهبت عن ذاك الوجه الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأنها تسجد تحت العرش وتستأذن بمواصلة سيرهاوأن هذا يكون كل ليلة بالنسبة إلينا، ويجوز أن يكون بالنهار بالنسبة لغيرنا كأمريكا مثلاً.[٣]وما وراء ذلك فهو غيب، والخوض فيه ظن وتخمين.

بيان معنى استقرار الشمش.

وأما مستقر الشمس الوارد في النصوص،فهل هو استقرار يومي، أم أن هذا الاستقرار يحصل عندما تطلع الشمس من مغربها؟.

لبيان ذلك لابد من إمعان النظر في جميع الروايات،فإنه من أمعن النظر في الرواة والمرويات ومساعي أئمة الحديث في الجمع والتنقيب والبحث والتخليص والتمحيص ظهر له جليا مراد الشارع من النصوص،وصار إدراك معانيها سهلا ميسورا[٤].

وبعد النظر في جميع روايات الحديث الصحيحة يتبين أن أكثر الروايات تدل على أن هناك حدا لجريان الشمس تنتهي إليه،ومستقرا تستقر فيه،وأن هذا يحصل وقت انعكاس نظام جريانها، وذلك حين تطلع من مغربها كما في قوله ﷺ :"وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٥٤).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤١٢).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤١٣).

(٤) انظر: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٢٩٢).

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾(١)"(٢).فقوله"ﷺ :يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾يبين أن الاستقرار يحصل عند طلوع الشمس من مغربها.لأنه ﷺ فسر الآية بذلك حيث قال:" فذلك قوله:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾".

والمقصود هنا بيان أن ظاهر أكثر الروايات يدل على أن هذا الاستقرار يحصل عند طلوع الشمس من مغربها،إلا أن هناك رواية أخرى في صحيح مسلم تدل على أن للشمس استقرارا يوميا، وأنها تستقر عند سجودها لربها كل ليلة.

فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾(٣)(٤).وظاهر هذه الرواية يدل على أمرين لم يرد أحدهما في روايات الحديث الأخرى وهما:

الأمر الأول:أن للشمس استقرارا يوميا تحت العرش.

كما في قوله:" إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها".وهذا يدل على أن هذا الاستقرار يحصل كل يوم كما أن سجودها حاصل في كل

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٢)تقدم تخريجه في (ص: ٥٤) من البحث.

(٣) سورة الأنعام، الآية:١٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه(١/ ٩٦) ، (كتاب الإيمان/ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) ورقمه: (١٥٩).

يوم،وهذا مما لم يرد في روايات الحديث الأخرى.

الأمر الثاني:أن الشمس ترجع كل يوم من مستقرها إلى مطلعها بعد استئذانها.

كما في قوله:"إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ".

ولم يرد رجوع الشمس كل يوم في روايات الحديث الأخرى، وإنما ورد فيها أنها تسجد وتستأذن في سيرها، وأنه سيأتي يوم تسجد وتستأذن في جريانها المعتاد،فلا يؤذن لها ويؤمر أن ترجع من حيث جاءت، كما في أكثر روايات الحديث:"فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها".

وهذا الرجوع إنما يحصل عند انعكاس نظام جريان الشمس وذلك حين تطلع من مغربها، وليس فيها ذكر لرجوع الشمس اليومي.

ولهذا فإن بعض العلماء استشكل هذه الزيادة التي وردت في هذه الرواية من الاستقرار والرجوع اليومي،ووجه الإشكال أن ظاهر الحديث يدل على أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري.[1]، كما قال تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾[2]: فالآية تبين جريان الشمس الدائم وأنها تجري حتى تنتهي إلى مستقرها.وقد تقدمت إشارة النبي ﷺ إلى أن هذا الاستقرار إنما يحصل عند طلوع الشمس من مغربها.

ولذلك فإن العلماء اختلفوا في بيان معنى استقرار الشمس على عدة أقوال:-

فقيل: مستقرها هو موضع قرارها، وقيل: إن مستقرها مغربها لا تجاوزه ولا تقصر

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر(٨/ ٥٤٢).

(٢) وقرأ ابن عباس: (والشمس تجري لا مستقر لها).وهي قراءة ابن مسعود أي: لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا. تفسير البغوي (٧/ ١٨)،تفسير ابن كثير.)٦/ ٥٥٧).

عنه،وقيل: إن مستقرها آخر وقت جريانها وذلك يوم القيامة،وقيل:إن مستقرها: أقصى منازلها في الغروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدم إلى أقصى مغاربها ثم ترجع(١).وهذه الأقوال يمكن تلخيصها في قولين هما:

أولا: أن يكون المراد من ذلك استقرار الشمس المكاني وهو تحت العرش.

ثانيا:أن يكون المراد من استقرارها الزماني وهذا يكون في يوم القيامة حين ينتهي جريانها، ذكر ذلك الإمام الخطابي وابن كثير.

قال: الخطابي رحمه الله في قوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾(٢)، إن أهل التفسير وأصحاب المعاني قالوا فيه قولين؛ قال بعضهم: معناه أن الشمس تجري لمستقر لها، أي: لأجل أجل لها، وقدر قدر لها، يعني انقطاع مدة بقاء العالم، وقال بعضهم: مستقرها غاية ما تنتهي إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في أيام الصيف، ثم تأخذ في النزول حتى تنتهي إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة"(٣).

وقال أيضا:"وأما قوله "مستقرها تحت العرش" فلا ينكر أن يكون لها استقرار ما تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه، لأن علمنا لا يحيط به، ويحتمل أن يكون المعنى: أن علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه مبادئ أمور العالم ونهاياتها، والوقت الذي تنتهي إليه مدتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك فيبطل فعلها، وهو اللوح المحفوظ، الذي بين فيه أحوال الخلق والخليقة وآجالهم ومآل أمورهم والله أعلم بذلك "(٤).

وقال ابن كثير في معنى قوله:﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾قولان:

أحدهما: أن المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات؛ لأنه سقفها، وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم مما يلي رؤوس

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٢٣).

(٢) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٣) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٨٩٢)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤).

(٤)أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٨٩٣)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٤).

الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث...

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. قال قتادة: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه."[1]

ورجح الإمام عبد الرحمن المعلمي: أن استقرار الشمس إنما يحصل عند طلوع الشمس من مغربها، وذكر أن الأصل الثابت عن أبي ذر ليس فيه هذا الاستقرار اليومي الوارد في رواية مسلم، وإنما جاء هذا عن تصرف بعض الرواة، حيث جمع بين حديثين ظن اتفاق معناهما فجمع بينهما كما في رواية مسلم، وقد يقال: إن الحديث واحد ولكن اختصره أحد الرواة على وجه واختصره غيره على وجه آخر[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٦).

(٢) قال الإمام المعلمي: (أقول: للحديث روايات: إحداها رواية وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال (مستقرها تحت العرش) أخرجاه في الصحيح.

الثانية في الصحيحين أيضاً من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال (دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فلما غابت الشمس قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها. وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من غروبها، قال: ثم قرأ في قراءة عبد الله: وذلك مستقر لها(لا أدري من القارئ؟ ولعله إبراهيم التيمي. وظاهر اختلاف سياق الروايتين أنهما حديثان كل منها مستقل عن الآخر، وليس في المرفوع عن هاتين الروايتين ذكر أنها حين تغرب تكون تحت العرش أو في مستقرها. وهناك رواية البخاري عن الفرباني عن الثوري عن الأعمش بنحو رواية أبي معاوية إلا أنه قال:)تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن..) ونحوه بزيادة في رواية لمسلم من وجه آخر عن إبراهيم التيمي وقال (حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ... (فقد يقال لعل أصل

قال رحمه الله:"فأما طلوعها آخر الزمان من مغربها فرأيت لبعض العصريين كلاماً سأذكره لينظر فيه: ذكر أنه يحتمل أن يحدث الله عز وجل ما يعوق هذه الحركة المحسوسة الدائرة بين الشمس والأرض فتبطئ تدريجاً كما يشعر به ماجاء في بعض الأخبار أن الأيام تطول آخر الزمان، حتى تصل إلى درجة استقرار، ويكون عروض هذا الاستقرار بعد غروبها من هذا الوجه من مغربهم. قال: وذاك الموضع الذي سوف تستقر فيه معين بالنسبة إلى موضعها من الأرض، فيصح أن يكون هو المستقر.... أقول: فلم يلزم مما في الرواية الثالثة من الزيادة غيبوبة الشمس عن الأرض كلها، ولا استقرارها عن الحركة كل يوم بذاك الموضع الذي كتب عليها أن تستقر فيه متى شاء ربها سبحانه "(١).

الثابت عن أبي ذر الحديثان الأولان، ولكن إبراهيم التيمي ظن اتفاق معناها فجمع بينهما في الرواية الثالثة، وقد يقال: بل هو حديث واحد اختصره وكيع على وجه وأبو معاوية على آخر، والله أعلم.) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص:٢٩٣).

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٢٩٤-٢٩٥).

المبحث الرابع

جلوس النبي ﷺ على العرش

لما كان المصطفى ﷺ خير خلق الله وأفضل رسله وأنبيائه، اختص الله به خصائص لم يشاركه فيها غيره من الخلائق، وإن من تلك الخصائص ما جاء في حديث جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(١)

والشاهد من الحديث قوله: "وأعطيت الشفاعة"، ففيه دلالة واضحة على أن الله اختص به من غيره من الأنبياء، والشفاعات التي اختص الله بنبيه ﷺ أنواع: منها الشفاعة العظمى لفصل الخلائق(٢) فإن النبي ﷺ يقوم يوم القيامة مقاما يحمده أهل الجمع والخلائق كلهم، وذلك يوم يدني الله الشمس على الخلائق فيسجد لربه ويطلب الشفاعة للفصل بين الخلائق فيشفّعهم الله فيهم فيحمده أهل الجمع كلهم كما سبق بيانه(٣).

ولكن اختلف أهل السنة في هذا المقام الذي يحمد الخلائق نبينا محمدا ﷺ، هل هو الشفاعة العظمى المذكورة آنفا أم هو جلوس النبي ﷺ على العرش؟ .

ومدار الخلاف في هذه المسألة راجع إلى اختلافهم في بيان المراد من قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾(٤)، فقال بعضهم: المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، وقال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٧٤)، كتاب التيمم وقول الله تعالى ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾المائدة: ٦ : ورقمه: (٣٣٥).

(٢) انظر:الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ١٩٦)، شرح النووي على مسلم (٥/ ٤)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (١/ ١٥٣)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٣٨)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٨٨٦)، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ٥٣) كلاهما للحافظ الحكمي.

(٣) تقدم الكلام فيها عند الكلام عن سجود النبي ﷺ تحت العرش.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

الآخرون: بل هو جلوس النبي ﷺ يوم القيامة على العرش كما سيأتي بيانه.

والمقصود هنا بيان: أن مسألة قعوده ﷺعلى العرش يوم القيامة من المسائل التي قوي الخلاف فيها بين أهل السنة والأثر،فأثبتها جماعة وبالغوا في إثباتها، والرد على من أنكره، وتفاوتت عباراتهم في ذلك [1].

وأنكر بعض أهل السنة هذه المسألة لكونها من المسائل الغيبية التي لا يجوز الخوض فيها إلا بأثارة من علم،وذكروا أنه لم يرد فيها نص من كتاب ولا أثر من صحيح سنة، وليست هي مما يقال من قبل الرأي والاجتهاد، وعليه فإنه لا يجوز الإستناد في إثباتها إلى قول أحد كائنا من كان.

فمن فسر المقام المحمود بأن الله يقعد معه نبيه ﷺ على العرش،وأن ذلك هو المقام المحمود الموعود له ﷺ،أثبت هذه المسألة واعتقد أن هذه هي الفضيلة الخاصة لنبينا ﷺ.

ومن فسر المقام المحمود بالشفاعة العظمى،وهي الشفاعة لفصل الخلائق، أنكر ثبوت قعوده ﷺ على العرش، لعدم وجود ما يدل عليه من النصوص الشرعية، وفيما يلي بيان لأدلة كل قول و أشهر من قال به من العلماء.

القول الأول: أن المقام المحمودهو إقعاد الله محمدا ﷺمعه على عرشه.

وهذا هو ما ذهب إليه كثير من أهل العلم والتحقيق من علماء السنة من السلف والخلف،ومن أشهر القائلين به من المتقدمين، الإمام أحمد بن حنبل، وأبو داود السجستاني ، وأبو جعفر الطبري ، وأبو بكر الخلال،والآجري، وخلق لايحصون كثرة،ومن أشهر القائلين به من المتأخرين،ابن تيمية،وابن القيم،والذهبي،وهذا سيتبين من خلال أقوالهم في المسألة،كما سيأتي.

---

(١) انظر:السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢١٧، ٢٤٥)، العلو للذهبي (ص: ١٧٠)، كتاب العرش (٢/ ٢٨٠، ٢٨٢).

ومستندهم في ذلك هو ما روي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(١).قال: "يجلسه معه على عرشه"(٢). وهذا الأثر صححه جماعة من أهل التحقيق، كابن جرير الطبري، وابن تيمية، والذهبي وغيرهم.واتفقوا على أنه لم يصح في المسألة حديث مرفوع(٣). واستدلال أصحاب هذا القول بهذا الأثر من وجهين:

أولا:تلقي العلماء له بالقبول:

قال أبو بكر الخلال بعد ذكره قول مجاهد:"وسمعت أبا داود يقول: من أنكر هذا فهو عندنا متهم، وقال: ما زال الناس يحدثون بهذا، يريدون مغايظة الجهمية، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيئا"(٤).

وقال أيضا:"وما ظننت أن أحدا يذكر بالسنة يتكلم في هذا الحديث، إلا أنا علمنا أن الجهمية تنكره"(٥).

ففي قول أبي داود يظهر أن أهل السنة كانوا متفقين على أخذ قول مجاهد،وأنه لم يكن يعرف برده إلا أهل البدع من الجهمية وغيرهم،بل كان أهل السنة يحدثون به لمغايظة الجهمية، وبناء على هذا نال هذا الأثر شهرة واسعة عند أهل الأثر وتلقوه بالقبول كما ذكر غير واحد من السلف كما سيظهر ذلك من خلال أقوالهم الآتية.

قال الآجري:"وأما حديث مجاهد في فضيلة النبي ﷺ، وتفسيره لهذه الآية: أنه يقعده على العرش، فقد تلقاها الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله ﷺ، تلقوها بأحسن تلق، وقبلوها بأحسن قبول، ولم ينكروها ، وأنكروا على من رد حديث مجاهد إنكارا شديدا وقالوا: من رد حديث مجاهد فهو رجل سوء قلت: فمذهبنا والحمد لله قبول ما رسمناه في

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(١١/ ٤٣٦)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره(١٥/ ٤٧)، وأخرجه الخلال في السنة من عدة طرق عن مجاهد(١/ ٢١٣-٢١٩)، والآجري في الشريعة(٤/ ١٦١٢-١٦١٥).

(٣) انظر:تفسير الطبري (١٥/ ٥١)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٧)، العرش للذهبي (٢/ ٢٧٢)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٧٠).

(٤) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢١٤).

(٥) العرش للذهبي(٢/ ٢٨٥)، وفتح الباري (١١/ ٢٦٧).

هذه المسألة مما تقدم ذكرنا له، وقبول حديث مجاهد ، وترك المعارضة والمناظرة في رده"(١).

وذكر الذهبي: أنه أفتى جماعة من أهل الأثر بأن هذا الأثر يسلَّم ولا يُعارض، وأن منهم أبا داود السجستاني صاحب السنن، وخلقا لا يحصون كثرة(٢).

وتسليمهم لهذا الأثر وتركهم لمعارضته مبني على تلقي بعض علماء السلف له بالقبول كما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال:" هذا قد تلقته العلماء بالقبول"(٣).

وقال الطبري عقب ذكره قول مجاهد في الآية:"ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا، لا من يقر أن الله فوق العرش ولا من ينكره"(٤).

وقال ابن تيمية:"..حديث قعود الرسول ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال إلا توفيقاً، لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره، سواء كان من المقبول أو المردود."(٥).

وقال أيضا: "حدَّث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمدا رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه"(٦).

ثانيا:أنه يبعد أن يقول مجاهد هذا القول إلا عن توقيف.

لما كان قائل هذا القول هو مجاهد رحمه الله،وهو من هو في علمه وفضله وورعه، فلا يمكن أن يقول هذا القول في تفسير آية من كتاب الله تعالى إلا بتوقيف، لأن شيخه في ذلك هو ابن عباس، ويبعد أن يكون هذا من قوله، لأنه ليس مما يدرك في الرأي ولا هو مما يقال في سبيل

---

(١) الشريعة للآجري (٤/ ١٦١٢).

(٢) العلو للعلي الغفار (ص: ١٧٠)، ونقل ابن القيم: في بدائع الفوائد (٤/ ٨٤١) قرابة ثلاثين من علماء السلف الذين أثبتوا بأثر مجاهد.

(٣) العلو للعلي الغفار (ص: ١٧٠)، العرش للذهبي (٢/ ٢٨٢).

(٤) تفسير الطبري(١٥/ ٥١)، وأورده الذهبي في العرش (٢/ ٢٨٥)، وفي العلو(ص:١٧٠).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

الاجتهاد، فلما كان ذلك كذلك فإن الإنكار على مجاهد هو إنكار على ابن عباس ﵄.

قال محمد بن عمران الفارسي[١]، عقيب حديث مجاهد: "بلغني أن مسلوبا من الجهال أنكر ذلك، فنظرت في إنكاره، فإن كان قصد مجاهداً رحمه الله، فابن عباس رضي الله عنهما قصد، وإن كان لابن عباس قصد فعلى قول رسول الله ﷺ رد"[٢].

وقال الذهبي: "وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة التي انفرد بها سيد البشر، ويبعد أن يقول مجاهد ذلك إلا بتوقيف، فإنه قال قرأت القرآن من أوله إلى آخره ثلاث مرات على ابن عباس رضي الله عنهما،أقفه عند كل آية أسأله فمجاهد أجل المفسرين في زمانه وأجل المقرئين"[٣].

وقال ابن القيم في نونيته:

واذكر كلام مجاهد في قوله ... أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ... ما قيل ذا بالرأي والحسبان
إن كان تجسيما فإن مجاهدا ... هو شيخهم بل شيخه الفوقاني[٤]

ومقصوده من قوله"بل شيخه الفوقاني" ابن عباس ﵄.

فلما صح عندهم هذا الأثر وكان مما يأخذ حكم الرفع، صح لهم الاستدلال به،وساغ لهم الرد والتشديد على من أنكره، واتهامه في عقيدته، لأنهم رأوا أن من أنكره إنما ينكر فضيلة ثابتة لرسول الله ﷺ.

---

(١) محمد بن عمران الفارسي، الخياط، أبو جعفر، كان من خيار الناس. وكان من أصحاب أحمد بن حنبل وروى عنه أشياء، وليس لسنة وفاته ذكر في مصادر ترجمته، التي وقفت عليها. انظر:طبقات الحنابلة (١/ ٣١٤). المقصدالارشد (٢/ ٤٨٣).

(٢)السنة للخلال (١/ ٢٣٤)، وقال في آخره: "وإن كان على رسول الله ﷺرد، فبالله كفر"، وانظر:العرش للذهبي (٢/ ٢٨٨).

(٣) العلو للعلي الغفار (ص:١٩٤).

(٤)الكافية الشافية (ص:١١٠).

هذا غيض من فيض مما قاله بعض علماء السلف في هذه المسألة، وإذا وقفت على أقوال هؤلاء من جهابذة العلماء وأجلة الفقهاء تأخذك الهيبة فيما قالوه، ولكن سيتبين فيما يأتي أن الصواب خلاف ذلك وأن هذا القول مرجوح وأن الراجح هو ما ثبت في الأحاديث المتواترة من أن المقام المحمود هو الشفاعة، ولا عبرة بقول أحد مع وجود النص، لا سيما أن هذا الأثر الذي اعتمدوا عليه في المسألة متكلم في ثبوته ، وأن قولهم : "هذا الأثر قد تلقته العلماء بالقبول" فيه نظر بيِّن، وذلك: أن من العلماء من رده ووصفه بأنه منكرمهجور.وهذا سيتم بيانه فيما يأتي من أقوال أهل العلم.

القول الثاني:أن المقام المحمود هو الشفاعة.

وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين، وغيرهم من المفسرين والمحدثين من السلف والخلف،ومن هؤلاء حذيفة بن اليمان،وابن عمر وابن عباس،والحسن ومجاهد وسليمان،وقتادة[(١)].

قال ابن جرير الطبري:"اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"[(٢)].

وقال القرطبي: "إن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام، حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة لأهل الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم، وهو الخاصة به ﷺ."[(٣)]

ورجح ابن حجر هذا القول وذكر أنه قول الجمهور فقال:"والجمهور على أن المراد به

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣)، التمهيد لابن عبد البر (١٩/ ٦٥)، زاد المسير في علم التفسير(٣/ ٤٧)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٠).

الشفاعة وبالغ الواحدي(١)، فنقل فيه الإجماع، ولكنه أشار إلى ما جاء عن مجاهد وزيفه."(٢)

بل نقل ابن عبد البر إجماع أهل السنة والجماعة في تفسير الآية، وأن المقام المحمود المذكور في الآية هو الشفاعة، وأنه ليس في المسألة خلاف معتبر،إلا أن مجاهدا له قولان في المسألة ، وافق في أحدهما الجماعة، فصارت المسألة إجماعية بهذا الاعتبار، قال رحمه الله:" أهل السنة مجمعون أن تأويل قول الله ﷻ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾(٣). المقام المحمود هو شفاعته ﷺالمذنبين من أمته، ولا أعلم في هذا مخالفا إلا شيئا رويته عن مجاهد ذكرته في التمهيد وقد روي عنه خلافه على ما عليه الجماعة فصار إجماعا منهم والحمد لله"(٤)،

واستدل الجمهور على ذلك بأدلة ثابتة بالسنة النبوية الصحيحة منها ما يأتي:

الدليل الأول:حديث ابن عمررضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:"إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هو كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم"(٥).

الدليل الثاني: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺفي قوله﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾(٦). وسئل عنها قال: هي الشفاعة "(٧).

---

(١) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي النيسابوري، المفسر اللغوي صاحب التفاسير الثلاثة: الوسيط والبسيط والوجيز، كان واحد عصره في التفسير، توفي سنة ٤٦٨هـ . انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٣)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٦).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) الاستذكار (٢/ ٥٢٠)

(٥) تقدم تخريجه في (ص: (٢٠٤) من البحث.

(٦) سورة الإسراء،الآية: ٧٩.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ٣٠٣)، (كتاب التفسير/ باب ومن سورة بني إسرائيل)، ورقمه: (٣١٣٧)، وقال: "هذا حديث حسن "وأخرجه أحمد في مسنده(١٦/ ١٥٥)، وصححه الألباني كما سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٨٤).

الدليل الثالث: عن كعب بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود"(١).

ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث: أن الرسول أخبر أن أهل الجمع يوم القيامة يطلبون الشفاعة من الأنبياء لفصل الخلائق، ثم تنتهي الشفاعة إلى النبيﷺ فيستأذن في ذلك، فيؤذن له فيشفع،فيحمده كل من في الموقف لقيامه بالشفاعة، وفي هذا بيان أن هذا المقام الذي يقوم فيه ﷺ بالشفاعة لفصل الخلائق هو المقام المحمود.

يوضح ذلك ما جاء في الحديث الثاني من تفسيره ﷺ المقام المحمود بالشفاعة وفي ذلك بيان شاف لكل من تبصر وتأمل.

وأما عموم الشفاعة الواردة في هذا الحديث فهي محمولة على ما ورد في الحديث الأول من الشفاعة الخاصة به.وهي شفاعته لأهل المحشر،كما أخبر ذلك ﷺ في الحديث الثالث،حيث بين أن الله يبعث الخلائق يوم القيامة،فيكون هو وأمته في موضع مرتفع من المحشر، فيرغب إليه الخلق كلهم ويطلبون منه الشفاعة، فيقوم ﷺ ويسجد لربه فيؤذن له في الشفاعة، فذلك المقام الذي يقومه ﷺ للشفاعة هو المقام المحمود كما هو موضح في النصوص.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى الخاصة به دون غيرها من الشفاعات(٢).

وعليه فالراجح في المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور من أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى كما بين ذلك غير واحد من أهل العلم(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه."، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٤) وانظر:السلسلة الصحيحة رقم:)٢٣٧٠).

(٢) انظر:الحسنة والسيئة (ص: ١٣٩)، مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٩٤)، إثبات الشفاعة للذهبي (ص:٢٠ تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٣٦٨،٥٥٨).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٩/ ٦٥)، الاستذكار(٢/ ٥٢٠)، التذكرة للقرطبي (١/ ٦٠٦)، تفسير ابن كثير (٥/ ١٠٤)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٦- ٤٢٧).

قال الطبري عقب ذكره القولين في المسألة:"وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول ﷺ."[١]،ثم ذكر الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين الدالة على أن المقام المحمود هو الشفاعة.

وقال القرطبي: "اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال: الأول- وهو أصحها- الشفاعة للناس يوم القيامة"[٢] . ثم سرد ما ورد من الأحاديث في هذا الباب، ثم ذكر الأقوال الأخرى في المسألة.

وقال الشوكاني:"وقد اختلف فى تعيين هذا المقام على أقوال: الأول أنه المقام الذى يقومه النبي ﷺ للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه، وهذا القول هو الذى دلت عليه الأدلة الصحيحة فى تفسير الآية وحكاه ابن جرير عن أكثر أهل التأويل. قال الواحدي وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة"[٣].

ونقل ابن عبد البر أيضا إجماع المفسرين على ذلك فقال:"قد روي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة"[٤].

وفي هذا يتبين أن القول الصحيح في المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور من أن المراد بالمقام المحمود هو أمر الشفاعة كما ثبت بالأحاديث المتواترة. وأما الجواب عن القول الأول:فللعلماء في ذلك مسلكان.

---

(١) تفسير الطبري(١٥/ ٤٧).

(٢) تفسير القرطبي(١٠/ ٣٠٩).

(٣)تفسير فتح القدير. (٣/ ٢٥١).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤).

المسلك الأول: الجمع بين القولين وبيان أن أحدهما لا يتنافى مع الآخر.

وقد سلك هذا المسلك طائفة من العلماء الذين رجحوا أن المقام المحمود هو الشفاعة، منهم ابن جرير الطبري، والقرطبي، وابن تيمية الحراني، وابن حجر العسقلاني، والشوكاني، وغيرهم. ومع ترجيحهم لهذا القول إلا أنهم لم ينكروا ذكر قول مجاهد في تفسير الآية، بل جوزوا ذلك، لعدم وجود دليل يقتضي نفيه.

قال ابن جرير الطبري: "وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ" [١]، ثم ذكر الأحاديث الصحيحة الدالة على أن المقام المحمود هو الشفاعة، ثم قال: " وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[٢]. لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا ﷺ على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك"[٣].

وذكر الإمام القرطبي أن أثر مجاهد[٤] إذا ثبتت صحته فتأويله غير مستحيل، لأنه يمكن أن يقال: إن الله يجلسه مع ملائكته وأنبيائه، أو يقال: يجلسه على العرش ويكون هذا تأويلا غير مستحيل.

قال رحمه الله عند ذكره الأقوال في المقام المحمود: "القول الثالث: ما حكاه الطبري عن فرقة منها مجاهد. أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ معه على كرسيه، وروت في ذلك حديثاً. قلت: وهذا قول مرغوب

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٥١).

(٤) هذا الأثر روي بلفظ "يجلسه معه على عرشه" وروي أيضا بلفظ "يجلسه على العرش" بدون ذكر لفظ "معه"، وأشار القرطبي أن ذكر لفظ "معه" فيه بعد وهو قول مرغوب عنه، ولا ينكر مع ذلك روايته، وأما اللفظ الثاني: "يجلسه على العرش"، فذكر أن تأويله غير مستحيل كما سيأتي، وبهذا يستقيم كلامه في المسألة.

عنه وإن صح الحديث، فيتأول على أنه يجلس مع أنبيائه وملائكته "[١].

وذكر أيضا: أن هذا القول وإن كان فيه بعد فلا ينكر روايته في تفسير الآية بل يتأول فيها قال رحمه الله بعد ذكره قول مجاهد:"وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى، وفيه بعد. ولا ينكر مع ذلك أن يروى، والعلم يتأوله"[٢].

وذكر رحمه الله أن تأويله غير مستحيل فقال:"وروي عن مجاهد أيضا في هذه الآية قال: يجلسه على العرش. وهذا تأويل غير مستحيل، لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء كلها والعرش قائما بذاته، ثم خلق الأشياء من غير حاجة إليها، بل إظهارا لقدرته وحكمته، ...فعلى هذا القول سواء في الجواز أقعد محمد على العرش أو على الأرض، لأن استواء الله تعالى على العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال وتحويل الأحوال من القيام والقعود والحال التي تشغل العرش؛ بل هومستو على عرشه كما أخبر عن نفسه بلا كيف. وليس إقعاده محمدا على العرش موجبا له صفة الربوبية أو مخرجا له عن صفة العبودية، بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه "[٣]. وقال ابن تيمية:"المقام المحمود الذي يَغْبِطُه به الأولون والآخرون هو الشفاعة يوم القيامة وهو سؤا لربه ودعاء له فإذا كان في أفضل مقاماته داعيًا لربه فكيف يكون غيره مُستغنيًا عن السؤال؟!"[٤].

وهذا الكلام من هذا الإمام واضح الدلالة على أنه يرى ترجيح قول الجمهور على القائلين بقول مجاهد،إلا أنه نقل في موضع آخر أن أثر مجاهد تلقته العلماء بالقبول وأن العلماء حدثوا به ولم ينكروه،ثم نقل قول ابن جرير السابق،بما يدل على أنه يرتضيه ولا ينكره.

فقال رحمه الله:"إذا تبين هذا فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمدا رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه"[٥]، ثم نقل عن ابن جرير الطبري أنه قال: "وهذا ليس مناقضا لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة باتفاق الأئمة من

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص:٦٠٥).

(٢) (تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١).

(٤) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق (ص:٥٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه لا يقول: إن إجلاسه على العرش منكر ،وإنما أنكره بعض الجهمية ولا ذكره في تفسير الآية منكر"[١].

وقد مر بنا قريبا ترجيح ابن حجر أن المقام المحمود هو الشفاعة، ولكنه لم ينكر أثر مجاهد بل ذكر أنه لا يتنافى مع قول الجمهور؛ لأنه يمكن أن يقال:"إن الإضافة الواردة في أثر مجاهد إضافة تشريف، أو يقال: إن الإجلاس علامة للإذن بالشفاعة،أو يقال: الظاهر أن المقام المحمود هو مجموع ما يحصل له في الموقف، وعلى كل فإنه رجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة"[٢].

وممن ذكر إمكانية الجمع بين القولين وأن أحدهما لا يتنافى مع الآخر الإمام الشوكاني، فقال رحمه الله بعد نقله أثر مجاهد:"وعلى كل حال فهذا القول غير مناف للقول الأول لإمكان أن يقعده الله سبحانه هذا المقعد ويشفع تلك الشفاعة"[٣].وبهذا يستقيم توجيه أقوال

العلماء الذين رجحوا أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى،وثبت عنهم عدم إنكارهم قول مجاهد، وأما الإمام الذهبي وإن كان هو مع الجمهور في المراد من المقام المحمود، إلا أن أقواله في أثر مجاهد متعارضة ومتضاربة، فتارة ينكر الأثر[٤] ويثبته تارة أخرى[٥].

المسلك الثاني: رد أثر مجاهد وعدم القول به.

وممن سلك هذا المسلك طائفة من العلماء،منهم ابن عبد البر، والذهبي في أحد قوليه، والألباني وغيرهم. وذلك لأنهم قالوا إن الأثر لم يثبت عن مجاهد بطريق معتبر، فكل من روى عنه متكلم فيه، ثم إنه روي عن مجاهد بطريق صحيح قول ثان وافق فيه الجمهور،فيكون قوله الذي تفرد به منكرا من القول،لمخالفته لما جاء في صحاح السنة من الأحاديث المتواترة المفسرة للمقام المحمود، وتوضيح ذلك يتم في وجهين :

---

(١) انظر:تفسير الطبري (١٥/ ٤٧-٥١)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر:فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٧، ٢/ ٩٥)، عون المعبود (٢/ ٢٣٣)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٣٦٦).

(٣) فتح القدير (٣/ ٢٥٢)

(٤) انظر: العلو للعلي الغفار (ص: ١٧١)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩).

(٥)انظر: العلو للعلي الغفار (ص: ١٩٤).

الوجه الأول: الكلام على أثر مجاهد من حيث الرواية.

ذكر الإمام الذهبي طرق من روى هذا الأثر عن مجاهد فقال: "رواه عنه ليث بن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وأبو يحيى القتات، وجابر بن يزيد، وغيرهم"(١).

وهذه الطرق التي أشار إليها الذهبي كلها منتقدة ولا تخلو من كلام؛ لأن ليث بن أبي سليم اختلط في آخر حياته فترك حديثه(٢)، وعطاء بن السائب أيضا اختلط في آخر عمره وساء حفظه(٣)، وأبو يحيى القتات لين الحديث(٤). وجابر بن يزيد الجعفي ضعيف رافضي(٥).

وفي هذا يقول الشيخ الألباني عقب كلام الذهبي الآنف ذكره: "قلت: والأولان مختلطان، والآخران ضعيفان، بل الأخير منهم متروك متهم."(٦) ولهذا فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا الأثر منكر، وأن قول مجاهد قول مهجور عند أهل العلم، مرغوب عنه، وهو من غرائب ما روي عن مجاهد رحمه الله.

وفي هذا يقول ابن عبد البر: "ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن فإن له قولين في تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا(٧)، والآخر قوله

---

(١) العرش للذهبي (٢/ ٢٧٣)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٧٠)، وانظر: كتاب السنة للخلال (١/ ٢٥٢). فإنه أورد هذه الطرق الأربعة عن مجاهد.

(٢) هو الليث ابن أبي سليم ابن زنيم بالزاي والنون مصغر واسم أبيه أيمن وقيل أنس وقيل غير ذلك صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك من السادسة مات سنة ثمان وأربعين ومائة. تقريب التهذيب (ص: ٤٦٤).

(٣) هو عطاء بن السائب أبو محمد ويقال أبو السائب الثقفي الكوفي صدوق اختلط من الخامسة مات سنة ست وثلاثين ومائة. تقريب التهذيب (ص: ٣٩١).

(٤) أبو يحيى القتات بقاف ومثناة مثقلة وآخره مثناة أيضا الكوفي، اسمه زاذان وقيل دينار وقيل مسلم وقيل يزيد وقيل زبان وقيل عبد الرحمن لين الحديث. تقريب التهذيب (ص: ٦٨٤).

(٥) هو جابر بن يزيد ابن الحارث الجعفي أبو عبد الله الكوفي ضعيف رافضي من الخامسة مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين ومائة. تقريب التهذيب (ص: ١٣٧).

(٦) مختصر العلو (ص: ٢٦).

(٧) يشير إلى ما قاله مجاهد بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: "تنظر الثواب". التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٥٧).

في قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(١)]. قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة"[(٢)].

وقال أيضا:"قد روي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة"[(٣)].

وبين الإمام الذهبي أن هذا الأثر من غرائب ما روي عن مجاهد ومن أشد ما أنكر عليه، قال رحمه الله:" ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(٤)] ، قال يجلسه معه على العرش"[(٥)]. وأما وجه النكارة التي ذكرها العلماء في أثر مجاهد فبيانها كما يأتي:

أولا: أن هذا الأثر لم يثبت عن مجاهد بطريق صحيح فكل من روى عنه يضعف في الحديث.كما سبق بيانه،ومع ذلك فقد خالفوا بما رواه الحفاظ المتقنون عن مجاهد،يوضحه:

ثانيا: أنه ثبت عن مجاهد بطريق صحيح خلاف ما رواه هؤلاء عنه.

فقد أخرج ابن جرير من طريقين عن مجاهد أنه فسر المقام المحمود بالشفاعة كما قاله الجمهور، فأورد بسنده عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: في قوله:﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(٦)]، قال: شفاعة محمد يوم القيامة...

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٥٨،١٥٧).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩).

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

وكذلك عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله[١]، وابن أبي نجيح[٢] وابن جريج[٣] ، هما أوثق ممن روى عن مجاهد تفسير الآية بإقعاده عز وجل نبيه ﷺ على العرش.

والمقصود هنا بيان أن النكارة التي ذكرها العلماء في هذا الأثر ظاهرة، لأن علامة المنكر في حديث المحدث ، إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا ، خالفت روايته روايتهم ، أو لم تكد توافقها [٤].والعلماء إنما يطلقون النكارة على الحديث الذي يخالف رواية الحفاظ المتقنين،وهؤلاء الرواة خالفوا فيما رواه الحفاظ المتقنون عن مجاهد،من أن المقام المحمود هو الشفاعة كما تقدم.

الوجه الثاني: أن هذا الأثر لو ثبت لم يكن مما يحتج به في مسائل الاعتقاد.

وذلك لأن هذا الأثر من قبيل المقطوع[٥]،والمقطوع لا يحتج به في الفروع فضلا عن الأصول.قال الإمام الألباني:"وتفسير بعضهم لقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[٦]. بإقعاده ﷺعلى العرش مع مخالفته لما في "الصحيحين" وغيرهما أن المقام المحمود الشفاعة العظمى، فهو تفسير مقطوع غير مرفوع عن النبي ﷺ، ولو صح ذلك مرسلا لم يكن فيه حجة، فكيف وهو مقطوع موقوف على بعض التابعين؟!

وإن عجبي لا يكاد ينتهي من تحمس بعض المحدثين السالفين لهذا الحديث الواهي **والأثر المنكر**، ومبالغتهم في الإنكار على من رده، وإساءتهم الظن بعقيدته!.. فأقول: هب أن

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٥).

(٢) هو عبد الله ابن أبي نجيح يسار المكي أبو يسار الثقفي مولاهم ثقة رمي بالقدر وربما دلس من السادسة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة أو بعدها من رجال الجماعة. تقريب التهذيب (ص:٣٢٦).

(٣) هو عبد الملك ابن عبد العزيز ابن جريج الأموي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل مات سنة خمسين ومائة أو بعدها وقد جاز السبعين وقيل جاز المائة ولم يثبت.من رجال الجماعة. تقريب التهذيب (ص:٣٦٣).

(٤) مقدمة صحيح مسلم (١/ ٥).

(٥) والمقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي أو من دونه من قول أو فعل. انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ١٩١)، التقريب والتيسير للنووي (ص: ٣٤).

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

الأمر كذلك، فهو -والحالة هذه- لا يزيد على كونه كالحديث أو في حكم الحديث المرسل، فهل الحديث المرسل إلا من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين، فكيف تثبت به فضيلة؟!بل كيف يبنى عليه عقيدة أن الله تعالى يقعد نبيه ﷺمعه على العرش"[١].وخلاصة القول:إن قول مجاهد هذا _ إن صح عنه _لا يجوز أن يتخذ دينا وعقيدة،ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة.[٢].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن يقال : إن "هذا مما يجب التثبت فيه والتوقف عنه فإن هذا الشأن أعظم من أن يدخله شيء من التساهل أو يكون فيه للظن مدخل أو للتأويل موضع أو للعقل والقياس متعلق إنما طريق العلم به السماع أو التوقيف من قبل الكتاب المنزل أو قول الرسول المرسل بالخبر الصحيح الذي يقطع العذر به وقد أخبر الله أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقطع الشبه بينه وبين الأشياء كلها وأبطل القياس فيها وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[٣].وقال ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[٤]، وقال﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥]،

فأما ما ثبت من الصفات بكتاب الله وبما صح عن رسول الله ﷺبالخبر الذي ينقطع العذر به فإن القول به واجب لأن الله سبحانه وتعالى شهد لرسوله ﷺبقوله الصدق ونزهه عن الكذب فقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٦]"[٧].

---

(١)مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) مختصر العلو(ص:٢٩).

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

(٦) سورة النجم، الآية: ٣-٤.

(٧) انظر:بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٢٢٥-٢٢٧).

المبحث الخامس

الكتاب الموضوع عند العرش

تقرر عند أهل العلم من علماء السنة والجماعة أن العرش أعلى المخلوقات وأرفعها، كما سبق بيان ذلك عند الكلام عن كون العرش سقفا لجميع المخلوقات(١)، فلما كان ذلك كذلك: استشكل بعض أهل العلم في المعنى المراد بالحديث الوارد في الكتاب الموضوع فوق العرش، وكيفية الجمع بين كون العرش أعلى المخلوقات وبين كون الكتاب موضوعا فوق العرش. وبناء على هذا فإن الكلام عن هذا الكتاب سيكون في ثلاثة أمور، أحدها: وجود هذا الكتاب، والثاني: هل هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ أم هو غيره، والثالث: الجمع بين كون العرش أعلى المخلوقات وبين كون الكتاب موضوعا فوق العرش.

أولا: الأدلة على وجود هذا الكتاب.

ورد في دواوين السنة أن الله كتب كتابا وجعله فوق العرش، ودلت النصوص أيضا على أن كتابة هذا الكتاب كانت قبل أن يخلق الخلائق، وأخبر ﷺ أن الله كتب في هذا الكتاب، أن رحمته سبقت غضبه، وتنوعت دلالات الروايات على وجود هذا الكتاب، فمنها ما ورد فيها: أن هذا الكتاب عند الله فوق العرش، ومنها ما جاء فيها: أن الله جعله على العرش، وفي بعضها أن الله وضعه على العرش.

وأصل ذلك حديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع(٢) عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي"(٣).

---

(١) انظر: ما تقدم في (ص: ٩٧) من البحث.

(٢) قال ابن حجر: قوله "وَضْعٌ" بفتح فسكون أي موضوع. فتح الباري (١٣/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١)، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[آل عمران:٢٨]، ورقمه: (٧٤٠٤).

وفي رواية :" لما قضى الله الخلق، كتب كتابا عنده: غلبت، أو قال سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش"(١).

وفي رواية: "كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي"(٢).

وفي رواية: "لما خلق الله الخلق كتب كتابا وجعله فوق العرش"(٣).

وفي رواية: "لما خلق الله الخلق كتب كتابا، كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش"(٤).

وجه دلالة الحديث على وجود الكتاب:

ووجه دلالة الحديث على وجود هذا الكتاب ظاهر، وذلك أن النبي ﷺ وصفه بأوصاف لا توصف إلا بما له حقيقة وجودية.

حيث أخبر ﷺ أن الله وضعه عنده كما في قوله"فهو موضوع عنده" وهذه العندية مفسرة بما جاء في الروايات الأخرى من كونه فوق العرش كما في قوله"وهو وضع عنده على العرش"، وقوله:"وجعله فوق العرش" وقوله: "وهو مرفوع فوق العرش"، ولو لم يكن موجودا مستقلا لما صح وصفه بهذه الأوصاف.

بطلان قول من تأول هذا الكتاب بالقضاء الإجمالي:

إن إخباره ﷺ أن كتابة هذا الكتاب كانت بيده تعالى كما في قوله :" كتب بيده في كتاب عنده"(٥)، و كذلك تحديد مكان الكتاب، وكونه فوق العرش، قاضيان على ما ذكره بعض

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٦٠) ، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج: ٢١]ورقمه:(٧٥٥٣).وأخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٩٥)، (كتاب التوبة/ باب سعة رحمة الله) ورقمه: (٢٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٩٥)،(كتاب التوبة/ باب سعة رحمة الله) ورقمه: (٢٧٥١).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ١٣٥).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٢)،وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٧٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩)، وصححه الألباني في تعليقاته على صحيح ابن حبان (٩/ ٨).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنةمع ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٢٧٠) قال الألباني:"إسناده صحيح على شرط مسلم".

الشراح من احتمال أن يكون المراد بالكتاب القضاء الإجمالي الذي قضاه الله، وأنه كقوله تعالى ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[(١)] [(٢)].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان:"ولا يصح أن يراد بالكتابة: الحكم الذي قضاه، نظير قوله -تعالى-: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾ لقوله: " فهو عنده فوق العرش"وكتابته تعالى ذلك لتأكيد هذا الحكم، وإخبار عباده به؛ حتى يؤمنوا به ويعملوا على مقتضاه،أولحكمة الله أعلم بها، وليس خوفاً من النسيان، تعالى الله"[(٣)].

وقت كتابة هذا الكتاب:

يفهم من ظاهر روايات الحديث السابقة أن كتابة هذا الكتاب إنما كانت بعد خلق الكائنات، كما في قوله ﷺ: "لما خلق الله الخلق كتب كتابا، كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش"[(٤)].لكن وردت رواية أخرى دلت على أن الكتابة وقعت قبل خلق المخلوقات كما في قوله ﷺ:"إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش "[(٥)].

الجمع بين روايات الحديث:

ويجمع بين هذه الروايات، بأن يقال: إن المراد من قوله : "لما خلق الله الخلق"، وقوله " لما قضى الله الخلق"، أي فرغ من تقدير الخلائق، فيكون المراد بالخلق هنا: التقدير، وأما القضاء

---

(١) سورة المجادلة، الآية:٢١.

(٢) انظر:الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٩)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٩١).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٦٠).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/١٣)،وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٧٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩)، وصححه الألباني في تعليقاته على صحيح ابن حبان (٩/ ٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٠) (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾ [البروج: ٢١] ورقمه:(٧٥٥٤).

فالمراد منه الفراغ من هذا التقدير، وهو غير الإيجاد والتكوين، وذلك لأن القضاء يأتي على معان منها : أمر وحكم، وقدر وأمضى، وفرغ من الشيء وأتقنه[١]

وهذا ما تم بيانه في بعض روايات الحديث الأخرى ،كما في قوله ﷺ: " لما فرغ الله من الخلق، كتب على عرشه: رحمتي سبقت غضبي "[٢]. فصح أن يقال إن كتابة هذا الكتاب وقعت بعد الفراغ من التقدير وقبل خلق الخلائق، وقد جاء تنصيص ذلك في رواية أخرى: "إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق"، فالمراد من الخلق الأول التقدير، و المراد من الخلق الثاني الإيجاد والتكوين، وبهذا تجتمع الروايات.[٣] والله أعلم.

ثانيا: المراد من الكتاب الموضوع فوق العرش.

ذكر أهل العلم احتمالين في المراد من هذا الكتاب، أحدهما: أنه هو اللوح المحفوظ، والثاني: أنه كتاب آخر غير اللوح المحفوظ[٤]، ونص بعض أهل العلم أن هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ[٥]، وهذا ما يدل عليه تبويب البخاري في صحيحه، فإنه أورد الأحاديث السابقة في باب قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾[٦]، وهو الذي رجحه ابن حجر حيث قال في قوله ﷺ"فهو عنده فوق العرش": "الغرض منه الإشارة إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش"[٧].وبه جزم العيني حيث ذكر أن هذا الكتاب وهو اللوح المحفوظ"[٨].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٧٠)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٤٦٣) ،فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٩١)، تاج العروس (٣٩/ ٣١٦)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٢١٠) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦/ ٧٠)، وذكر محققوا المسند أنه حديث صحيح.

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٢١٠)، (٢/ ٦٥١).

(٤) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ١٨٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٩١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٥/ ١١١، ٢٥/ ٩٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(٩/ ٦٧٢)،

(٦) سورة البروج، الآية: ٢١ – ٢٢.

(٧) فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٥٢٦).

(٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٥/ ١١١).

وقال أيضا: في ذكره مطابقة الحديث للترجمة السابقة: "مطابقته للترجمة من حيث إنه يشير به إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش."[١]، وقيل لا يتعين أن يكون المراد بالكتاب في هذا الحديث اللوح المحفوظ ، بل يحتمل أن يكون كتابًا آخر كتب الله فيه ما شاء[٢].

والذي تجتمع به أقوال العلماء أن يقال:"هذا كتاب خاص، وضعه عنده فوق عرشه، مثبتاً فيه ما ذكر؛ لزيادة الاهتمام به، ولا ينافي ذلك أن يكون مكتوباً أيضاً في اللوح المحفوظ. وهو كتاب حقيقة، كتبه تعالى كما ذكر لنا رسولنا ﷺ حقيقة، وهو عند الله حقيقة، فوق عرشه حقيقة، والمقصود أن الله، تعالى مستو على عرشه على الحقيقة، وعرشه فوق مخلوقاته كلها عالٍ عليها "[٣].

وسواء قيل هو كتاب من اللوح المحفوظ، أو قيل هو كتاب مستقل جعله الله فوق عرشه ليبين عظم سبق رحمته لغضبه، فالواجب إمرار الحديث على ظاهره على مراد الله ومراد رسوله من غير تكييف ولا تحريف[٤]. والله أعلم.

ثالثا: الجمع بين كون العرش أعلى المخلوقات وبين كون الكتاب موضوعا على العرش.

دلت نصوص كثيرة على أن العرش أعلى المخلوقات وأنه ليس فوقه شيء، وأن الله فوق العرش، وتبين في الحديث السابق أن هذا الكتاب فوق العرش، وللجمع بينهما، لابد من بيان معنى الفوقية والعندية الوارد ذكرهما في الحديث، حتى يتبين المراد من كون الكتاب فوق العرش.

أولا: معنى العندية في قوله ﷺ : "فهو عنده"

تقدم في الحديث السابق أن الله وضع هذا الكتاب عنده على العرش، وكلمة "عند" في ظاهر اللغة تقتضي أنها للموضع، وفي هذا دليل على أن موضع هذا الكتاب ومكانه عند الله تعالى، وهذا ما يدل عليه ظاهر الحديث، فهل يحمل الحديث على ظاهره أو الواجب تأويله وصرفه عن ظاهره، قولان عند أهل السنة والمؤولة من الأشاعرة وغيرهم.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٩٧).

(٢) تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري (ص: ٥٠).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٣٩٧).

(٤) انظر:تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري للبراك (ص: ٥٠).

فأما المؤولة من الأشاعرة وغيرهم فإنهم قالوا يجب صرف "عند" عن ظاهرها، لأن إبقاءها على ظاهرها يفضي إلى التشبيه، ولهذا فإن تفسير العندية على ظاهرها محال عند هؤلاء في حقه تعالى[١].

قال ابن بطال: "وجب صرف "عند" عن ظاهرها إلى ما يليق به تعالى، وهو أنه أراد ﷺ إثبات علمه بإثابة من سبق علمه أنه عامل بطاعته، وعقاب من سبق علمه بأنه عامل بمعصيته. "وعند" وإن كان وضعها فى اللغة للمكان فقد يتوسع فيها فتجعل لغير المكان كقوله ﷺ: "أنا عند ظن عبدى بى" ولا مكان هناك."[٢].

وقال البيهقي: "قال أبو سليمان الخطابي: يكون معنى قوله: "فهو عنده فوق العرش". أي: فعلم ذلك عند الله تعالى فوق العرش لا ينساه ولا ينسخه ولا يبدله، كقوله جل وعلا: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[٣]"[٤].

وقال ابن حجر: "يحتمل أن يكون المراد بقوله"فهو عنده"أي ذكره أو علمه، فلا تكون العندية مكانية، بل هي إشارة إلى كمال كونه مخفيًا عن الخلق مرفوعًا عن حيز إدراكهم"[٥].

والذي حملهم على هذا التأويل هو نفيهم علو الله بذاته على خلقه واستوائه على عرشه؛ فإن من ذهب إلى ذلك من الأشاعرة وغيرهم ينفون عن الله عز وجل عندية المكان، فليس بعض المخلوقات عنده دون بعض لأنه تعالى بزعمهم في كل مكان فلا اختصاص لشيء بالقرب منه، فلذا يتأولون كل ما ورد مما يدل ظاهره على خلاف ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾[٦]"، وكقوله في هذا الحديث: " فهو عنده فوق العرش"، فجرهم الأصل الفاسد إلى مثل هذه التأويلات المستهجنة التي ذكرها الحافظ وتعقب بعضها، وأهل

---

(١)شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٤٢٨)،وانظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص: ٣٧٠-٣٧١، ٤٥٥)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٩)،كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي(٣/ ٤٣٠)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٩١)، عمدة القاري للعيني(١٥/ ١١١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢٨).

(٣) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٤) أعلام الحديث للخطابي (٢/ ١٤٧٣)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٩).

(٥)فتح الباري لابن حجر (٦ / ٢٩١).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

السنة المثبتون للعلو والاستواء يجرون هذا الحديث وأمثاله على ظاهره، وليس عندهم بمشكل، فهذا الكتاب عنده فوق العرش، والله فوق العرش كما أخبر به سبحانه عن نفسه، وأخبر به أعلم الخلق به(١).

وعليه فإن "ما نقله الحافظ عن الخطابي أن معنى "فوق العرش" أي: " عنده علم ذلك فهو لا ينساه، ولا يبدله"(٢) هو من تخبطات أهل التأويل. ويقال له: وهل علم الله يختص بهذا الكتاب، فهو الذي لا ينساه، ولا يبدله، وأما سائر الكون فليس عنده علمه أو ينساه ويبدله؟ إن الأجدى بالخطابي ومن يشتغل بالحديث أن يتبع كلام رسول الله ﷺ ولا يحمله على المذاهب الباطلة، بل يجب أن يصونه عن مثل هذه التحريفات الباردة.

والحق أن قوله: "عنده فوق عرشه" على ظاهره، وأن كل تأويل له عن ظاهره، تبديل للمعنى الذي أراده رسول الله ﷺ، ونحن نؤمن إيماناً يقيناً قاطعاً - وكل المؤمنين- أن الرسول ﷺ أحرص على عقيدة المسلمين، وعلى تنزيه الله -تعالى- من هؤلاء المحرفين لكلامه، وهو كذلك أقدر على البيان والإيضاح منهم، وهو كذلك أعلم بالله، وما يجب له وما يمتنع عليه من هؤلاء المتخبطين."(٣)

ثانيا: معنى الفوقية الواردة في الحديث.

استبعد بعض أهل العلم أن تكون بعض المخلوقات عالية على العرش كما هو ظاهر الحديث المتقدم، ولما أشكل عليهم ذلك قاموا بتأويل الفوقية المضافة إلى الكتاب، وحملوها على عكس معناها، وقالوا: الفوقية الواردة في الحديث إما أن تكون مثل الفوقية الواردة في قوله تعالى: ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾(٤)، أو تكون زائدة كالواردة في قوله تعالى ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾(٥).

---

(١) انظر :تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري(ص: ٥٢).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤١٣)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٩).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٣٩٧).

(٤) سورةالبقرة، الآية: ٦٢ .

(٥) سورةالنساء، الآية: ١١.

قال ابن حبان:"قوله ﷺ: "وهو مرفوع فوق العرش" من ألفاظ الأضداد التي تستعمل العرب في لغتها، يريد به تحت العرش، لا فوقه، كقوله جلا وعلا: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[1]. يريد به أمامهم، إذ لو كان وراءهم، لكانوا قد جاوزوه، ونظير هذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2]، أراد به: فما دونها "[3].

ومما يستدل لهذا القول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((لما خلق الله الخلق كتب كتابا ثم جعله تحت العرش إن رحمتي تسبق غضبي))[4].

وفي رواية: ((فهو مرفوع تحت العرش))[5].

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، أخرج كتابا من تحت العرش: إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو مثلي أهل الجنة "[6]

ووجه دلالة الحديث على أن الكتاب تحت العرش ظاهر، كما في قوله ﷺ " ثم جعله تحت العرش"، وهذا يبين أن "فوق" من ألفاظ الأضداد، والمراد منه هنا ليس العلو بل هو عكس العلو، فيكون الكتاب تحت العرش، كما هوالمنصوص في الرواية السابقة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦.

(٣) صحيح ابن حبان (١٤/ ١٣).

(٤)أخرجه البزار في البحر الزخار (١٦/ ١١٥)، بإسناد رجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين.

(٥)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٨٧) ، وذكر : أنه حديث مشهور من حديث الثوري، وأنه رواه عنه جماعة من الأئمة الثقات.

(٦) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره مرسلا (٣/ ٣٦٥)، والطبري في تفسيره (٩/ ١٧٠) مرسلا وقال "حسبته أسنده"، وأخرجه ابن أبي داود في البعث مرفوعا (ص: ٥١)،قال الذهبي: "إسناده جيد"، إثبات الشفاعة للذهبي (ص: ٥٠). وأورده ابن كثير في تفسيره مرفوعا (٣/ ٢٦٢)، وعزاه إلى ابن مردويه في تفسيره.

وأما ما ورد في الروايات الأخرى من أن الكتاب "مرفوع فوق العرش"، فالمراد منه أن غاية ارتفاع الكتاب تنتهي إلى تحت العرش، كما في قوله ﷺ: "فهو مرفوع تحت العرش" وهذا تم بيانه في الرواية السابقة.

إضافة إلى ذلك أن هذا الكتاب يُخرج يوم القامة من تحت العرش كما هو واضح في حديث ابن عباس المذكور آنفا. وأما العندية الواردة في النصوص من كون هذا الكتاب عند الله فإنه لا يناقض كونه تحت العرش، فإن الملائكة عند ربها كما هو الثابت في النصوص، ولم يقل أحد أنها على العرش.

والناظر إلى هذا الاستدلال يراه استدلالا قويا، لأن الفوقية محتملة وجاء ما يبين المراد منها، وكذلك العندية والرفع المضافين إلى الكتاب، يمكن توجيههما كما سبق بيانه آنفا، ولكن جاء في بعض روايات الحديث ألفاظ لا يتطرق إليها احتمال فيها تنصيص على أن الفوقية على ظاهرها، ولا يراد منها هنا الدونية كما سيأتي.

بيان وجه الصواب في المسألة:

قال ابن حجر:" قوله: "فهو عنده فوق العرش" قيل: معناه دون العرش، وهو كقوله تعالى:﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾، والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأن العرش خلق من خلق الله ...وحكى الكرماني أن بعضهم زعم أن لفظ فوق زائد كقوله ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾[1]. والمراد اثنتان فصاعدا.ولم يتعقبه. وهو متعقب لأن محل دعوى الزيادة ما إذا بقي الكلام مستقيما مع حذفها كما في الآية، وأما في الحديث فإنه يبقى مع الحذف ((فهو عنده العرش)) وذلك غير مستقيم."[2].

والمقصود هنا أن تأويل الفوقية المضافة إلى الكتاب، وصرفها عن ظاهرها تأويل غير صحيح، لورود ألفاظ أخرى دالة على أن المراد من الفوقية الواردة في الحديث ظاهرها، فقد

(١) سورة النساء، الآية:١١.

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٩١)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٥/ ١١١).

أخبر ﷺ أن الله رفع هذا الكتاب وجعله على العرش كما في قوله: ((وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي))[١].

وكذلك قوله ﷺ: "لما خلق الله الخلق كتب كتابا، كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش."[٢]، وقوله: " لما فرغ الله من الخلق، كتب على عرشه: رحمتي سبقت غضبي "[٣].

فكون الكتاب مرفوعا على العرش، وإخباره ﷺ أن الله كتبه على عرشه، وأنه موضوع على العرش، كل هذا يدل على أن المراد من الفوقية ظاهرها، فإن قيل: كيف يجمع بين الأحاديث الواردة في كون الكتاب على العرش وبين كونه تحت العرش؟.قيل: الأحاديث الواردة في كون الكتاب على العرش جاءت في الصحيحين، والأحاديث الواردة في كون الكتاب تحت العرش وردت في المسانيد الأخرى، فيرجح ما جاء في الصحيحين على غيره.

إذا تبين هذا فإن العرش مخلوق ولا يستحيل أن يمسه كتاب مخلوق، فإن الملائكة حملة العرش يحملونه على كواهلهم وفيه المماسة، فلا محذور أن يكون كتابه فوق العرش[٤]، وما يذكره العلماء من كون العرش أعلى المخلوقات يستثنى منه هذا الكتاب لمجيء ذلك في صريح المنقول ولعدم استحالته في صحيح المعقول، ومن قال ليس فوق العرش مخلوق فهو محجوج بالأدلة الصحيحة الصريحة الواردة في الصحيحين وغيرها من كتب السنة كما سبق بيانه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١)، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾آل عمران:٢٨]، ورقمه: (٧٤٠٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٢)،وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٧٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩)، وصححه الألباني في تعليقاته على صحيح ابن حبان (٩/ ٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦/ ٧٠)، وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٤) انظر:مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص: ٣٧٠-٣٧١)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٧٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٥/ ١١١).

المبحث السادس

الكنز الذي تحت العرش

لما كان المصطفى ﷺ أفضل أنبيائه تعالى وخير أوليائه وأصفيائه، وكانت أمته من أفضل الأمم وخير أمة أخرجت للناس، اختص الله به وبأمته خصائص لم يشاركهم فيها أحد من الأمم، ومن هذه الخصائص أن الله فتح لهذه الأمة كنوز عرشه ، فأنزل منها آيات تتلى، وجعلها من دخائر الجنات العلا، وإن مما أعطي النبي ﷺ من هذه الكنوز نوعان:

النوع الأول: خواتيم سورة البقرة.

والمراد بخواتيم سورة البقرة الآيتان في آخر السورة كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(١).

والدليل على أن المراد بخواتيم السورة هاتين الآيتين قوله ﷺ"إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وهو عند العرش وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان"(٢).

وقد أخبر ﷺ أن الله فتح له كنزا تحت العرش وأعطى منه خواتيم سورة البقرة، وأخبر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥ – ٢٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ١٦٠)،(كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في آخرسورة البقرة (، ورقمه: (٢٨٨٢)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٦٣(وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٥٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٦٣، ٢/ ٣١٢)، وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات(١/ ٥٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٧٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح"،انظر في تخريج الحديث مفصلا: تعليق الأرنؤوط على مسند أحمد (٣٠/ ٣٦٣).

أيضا أنه لم يفتح هذا الكنز لأحد قبله وأنه لا يفتح لأحد بعده، كما جاء ذلك عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة و جعلت لنا الأرض كلها مسجدا و جعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء و أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي"(١).

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ أوتي هذه الآيات من كنز تحت عرش الرحمن، وهذا الإيتاء والإعطاء من خصائصه، ولم يفتح هذا الكنز لأحد قبله ولن يفتح لأحد بعده كما جاء في بعض روايات الحديث "أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي ولا أحد بعدي"(٢).

وإعطاؤه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش فمعناه أنها ذخرت له وكنزت له فلم يؤتها أحد قبله، وذلك أن كثيرا من آي القرآن منزل في الكتب السابقة ما هو باللفظ وما هو بالمعنى وهذه الآيات لم يؤتها أحد وإن كان فيه أيضا ما لم يؤته غيره إلا أن في هذه الآيات خصوصية لهذه الأمة، وهو وضع الإصر الذي كان على الأمم المتقدمة فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾(٣)،

فناسب ذكرها من الخصائص.(٤) ولا شك أن إنزال هذه الآيات من هذا الكنز الذي تحت العرش فيه دلالة على عظم قدرها، وقيمتها وفضلها على غيرها من الآيات لكونها حظيت أن تكون محفوظة بهذه المكانة العالية الرفيعة، ولم يأت نص صحيح يدل على إنزال آيات أخرى من هذا الكنز، مما يبين أن هذا من خصائص هذه الآيات(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٨٧)، والمروزي في قيام الليل(ص: ١٥٩)، وابن خزيمة في صحيحه(١/ ١٦٦) وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (ص: ٧٦٨) ، وذكر محققوا المسند أنه "صحيح على شرط مسلم ورجاله ثقات".

(٢) أخرجه والمروزي في قيام الليل(ص: ١٥٩)، وابن خزيمة في صحيحه(١/ ١٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٢٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٤١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ١١٤).

(٥) انظر: خواتيم سورة البقرة فضلها وبيانها (ص: ١٠).

ووقع هذا الإعطاء والإيتاء في ليلة الإسراء والمعراج، وكان ذلك عند السدرة المنتهى كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "لما أسري برسول الله ﷺ ، انتُهي به إلى سدرة المنتهى،... فأعطي رسول الله ﷺثلاثا : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا ، المقحمات(١)"(٢).

والحديث واضح الدلالة على وقوع الإعطاء في ليلة الإسراء كما في قوله: "لما أسري برسول الله ﷺ، انتُهي به إلى سدرة المنتهى... فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا : أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة ..".

ومما يدل على عظمة هذا الإعطاء مقارنته بالصلاة التي هي عمود الإسلام، ولا شك أن فرض الصلوات إنما وقع في ليلة الإسراء والمعراج.

ومما يدل على ذلك أيضا: أن النبي ﷺأخبر أن الله أرسل هذا العطاء بجند خاص من جنده لم ينزل من السماء إلا حين حمله هذا العطاء، وفتح له بابا خاصا من أبواب السماء لم يفتح من قبل، فلما جاء حامل العطاء بشر به للنبي ﷺ وأخبره أن هذا العطاء نور من الله ولم يؤته أحدا من العالمين.

كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا(٣) من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ

---

(١) قال النووي "المقحمات: معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها، والتقحم الوقوع في المهالك. ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات". شرح النووي على مسلم (٣/ ٢)، وانظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٢٢١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٠٩)، (كتاب الإيمان/ باب الإسراء والمعراج) ورقمه:(١٧٣).

(٣) النقيض: هو بالقاف والضاد المعجمتين أي صوت كصوت الباب إذا فتح، انظر:شرح النووي على مسلم (٦/ ٩١)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٣١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ١٠٧).

بحرف منهما إلا أعطيته"[١][٢].

وفيما سبق يظهر جليا أن الله عز وجل خص نبيه فتح هذا الكنز العظيم له، وإعطاءه منه بما لم يعطه الأولين والآخرين، ومن ذلك خواتيم سورة البقرة، وقد يستشكل فيما سبق الاختلاف الوارد في زمن وقوع الإعطاء ووقت نزول الآيات،فإن هذا العطاء إنما وقع في ليلة الإسراء والمعراج وكان ذلك في مكة، وسورة البقرة كلها مدنية كما هو قول الجمهور فكيف يتفق هذا مع ذاك؟

وللجواب عن هذا الإشكال إما أن يقال: لامنافاة بينهما فإن الإعطاء كان في السماء من جملة ما أوحى إلى عبده عند السدرة المنتهى، ونزولها كان في المدينة، وفرق بين إعطاء الآيات وبين نزولها، فلما تغايرا في الحقيقة تغايرا في الزمن، فلا إشكال حينئذ.

وإما أن يقال: إن سورة البقرة مدنية النزول باعتبار أكثرها، وأما خواتيمها فهي مكية النزول كما هو ظاهر في قصة الإسراء والمعراج، ويجمع بينهما بأن يقال: إنه وقع تكرار الوحي فيه تعظيما لهذه الآيات، واهتماما بشأنها، فأوحى إليه في تلك الليلة بلا واسطة، ثم أوحى إليه في المدينة بواسطة جبريل، وبهذا يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[٣][٤].

إذا تبين هذا فهناك مسألة أخرى فيها إشكال!!

فقد تقدم أن الكنز الذي أعطي منه ﷺ هذه الآيات مكانه تحت العرش، وسبق أيضا أن الله أنزل هذه الآيات من كتاب كتبه قبل خلق السموات والأرض بألفي عام ومكانه عند الله

(١) والمقصود من قوله في الحديث:" لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" أي ما قرأهما واحد من هذه الأمة مؤمنا إلا آتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وفي سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] قال الله تعالى لعبده إذا قرأها في الصلاة هذا لعبدي ولعبدي ما سأل،وأما آخر سورة البقرة:... ففيها سبع جمل دعائية ما يدعو بهن مؤمن موقنا مؤمنا إلا استجاب الله له وهذه ميزة وفضل عظيم. انظر:شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه(٢/ ١٩٨) ،(كتاب الصلاة/ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة)، ورقمه: (٨٠٦).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣ – ١٩٤.

(٤) انظر:مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٠/ ١٧٨).

على العرش كما جاء في رواية أخرى: "فهو عنده على العرش وإنه أنزل من ذلك الكتاب آيتين ختم بهما سورة البقرة"(١)، فالكتاب على العرش والكنز تحت العرش، والمنزَّل والمعطَى واحد وهو خواتيم سورة البقرة، وعليه فإنه يكون في المسألة نظر!!!

ولكن يمكن أن يقال: إن وجود الآيات في الكتاب باعتبار كونها مكتوبة فيه، وأما وجودها في الكنز الذي تحت العرش فباعتبار كونها نورا ادخره الله لمحمد ﷺ وأمته في هذا الكنز الذي تحت العرش، كما في قوله في الحديث المتقدم: "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة".

وهذا نظير قوله ﷺ"اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنها تأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان، أو كأنها غيايتان، أو كأنها فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابها، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"(٢)

.فأخبر ﷺأن القرآن يأتي يوم القيامة ويشفع لأهله، وخص الذكر بسورة البقرة وسورة آل عمران وأكد على ذلك بمجيئها على صورة محسوسة،" كأنها غمامتان، أو كأنها غيايتان، أو كأنها فرقان من طير صواف" فإذا كان مجيئها على هذه الصورة لا ينافي من كونها في اللوح المحفوظ، فكذلك خواتيم سورة البقرة مكتوبة في الكتاب المذكور الذي كتبه الله قبل خلق السموات والأرض بألفي عام ومع ذلك فهي نور محفوظ في الكنز الذي تحت العرش والله على كل شيء قدير، وبهذا يتبين أنه لا منافاة بين الأمرين وبه يزول الإشكال. والله أعلم بالصواب.

النوع الثاني: قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

لما كانت هذه الكلمة كلمة إسلام واستسلام، وتفويض وتبرّؤ من الحول والقوّة إلاّ بالله، وكان العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلةٌ في دفع شر، ولا قوةٌ في جلب خير إلاّ

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة للنسائي (ص: ٥٣٦)، وانظر:تخريجه مفصلا في (ص: ٢٥١)من البحث.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١٩٧)، (كتاب الصلاة/ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة)، ورقمه: (٨٠٤).

بإرادة الله تعالى،كانت هذه الكلمة بابا عظيما من أبواب الجنة وكنزا من كنوزها(١).

كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري، قال: قال لي رسول الله ﷺ:" ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، أو قال: على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت: بلى، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله"(٢).

وأمر ﷺ الإكثار منها كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:"أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة"(٣).

ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمة الأمور بيديه وفوض أمره إليه(٤).كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم"(٥).وعن أبي ذر قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع : أمرني بحب المساكين والدنو منهم ،وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي،وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول:"لا حول ولا قوة إلا بالله" ؛ فإنهن من كنز تحت العرش"(٦).

وذكر أهل العلم في المراد من الكنز هنا احتمالين: إحداهما: ادخار ثواب قائلها في كنز في الجنة، والثاني: إنزالها من كنز الجنة الكائنة تحت العرش ولا تنافي بينهما، لأن المراد من كونه كنزاً أنه يعد لقائله ويدخر له من الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا، وحاصله أنه

(١) انظر:شرح النووي على صحيح مسلم(١٧/ ٢٦)، الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية (ص: ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٢)،(كتاب الدعوات/ باب الدعاء إذا علا عقبة)، ورقمه: (٦٣٨٤).وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٧٤)، (كتاب العلم/ باب فضل قول الا حول ولا قوة إلا بالله)، ورقمه: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده(١٤/ ١٣٢)، صححه الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٣)،وفي صحيح الجامع (١/ ٢٦٤).

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١١٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٤٦، ٣٥/ ٢٧٥)، والحاكم في المستدرك(١/ ٦٥)، وقال: (هذا حديث صحيح ولا يحفظ له علة، ولم يخرجاه)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٥)، وفي صحيح الجامع (١/ ٥١٠).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥/ ٢٠٠).

من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة[١].

قال النووي: "ومعنى الكنز هنا أنَّه ثواب مدخرٌ في الجنة، وهو ثوابٌ نفيسٌ كما أنَّ الكنز أنفس أموالكم"(٢).

وقال ابن حجر: ""كنزٌ من كنوز الجنة" من حيث إنه يدخر لصاحبها من الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا؛ لأنَّ من شأن الكانز أن يعد كنزه لخلاصه مما ينوبه والتمتع به فيما يلائمه"[٣]. فيكون المعنى أنها من الكنوز المعنوية العرشية وذخائر الجنة العالية العلوية لا من الكنوز الفانية الحسية السفلية.

وقيل: المعنى أي كلمة أنزلت من كنز الجنة الكائنة تحت العرش،ويؤيده رواية أحمد بلفظ: "ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة من تحت العرش".[٤] وأما كون هذا الكنز من تحت العرش فلأن هذا الكنز من كنوز الجنة، والفردوس الأعلى من الجنة سقفها عرش الرحمن، فكان هذا الكنز من تحت العرش من هذا الوجه[٥].

ومناسبة هذه الكلمة للعرش بينة ظاهرة، لأن فيها تفويض أمر الكائنات إلى الله وانقيادها لله تعالى على وجه الإخلاص، والتبرؤ من الحول والقوة، ولما كان التبرؤ من الحول والقوة دالا على نفي التدبير للكائنات وإثباته لله تعالى وكان العرش منصّة تدبير أمر الخلائق كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ ﴾[٦]،كانت المناسبة بين العرش و هذا الكنز أمرا ظاهرا[٧].

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٤٦٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٦).

(٣) نقله ابن علان في الفتوحات الربانية (١/ ٢٣٨)، وعزاه إلى شرح المشكاة لابن حجر، وانظر: الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية (ص: ٧٠).

(٤) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٤٨٣)، فيض القدير (٣/ ١٠٨)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٤٩).

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٤٩).

(٦) سورة يونس، الآية: ٣.

(٧) انظر: فيض القدير (٣/ ١٠٨).

المبحث السابع

تطاير الصحف من تحت العرش

إن من الأهوال العظيمة التي تقع يوم القيامة تطاير صحف الأعمال، وذهاب كل صحيفة لصاحبها، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، ويبقى الناس في حيرة وخوف ووجل؛ حتى تستقر كل صحيفة بيد صاحبها؛ فيستبشر المؤمنون بقرب النجاة عندما تستقر صحفهم بأيمانهم؛ بينما يزداد الكافرون والمنافقون غمًّا إلى غمهم حينما تستقر صحفهم بشمائلهم كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾[١].

فأخبر تعالى في هذه الآيات إيتاء الكتب وتوزيعها على الخلائق وأنه ما من أحد إلا وسيلاقي بما قدمه بين يديه من الأعمال مسجلا مكتوبا كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢].

قال الطبري: "تأويل الكلام: وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعده وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشر في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا"[٣].

وقد وردت آيات كثيرة في إيتاء كل إنسان ما قدمت يداه من خير أو شر مكتوبا منشورا، والمقصود هنا أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به وعقد القلب بأنه حق، لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع[٤].

---

(١) سورة الحاقة، الآية :١٩-٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣ – ١٤.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٣).

(٤) انظر:لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٨١).

إذا تبين هذا فالكلام عن هذه المسألة من ثلاثة أوجه: أحدها: ثبوت تطاير هذه الصحف، والثاني: بيان المراد من الصحف المتطايرة، والثالث: تطاير هذه الصحف من تحت العرش.

أولا: ثبوت تطاير هذه الصحف.

ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها في غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها(١) كما تقدم في الآيات السابقة، وهذا ثابت أيضا عن السلف رضوان الله عليهم كما قال عبد الله ابن مسعود ﷺ:"يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان، معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي "(٢).

---

(١)انظر:معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٨٤٠)، والآيات الواردة في هذا الموضوع كثيرة وقد جمع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عددا غير قليل من هذه الآيات في أضواء البيان(٣/ ٦١-٦٢)، وانظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان(٢/ ٦٥٢).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٣٠)، وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين إلا مجاهد بن موسى فإنه من رجال مسلم. وأخرجه الترمذي في سننه مرفوعا من حديث الحسن عن أبي هريرة في سنن الترمذي (٤/ ٦١٧) ،(كتاب صفة القيامة/ باب ما جاء في العرض (، ورقمه: (٢٤٢٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه مرفوعا من حديث الحسن عن أبي موسى (٥/ ٣٤٢)،(كتاب الزهد / باب ذكر البعث)، ورقمه: (٢٤٧٧)، وأخرجه أحمد في مسنده عن الحسن عن أبي موسى (٣٢/ ٤٨٦)، قال البوصيري: في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٥٤) "رجال الإسناد ثقات إلا أنه منقطع والحسن لم يسمع من أبي موسى قاله على بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة..وله شاهد من حديث الحسن عن أبي هريرة رواه الترمذي وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة." وبهذا الانقطاع ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٩٣٣). لكن قال ابن كثير عقب كلام الترمذي المتقدم في سماع الحسن عن أبي هريرة:"قلت: الحسن قد روى له البخاري، عن أبي هريرة، وقد وقع في مسند أحمد التصريح بسماعه منه والله أعلم، وقد يكون الحديث عنده عن أبي موسى، وأبي هريرة، والله أعلم" النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٤١)، البداية والنهاية(٢٠/ ٧).وهذا الاختلاف وقع في الحديث المرفوع وإلا فالحديث صحيح موقوفا كما بينه الدارقطني: في العلل (٧/ ٢٥١) حيث قال "يرويه وكيع عن علي بن رفاعة عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺمرفوعا، وغيره يرويه موقوفا، والموقوف هو

وهذا الأثر وإن كان موقوفا على ابن مسعود لكنه يأخذ حكم الرفع لكونه يتكلم فيما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، وهذا يبين أن ابن مسعود ﵁ لم يقله من تلقاء نفسه، لاسيما وقد صحح بعض أهل العلم هذا الحديث مرفوعا(١).

والشاهد من الحديث قوله: "والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي"، وفيه دلالة واضحة على تطاير الصحف حتى تقع في أيدي أصحابها كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم(٢) وأنشد ابن المبارك في تطاير الصحف أبياتا منها:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع

فكيف سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل، ولا تدري بما تقع(٣)

وقال القحطاني في نونيته :

والكتب يومئذ تطاير في الورى ... بشمائل الأيدي وبالأيمان.(٤)

وأما وقوع تطايرها فهو بعد العرض وقبل الحساب كما قال السفاريني: "اعلم أن مراتب المعاد: البعث والنشور ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب"(٥).

الصحيح". وعزاه ابن كثير وابن حجر إلى البيهقي في البعث وذكر ابن حجر أن إسناد البيهقي حسن. انظر:النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٤١)، البداية والنهاية(٢٠/ ٧)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٠٣).

(١) قال الشيخ أحمد شاكر بعد أن ذكر إسنادي أحمد وابن ماجه:"فالإسنادان ثابتان إذن عن وكيع. والحديث عندنا صحيح من الوجهين. فإن سماع الحسن من أبي هريرة صحيح ثابت، كما بينت ذلك مفصلا في شرح الحديث: (٧١٣٨) من المسند". تعليق أحمد شاكر على شرح الطحاوية.(ص:٤١٣).

(٢)انظر:مدارج السالكين (١/ ١٤٣)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٤)، الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢٩٦)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٠-١٨٤)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٨٤٠)، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة(ص:٦٥)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين(ص:٧٩).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٤).

(٤)نونية القحطاني (ص: ٢٤).

(٥)لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤).

ومن خلال ما سبق من أدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم يتبين أن نشر الدواوين وإظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتطايرها إلى الأيمان والشمائل أمر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[١].

ثانيا: بيان المراد من الصحف المتطايرة.

المراد من هذه الصحف هي صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت، وتنشر في يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها، فيقول: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [٢] [٣].

والمراد بالكتاب الوارد في هذه الآية جنس الكتاب، فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة من المعاصي التي عملها المكلفون إلا أحصاها وحصرها[٤].

ومما يدل على أن المراد من الكتاب المذكور صحائف الأعمال أن الله بين أشياء من صفات هذا الكتاب فأخبر أن كل أحد يلقى كتابه منشورا كما قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[٥] وبين في موضع آخر أن المنشور صحائف الأعمال كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[٦].

ففي الآية الأولى بين تعالى أن هذا العمل الذي ألزم الإنسان إياه يخرج له يوم القيامة في كتاب يلقاه مفتوحا يقرؤه هو وغيره، وفي الآية الثانية أخبر عن نشر صحائف الأعمال، والصحف هي التي تؤخذ بالأيمان أو بالشمائل كما جاء بيان ذلك في غير موضع من القرآن الكريم.، فتبن من ذلك أن المراد من الصحف المتطايرة هي صحائف الأعمال.

---

(١) انظر:العقيدة الواسطية: (ص: ٩٨)، مجموع الفتاوى(٣/ ١٤٦)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٠- ١٨٤)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٨٤٠)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص:٧٩).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) انظر:تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٤).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٨٧).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٦) سورة التكوير، الآية: ١٠ .

وهذا هو الذي يدل عليه ظاهر النصوص، فصحيفة عمل الإنسان إما أن يأخذها بيمينه أو يأخذها بشماله، وهذا عندما تنشر الدواوين التي هي صحائف الأعمال كما بين ذلك غير واحد من أهل العلم[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[(٢)]، ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة"[(٣)].

والمقصود هنا بيان أن الصحف المتطايرة هي صحف الأعمال التي يؤتى كل أحد إما بيمينه أو بشماله كما قال ابن مسعود "والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي".

وروي هذا مرفوعا من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ: هل تذكرون أهليكم؟ قال: "أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعندتطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز "[(٤)].

---

(١) انظر:تفسير الطبري (١٤/ ٥١٨، ٢٤/ ١٤٩)، تفسير الماوردي (٦/ ٢١٥)، تفسير السمعاني (٣/ ٢٢٦، ٥/ ٢٦٧)، تفسير البغوي (٥/ ٨٢، ٨/ ٣٤٨)، تفسير ابن عطية (٣/ ٤٤٣، ٥/ ٤٤٢)، تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٤، ٤/ ٤٠٧)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٩، ١٩/ ٢٣٤). تفسير ابن كثير (٥/ ٥١، ٨/ ٣٣٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣ – ١٤.

(٣) مجموع الفتاوى(٣/ ١٤٦).

(٤)أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٠٣)، والآجري في الشريعة (٣/ ٣٣٦-٣٣٧) وأورده الهيثمي في المجمع(١٠ / ٣٥٨ – ٣٥٩)، وقال:"رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح"، وأخرج نحوه أبو داود في سننه(٤/ ٢٤١) ، (كتاب السنة/ باب ذكر الميزان) ورقمه: (٤٧٥٥)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٥/ ٤٢) وقال:"هذا حديث صحيح

ثالثا: تطاير هذه الصحف من تحت العرش.

تقدم فيما سبق بيان المراد من الصحائف المتطايرة وأنها كتب الملائكة التي كتبت فيها أعمال المكلفين في الدنيا، وأما المكان الذي تتطاير منه هذه الصحف فلم يأت فيها نص صريح يدل عليه، ولكن ذكر بعض المفسرين أن هذه الكتب تتطاير من تحت العرش، واستندوا على ذلك بعض الآثار عن الصحابة وعلى أحاديث غير ناهضة للاحتجاج(١).

فقيل إن الريح تطيرها من خزانةٍ تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها، وقيل إن كل أحدٍ يدعى فيعطى كتابه، فأما المؤمن الطائع فيأخذ كتابه بيمينه، والكافر يأخذ كتابه بشماله(٢) ومن الآثار التي ذكرها بعض المفسرين ما روي عن مرثد بن وداعة(٣) أنه قال: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ إلى قوله ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾(٤) وتقع صحيفة الكافر في يده ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾(٥)"(٦).

إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة ، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة" والحديث ضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٤٣).

(١) أخرج العقيلي بسنده عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: الكتب كلها يوم القيامة تحت العرش، فإذا كان الموقف بعث الله ريحا، فتطير بالأيمان والشمائل، أول خط فيها ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] ، وفي سنده يَغْنَم بن سالم وهو يروي عن أنس، قال العقيلي: "يغنم بن سالم بن قيس عن أنس، منكر الحديث". الضعفاء للعقيلي (٦/ ٤٦٠).

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٢٩١).

(٣) مرثد بن وداعة أبو قتيلة، بقاف ومثناة مصغّرا، الحمصي قال البخاريّ: له صحبة، ..وأنكر أبو حاتم على البخاري قوله: إن له صحبة، وذكره ابن حبّان في الصحابة، ثم ذكره في التابعين. انظر:التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٧/ ٤١٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٨٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٦).

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٢-٢٤.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٤٢ – ٤٣.

(٦) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٠٩)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٤).

والذي يدل عليه ظاهر القران أن صحائف الأعمال يختلف مكانها باختلاف أصحابها، فكتاب الأبرار في عليين وكتاب الفجار في سجين، والمراد بعليين مكان متناه في العلو الارتفاع (١)، كما أن سجين مكان متناه في السفول(٢).

ولهذا قابل الله تعالى بين عليين وبين سجين في كتابه كما قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾(٣) وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(٤)، وبيَّن سفول سجِّين بمقابلته بعليِّين، وبين أيضا سعة عليِّين بمقابلة سجين فيكون قد دل على العلو والسعة التي للأبرار وعلى السفول والضيق الذي للفجار (٥).

والمقصود هنا بيان أنه لا دليل على تطاير صحائف الأعمال كلها من تحت العرش، بل ولا يتناسب هذا مع شرف المكان، لأن العرش من أشرف المخلوقات فلا يقرب منه إلا أشراف الخلائق، ولما كان الأبرار من أشرف الخلائق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾(٦)، كان كتابهم في عليين، والعليون: قائمة العرش

---

(١) قال الطبري:"والعليون: جمع معناه: شيء فوق شيء، وعلو فوق علو، وارتفاع بعد ارتفاع، فلذلك جمعت بالياء والنون". تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٨).

(٢) والصحيح أن"سجينا" مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، والأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة. ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين، كان كتابهم في سجين الذي هو أسفل مكان في الكون. انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩).

(٣) سورة المطففين،الآية: ٧ – ٩.

(٤) سورة المطففين،الآية: ١٨ – ٢١.

(٥) انظر:بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٣١).

(٦) سورة البينة، الآية: ٦ – ٧.

اليمنى كما ذهب إليه بعض المفسرين[١] فتخصيص تطاير صحف الأبرار بكونها من تحت العرش أشبه من تعميمها بجميع الصحائف، وذلك لأنه لما كان الفجار شر الخلائق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ لم يكن لكتابهم أن يقرب من العرش ولا أن يتطاير من تحته يوم البعث، بل الذي يناسب هؤلاء أن يكون كتابهم في أسفل سافلين كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾. والمراد بسجّين في الآية أسفل شيء في الوجود، كما قال ابن القيم: "وإنما أسفل سافلين هو سجين الذي هو مكان الفجار كما أن عليين مكان الأبرار"[٢].

وأصل ذلك ما جاء في حديث البراء الطويل: أن النبيﷺ قال:"إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمسثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان...فيصعدون بها..حتى ينتهى به إلى السماء السابعةفيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى...وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه..ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب... فيصعدون بها حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له "، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾[٣]. فيقول الله عز

---

(١) انظر:كتاب العرش لابن أبي شيبة(ص: ٤٢٨) تفسير الطبري(٢٤/ ٢٠٨)، تفسير البغوي (٨/ ٣٦٦)، تفسير ابن عطية(٥/ ٤٢٥)، تفسير ابن كثير(٨/ ٣٥٢)، فتح القدير(٥/ ٤٠٢)، الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٨٥).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٤٦)، وانظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٣)، بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٣٣)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٧٩-٢٨١،٢٥/ ١٩٦)، تفسير ابن كثير(٨/ ٣٤٩).

(٣) سورة الأعراف،الآية: ٤٠.

وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا"(١).

والشاهد من الحديث قوله : " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى"، وفيه بيان أن كتاب الفجار موضوع في أسفل مكان في الكون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"من علم أن الأفلاك مستديرة وأن المحيط الذي هو السقف هو أعلى عليين وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الأرض هو " سجين "" وأسفل سافلين "، علم من مقابلة الله بين أعلى عليين وبين سجين مع أن المقابلة: إنما تكون في الظاهر بين العلو والسفل أو بين السعة والضيق"(٢).

فتبين من ذلك أن القول بأن الكتب كلها تحت العرش وأن كلها تتطاير من ذلك المكان قول عار عن الدليل، ومع ذلك فهو مخالف لظاهر النصوص، والصواب ما دل عليه الكتاب والسنة من كون كتاب الأبرار في عليين وكون كتاب الفجار في سجين كما تم بيانه آنفا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٩-٥٠٢)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١٢٩٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٠٩)، وإسناد الحديث صحيح، ورجاله رجال الصحيح، كما بينه كثير من أهل العلم كالحاكم والذهبي، وابن القيم والهثمي والألباني وغيرهم انظر:أحكام الجنائز (١/ ١٥٩)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٣/ ٥٠).

(٢)مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٩٦).

الفصل الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بالعرش وفيه مبحثان :

المبحث الأول: العلو والاستواء .

المبحث الثاني: مسألة الحد والمماسة .

المبحث الأول

العلو والاستواء وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العلو والاستواء والفرق بينهما .

المطلب الثاني : الأدلة على علو الله على خلقه والرد على من أنكره أو تأوله .

المطلب الثالث : الأدلة على استواء الله على عرشه والرد على من أنكره أو تأوله .

المطلب الرابع : هل يخلو العرش ؟

المطلب الأول

تعريف العلو والاستواء والفرق بينهما

أولا: تعريف العلو.

العلو:مصدر علا يعلو علوا[١]، وهو ضد السفل، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٢]. وقوله تعالى:﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[٣]. وقوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤].

وعُلْو كل شيء وعِلْوه وعَلْوه وعلاوته وعاليه وعاليته: أرفعه، يقال: علا الشيء علوّا فهو علي، وعلِيَ، وتَعَلّى.ويقال: علا فلان الجبل إذا رقيه يعلوه علوا، وعلا فلان فلانا إذا قهره. والعلي: الرفيع. وتعالى: ترفع.[٥]

يقول ابن فارس:"العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء. ومن ذلك العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار، أي ارتفع."[٦]

والعلو يطلق على عدة معان:

المعنى الأول: علو المكان.يقال : علا فلان الجبل إذا رقيه يعلوه علوا [٧]، وعلا في المكان يعلو علوا.[٨]، قال الجوهري:" وعُلْوُ الدار وعِلْوُها نقيض سِفْلها ويقال أتيته من عَلِ الدار

---

(١) جمهرة اللغة (٢/ ٩٥٠).

(٢) سورة القصص، الآية: ٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٤) سورة القصص،الآية: ٨٣.

(٥) انظر:لسان العرب (١٥/ ٨٣).

(٦) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢).

(٧) انظر: لسان العرب (١٥/ ٨٣).

(٨) مقاييس اللغة (ص: ٦٢٥).

بكسر اللام أي من عالٍ".[١] . كما قال امرؤ القيس[٢]:

مكـــرٍّ مفـــرٍّ مقبـــلٍ مـــدبرٍ معـــاً   كجُلْمُـــود صَـــخْرٍ حطَّـــهُ السَّـــيْلُ مِـــنْ عَـــلِ[٣]

ويقال أتيته من عَلُ بضم اللام أي من مكان عالٍ.كما قال حسان بن ثابت ﷺ:

شـــــهدت بـــــإذن الله أن محمـــــدا   رســـول الـــذي فـــوق الســـموات مـــن عَـــلُ[٤]

يقول ابن فارس:" العلو:ضد السفل.والعلو: الارتفاع..والمعلاة: كسب الشرف، والجمع المعالي ...والعلياء:كل مكان مشرف.والعلية: الغرفة.وناقة عليان، أي: طويلة جسيمة. والعلاوة: رأس الرجل وعنقه.والعلاوة: ما يحمل على البعير بعد تمام الوقر "[٥].

والعلياء يطلق على السماء ورأس الجبل وهو اسم للمكان المرتفع[٦]، والله سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلى بمعنى العالي وهو الذي ليس فوقه شيء .

قال الأزهري:"الأعلى هو الله الذي هو أعلى من كل عال. واسمه الأعلى أي صفته أعلى الصفات. والعلاء الشرف. وذو العلاء صاحب الصفات العُلا، والعُلا جمع العُلْيا أي جمع الصفة العليا والكلمة العليا. ويكون العُلا جمع الاسم الأعلى. وصفة الله العليا: شهادة أن لا إلاه إلا الله فهذه أعلى الصفات ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له. ولم يزل الله عليا

---

(١) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥).

(٢)امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أشهر شعراء العرب على الإطلاق. انظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٥١)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ٩) .

(٣)ديوان امرئ القيس(ص:٥٤)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥)،وقوله: من عَلِ أي: من فوق، وفيه سبع لغات، يقال: أتيته من علُ، مضمومة اللام، ومن علو بفتح الواو وضمها وكسرها، ومن عليْ، بياء ساكنة ومن عالٍ مثل قاضٍ، ومن معال، مثل معاد، ولغة ثامنة يقال من علا.انظر : تهذيب اللغة (٣/ ١١٨)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥)، لسان العرب (١٥/ ٨٤).

(٤)ديوان حسان بن ثابت (ص: ١٨٩).

(٥) مقاييس اللغة (ص: ٦٢٥).

(٦) انظر:كتاب العين (٢/ ٢٤٥)، تهذيب اللغة (٣/ ١٩٩)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥)، مقاييس اللغة (٤/ ١١٤)، لسان العرب (١٥/ ٩٠).

عاليا متعاليا، تعالى الله عن إلحاد الملحدين وهو العلي العظيم."[١].

المعنى الثاني:علو القهر.

يقال: علا فلان فلانا إذا قهره.[٢]ومنه علا الملك في الأرض علوا كبيرا.[٣].ومنه قولهم: أخذه عَلْواً بالفَتْح: أَي عَنْوَةً وقَهْراً[٤]،ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٦]، وقوله :﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٧].ويقال لكل متجبر: قد علا وتعظم[٨]. والعلو عند الإطلاق معناه التكبر والتجبر[٩]، وهو قرين الفساد والطغيان كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[١٠]. أي: تكبر وتجبر وطغى[١١].وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[١٢]. قال ابن كثير: "يقول تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي: تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا، أي: يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس"[١٣]. وقوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى

---

(١) تهذيب اللغة (٣/ ١١٩).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٨٣).

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ١١٣).

(٤) تاج العروس (٣٩/ ٨٩).

(٥) سورة طه،الآية: ٦٨.

(٦) سورة آل عمران،الآية: ١٣٩.

(٧) سورة محمد،الآية: ٣٥.

(٨) تهذيب اللغة (٣/ ١١٧).

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٤٣).

(١٠) سورة القصص، الآية: ٤.

(١١) تفسير الطبري (١٨/ ١٥٠)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠).

(١٢) سورة الإسراء،الآية: ٤.

(١٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٧).

ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا. يقول: ولا ظلم الناس بغير حق، وعملا بمعاصي الله فيها."[٢].

فقد وصف الله فرعون بأنه علا في الأرض وأنه كان من المفسدين وأخبر عن بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض ويعلون علوا كبيرا ،وأخبر تعالى أنه جعل نعيم الآخرة كلها لعباده المتقين،وبين أنهم إنما استحقوا هذا الجزاء العظيم بسبب تركهم العلو والفساد في الأرض.

والمقصود هنا بيان أن العلو المطلق المضاف للبشر صفة مذمومة،وذلك لأن فيها منازعة للخالق بما اختص به من أوصافه، فالعلو هو التجبر والتكبر والله هو الجبار المتكبر وله الكبرياء والعظمة وهذه الصفات لا يوصف بها إلا الله سبحانه وتعالى.

قال ﷺيقول الله سبحانه:"الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما، ألقيته في جهنم"[٣]، والله سبحانه وتعالى هو العلي، وهو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته[٤].

المعنى الثالث: علو القدر

فالعلاءُ: الرفعة والشرف، وكذلك المَعْلاةُ، والجمع المعالي[٥]، ويقال في معنى العلو إذا كان في الرفعة والشرف :عِلِيَ في الشرف بالكسر يعْلَى علاء.

قال ابن فارس: "ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو. فإن كان في الرفعة والشرف قيل عِلِيَ يعْلَى. ومن قهر أمرا فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه "[٦].ويقال أيضا: علا بالفتح يَعْلَى.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه(٤/ ٥٩)، (كتاب اللباس/ باب ما جاء في الكبر) ورقمه: (٤٠٩٠)، وابن ماجه في سننه (٥/ ٢٧٢)،(كتاب الزهد / باب البراءة من الكبر والتواضع)، ورقمه : (٤١٧٤).وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٧٩).

(٤) لسان العرب (١٥/ ٨٥).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٤٣٦).

(٦) مقاييس اللغة (٤/ ١١٣). وانظر أيضا كتاب العين (٢/ ٢٤٥).

قال رؤبة بن العجاج(١): * لما علا كعبك لي عليت * فجمع بين اللغتين، ويقال أيضا: رجل عالي الكعب، أي: شريف.ويقال فلان من علية الناس، أي من أشرافهم ومن جلتهم، وهو جمع رجل عليٍّ أي شريف رفيع(٢).

ويقال: علا به وأعلاه وعلاه بالتشديد أي جعله عالياً. ومنه أعلى الله كعبه أي أعلى جده وأعلى شرفه ورفع قدره(٣).

والله عز وجل هو العلي المتعالي العالي الأعلى ذو العلا والعلاء والمعالي، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي، وتفسير تعالى جل ونبا عن كل ثناء فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ ...فالعلي الشريف فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء(٤).

هذه معاني العلو المعروفة في لغة العرب، علو ذات وعلو قهر وعلو قدر، وهذه المعاني لا تجتمع إلا في حق الله تعالى، فله العلو المطلق من جميع الوجوه ذاتا وقدرا وقهرا، ولا خلاف بين جميع الفرق في وصفه تعالى بعلو القهر وعلو القدر وأن ذلك كمال لا نقص فيه، فإنه من لوازم ذاته وإنما نفى أهل التعطيل ومن سار في فلكهم، علو ذاته(٥)وخالفوا أهل السنة في ذلك وزعموا أنه موجود في كل مكان كما سيأتي بطلان قولهم في موضعه إن شاء الله .

---

(١) رؤبة بن العجاج أبو محمد رؤبة بن العجاج البصري التميمي السعدي؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران، كل منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وهما مجيدان في رجزهما، وكان بصيراً باللغة. توفي سنة ١٤٥ هـ، انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣ / ٣٤٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٠٣)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: كتاب العين (٢/ ٢٤٥)، مقاييس اللغة (٤/ ١١٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٢١١)، لسان العرب (١/ ٧١٩)، تاج العروس (٣٩/ ٨٤).

(٤) انظر: لسان العرب (١٥/ ٨٥).

(٥)انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤).

ثانيا: معنى الاستواء

الاستواء مأخوذ من مادة "سوي"(١) وهو فعل لازم من قولك سويته فاستوى، يقال: ساوى الشيء الشيء: إذا عادله، وساويت بين الشيئين: إذا عدلت بينهما، وسويت، ومنه قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ ﴾(٢)، أي: سوى بينها حين رفع السد بينهما، ويقال: تساوت الأمور واستوت، وتساوى الشيئان واستويا بمعنى واحد(٣).

وفي هذا يقول ابن فارس: "السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين. يقال هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله."(٤).

"والاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد، **فالمطلق** ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾(٥)، وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب: أحدها: مقيدبـ"إلى" كقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٦)، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى ب"إلى" في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٧).

---

(١) يقال سوي يستوي، ومنه قوله تعالى ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[الحشر: ٢٠]،ولا يقال سوي يسوي، قال الليث: يسوى نادرة، ولا يقال منه سوي، ولا سوى..)، ثم قال الأزهري: (قلت: وقول الفراء صحيح، وقولهم: لا يسوى ليس من كلام العرب، وهو من كلام المولدين، وكذلك لا يسوى ليس بصحيح.)، تهذيب اللغة (١٣/ ٨٦).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٨٥-٨٦).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ١١٢).

(٥) سورة القصص، الآية: ١٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

والثاني: في سورة فصلت:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، كما سنذكره ونذكر ألفاظهم بعد إن شاء الله.

والثاني: مقيدبـ"على"كقوله:﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[٢]، وقوله:﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[٤]، وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو"مع"التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.[٥]"[٦]. ثم إن لفظ الاستواء يدل على حقيقة واحدة وهي الاعتدال سواء استعمل مجردا أو مقرونا.

يقول ابن القيم: "وهكذا لفظ الاستواء هو بمعنى الاعتدال حيث استعمل مجردا أو مقرونا، تقول سويته فاستوى ،كما يقال عدلته فاعتدل، فهو مطاوع الفعل المعدى، وهذا المعنى عام في جميع موارد استعماله في اللغة، ومنه استوى إلى السطح، أي ارتفع في اعتدال،ومنه استوى على ظهر الدابة، أي اعتدل عليها، قال تعالى:﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[٧]،و"أهل رسول الله ﷺلما استوى على راحلته"[٨]. فهو يتضمن اعتدالا واستقرارا عند تجرده ويتضمن المقرون مع ذلك معنى العلو الارتفاع، وهذه حقيقة واحدة تتنوع بتنوع قيودها كما تتنوع دلالة الفعل بحسب مفعولاته وصلاته،وما يصاحبه من أداة نفي أو استفهام أو نهي أو

---

(١) سورة فصلت،الآية:١١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الفتح،الآية: ٢٩.

(٥) قال الأزهري: (وقال أبو الهيثم: العرب تقول: استوى الشيء مع كذا وكذا أو بكذا، إلا قولهم للغلام إذا تم شبابه: قد استوى. قال: ويقال: استوى الماء والخشبة، أي: مع الخشبة، الواو ههنا بمعنى مع.) تهذيب اللغة (١٣/ ٨٦).

(٦) مختصر الصواعق المرسلة(٣/ ٨٨٨-٨٨٩).

(٧) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه(٢/ ١٣٩)، (كتاب الحج/ باب من استهل حين استوت به راحلته)، ورقمه: (١٥٥٢) بلفظ:"أهل النبي ﷺحين استوت به راحلته قائمة"، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٥٧)، (كتاب الحج/ باب التمتع بالعمرة إلى الحج) ورقمه: (١٢٤٣).

إغراء، فيكون له عند كل أمر من هذه الأمور دلالة خاصة والحقيقة واحدة "[١] "فعلى هذا إذا اقترن استوى بحرف الاستعلاء دل على الاعتدال بلفظ الفعل وعلى العلو بالحرف الذي وصل به، فإن اقترن بالواو دل على الاعتدال بنفسه وعلى معادلته بعد الواو بواسطتها، وإذا اقترن بحرف الغاية دل على الاعتدال بلفظه وعلى الارتفاع قاصدا لما بعد حرف الغاية بواسطتها "[٢]وسيأتي مزيد بيان لمعاني الاستواء المضافة إلى الله ﷻ عند الكلام عن تفاسير السلف لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[٣].

ثالثا: الفرق بين العلو والاستواء.

تبين مما سبق من معاني العلو والاستواء أن بينهما ارتباطا لغويا من حيث الدلالة،وذلك لأن كلا من الاستواء والعلو يدل على الارتفاع، ولكن هناك عدة فروق بينهما ذكرها أهل العلم يمكن تلخيصها فيما يأتي:

أولا:أن العلو صفة ذاتية ملازمة لله تعالى، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله سبحانه وتعالى عال بذاته، وأن علوه من الصفات الذاتية الأزلية الأبدية[٤].

وقد أخبر الله ذلك في كتابه فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾[٥]، فوصف نفسه بصفة العلو المقتضية بعلو الذات وعلو القدر وعلو القهر.

وأما الاستواء فهو صفة فعلية اختيارية فعلها بعد أن لم يكن فاعلاً لها[٦]،كما قال تعالى:

---

(١)مختصر الصواعق المرسلة، (٣/ ٩٤١-٩٤٢).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة، (٣/ ٩٤٣).

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) انظر:شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ١٧٥).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.

(٦) هذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وأما الأشاعرة فهم مختلفون في كون الاستواء من الصفات الذاتية أو الفعلية فلهم في ذلك قولان: أحدهما: أنه من صفات الذات. والثاني: أنه من صفات الأفعال. فمن صار إلى أنه من صفات الذات اختلفوا فيه، فصار الأكثرون منهم، إلى أن الاستواء على العرش،هو العلو عليه من جهة القهر، والغلبة، والانفراد بنعوت الجلال. انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٤٣).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(١).

فالاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه؛ فدل على أنه تارة كان مستويا عليه وتارة لم يكن مستويا عليه "(٢) وهذا يدل على كونه من الصفات الفعلية الاختيارية. قال ابن تيمية: "الأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله ـ سبحانه وتعالى ـ بمشيئته وقدرته؛ ولهذا قال فيه:﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٣)"(٤).

ثانيا:أن العلو ثابت بالنقل والعقل والفطرة، وأما الاستواء فهو ثابت بالنقل فقط.

قال ابن تيمية: "فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيُعلم بالعقل الموافق للسمع، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع "(٥).

وقال أيضا: "فالعلو على العالم معروف بالفطرة والمعقول وبالشرعة والمنقول وأما الاستواء فإنما علم بالسمع المنقول."(٦)

ثالثا: أن العلو على جميع المخلوقات، وأما الاستواء فهو لا يضاف إلا إلى العرش.

فبينهما عموم وخصوص، لأن العلو يعم جميع المخلوقات والاستواء مخصوص بالعرش، وهو علو خاص، فكل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستو عليه.

---

(١) سورة الأعراف،الآية: ٥٤.

(٢)مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢).

(٣) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٤) شرح حديث النزول (ص: ١٤٨)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٣).

(٥) الرسالة التدمرية: (ص: ٨١)، وانظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٥١٧).مجموع الفتاوى (٣/ ٤٩)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ١٤٨).

(٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٤٥٤). هذا ما ذهب إليه أهل السنة وأما الأشاعرة فهم مختلفون في كون العلو من الصفات العقلية أو النقلية،كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : "أما الأشعري وأئمة أصحابه، فإنهم متفقون على إثبات الصفات السمعية، مع تنازعهم في العلو: هل هو من الصفات العقلية أو السمعية."درء تعارض العقل والنقل(٦/ ٢٠٩).

ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليًا على غيره: إنه مستو عليه، واستوى عليه، ولكن كل ما قيل فيه: إنه استوى على غيره؛ فإنه عال عليه. والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق السموات والأرض الاستواء لا مطلق العلو، مع أنه يجوز أنه كان مستويًا عليه قبل خلق السموات والأرض لما كان عرشه على الماء. ثم لما خلق هذا العالم كان عاليًا عليه ولم يكن مستويًا عليه، فلما خلق هذا العالم استوى عليه.

فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله ـ سبحانه وتعالى ـ بمشيئته وقدرته؛ ولهذا قال فيه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]؛ ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر.

وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع، وهذا... قول جماهير أهل السنة والحديث ونظار المثبتة."[2].

وبهذا يتبين أن الاستواء علو خاص بالعرش وهو من الصفات الفعلية الخبرية التي لا تعلم إلا من قبل الشرع،بينما أن العلو يعم على جميع المخلوقات وهو من الصفات الذاتية اللازمة لله تعالى ويعلم بالعقل والنقل والفطرة كما سيأتي في تنوع دلالات النصوص على علو الله تعالى.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٢) انظر:شرح حديث النزول (ص: ١٤٧). مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٣).

المطلب الثاني

الأدلة على علو الله على خلقه

الدليل على أن الله تعالى فوق العرش فوق المخلوقات عال عليها الكتاب والسنة والإجماع والفطرة السليمة، ولهذا فإن أساليب النصوص تنوعت في الدلالة على علو الله على خلقه، فالقران مليء بالآيات الدالة على علو الله، وكذلك تواتر في السنة أحاديث كثيرة تدل على علو الله على خلقه، ودلت الفطرة على ما دل عليه الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على ذلك [1]، وهذه الأدلة التي جاء فيها وصف الله تعالى بصفة العلو أكثر من آلاف النصوص كما بينه أهل العلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله " بالعلو والاستواء على العرش والفوقية " في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: في القرآن " ألف دليل " أو أزيد: تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده. وقال غيره: فيه " ثلاثمائة " دليل تدل على ذلك."[2] غير أن أهل العلم ذكروا أن أدلة الكتاب والسنة الدالة على علو الله تعالى ترجع إلى ثمانية عشر نوعا[3]وفيما يأتي ذكر بعض أنواعها مرتبة على ترتيبها في الاستدلال.

أولا: دلالة القرآن على علو الله تعالى.

تنوعت دلالات نصوص القرآن على علو الله تعالى على خلقه وكونه فوق عباده عالٍ عليهم علو ذات وعلو قدر وعلو قهر.وسأقتصر على ذكر ثلاثة أنواع منها:

النوع الأول:ما ورد فيه التصريح بعلو الله على خلقه علوا مطلقا.

فقد أخبر تعالى في كتابه أن له العلو المطلق من كل وجه، فتارة يأتي اسمه العلي مقرونا باسمه العظيم كما في قوله:

---

(١)انظر:إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي (ص: ٦٣)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١).

(٣)انظر:إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٣٠٠)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٨١).

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١)، وتارة يأتي مقرونا باسمه الكبير كما في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾(٢)،وتارة مقرونا باسمه الحكيم كما في قوله:﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٣).وتارة يأتي مطلقا عن أي مقارنة بأي اسم من أسمائه الأخرى كما في قوله ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾(٤).

وتارة يأتي تنزيه الله تعالى عن نفسه بما وصفه الواصفون به من النقائص ويخبر أيضا أنه متعال عن الأنداد والأضداد ويصف نفسه بالعلو المطلق عن النقائص كما في قوله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٥)،وقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٦)، وقوله:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾(٧)، فهذه أدلة ساطعة وبراهين قاطعة على أن الله عز وجل فوق جميع مخلوقاته عال عليهم علوا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فقد وصف الله نفسه في هذه الآيات بأنه هو العلي الأعلى.

ومعنى"العليّ" أن الله: "هو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه، وخلقه دونه كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عال بذلك عليهم"(٨).

و"الأعلى" مفهوم في اللغة: أنه أعلى كل شيء، وفوق كل شيء، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه، أعلمنا أنه العلي العظيم، أفليس العلي يا ذوي الحجا ما يكون عليا، لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل، ووسط، ومع كل شيء، وفي كل موضع من أرض وسماء، وفي أجواف جميع الحيوان(٩).

---

(١) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥، والشورى: ٤.

(٢) سورة سبأ،الآية: ٢٣ .

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.

(٨)تفسير الطبري (٤/ ٥٤٤).

(٩) انظر:التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٧).

"وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[١]، وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة"[٢].

النوع الثاني: ما جاء فيها التصريح بأن الله تعالى فوق خلقه.

وجاء ذلك في موضعين من كتابه، **أحدهما**: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٣]. وهذه الآية دالة على علو الله وكونه فوق خلقه، فالقاهر معناه المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم. وإنما قال: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه. فمعنى الكلام إذن: والله الغالب عباده، المذل لهم، العالي عليهم[٤]

إذا تبين هذا فإن الفوقية الواردة في هذه الآية معناها العلو "لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به.. وهو سبحانه العلي على عرشه"[٥].

والثاني: قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٦].ففيها التصريح بالفوقية مقرونة بأداة "من" المعيِّنة لفوقية الذات، وإثبات العلو لله عز وجل،وذلك لأن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن ملائكته ووصفهم بالخوف منه، وأخبر أيضا أنهم إنما يخافون ربا من فوقهم، ومن المعلوم أن الملائكة في السماء فهم فوقنا وفوقهم رب العزة جل وعلا.[٧]

ولا يجوز حمل هذه الآية على فوقية الرتبة والشرف، بل يتعين حملها على المعنى الأصلي الحسي وهو الفوقية الذاتية، لأن الظروف المبهمة إذا جاءت مقرونة "بمن" فإنها لا تدل إلا على الجهة المعينة، كما في قوله تعالى:﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[٨]، وقوله:

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٩٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٨٠)، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٤).

(٥) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد (ص: ٨٣).

(٦) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٧) انظر:التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٦).

(٨) سورة النحل،الآية: ٢٦.

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾(١). وغير ذلك من الآيات الواردة في مثل هذا السياق، "فهذا صريح في فوقية الذات، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له"(٢).

النوع الثالث: ما جاء فيها التصريح بأنه في السماء.

وقد جاء ذلك في موضعين من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾(٣).

ووجه دلالة الآيتين على علو الله بين واضح فقد جاء فيهما التصريح بأنه سبحانه في السماء، وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون " في " بمعنى" على "، وإما أن يراد السماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حمل النص على غيره(٤)، وسواء قيل " في " هنا بمعنى" على "،أو قيل أن المراد من السماء العلو، فكلا الوجهين يدلان على علو الله تعالى.

وقد بين غير واحد من المفسرين أن المراد من قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾، هو الله تبارك وتعالى، وليس المراد منها جبريل أو غيره من الملائكة(٥).

ولهذا استدل علماء السلف بهذه الآية على علو الله على خلقه (٦). ووجه ذلك: أن كل ما علا يسمى سماء"والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية والله أعلم: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات (٧)، وبهذا جزم شيخ الإسلام ابن تيمية : حيث قال:" السماء اسم جنس للعالي لا يخص شيئا. فقوله ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾: في العلو دون السفل ، وهو العلي الأعلى فله أعلى العلو وهو ما فوق العرش وليس هناك غيره العلي الأعلى سبحانه وتعالى"(٨).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٢)انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٤).

(٣) سورة الملك، الآية: ١٦، ١٧.

(٤) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العزّ (٢/ ٣٨٣)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢١٥).

(٥) انظر:تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٩)، تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٥)،زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣١٦).

(٦) الإبانة عن أصول الديانة (١/ ١٠٧،١٠٦).

(٧) الاعتقاد للبيهقي (ص: ١١٣).

(٨) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠١).

والأدلة القرآنية الدالة على علو الله كثيرة فمنها غير ما ذكر: النصوص التي فيها التصريح باستوائه على عرشه فوق خلقه[١]، ومنها النصوص التي فيها التصريح بصعود وعروج ورفع بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٣]. وقوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٤]، وقوله: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[٥]. ومنها النصوص التي فيها التصريح بتنزيل الكتب والأوامر ونزول الملائكة من عنده. كقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٧]، وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٨].

وقداستدل كثير من علماء السلف هذه الآيات على علو الله على خلقه وذلك: لأن الرفع والصعود والعروج لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى كما أن التنزيل لا يكون إلا من علو إلى سفل[٩] فالقرآن مملوء من بيان علوه على خلقه، والصعود إليه، والرفع إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، إلى غير ذلك من النصوص المفسرة المحكمة التي تبين أن الله فوق

---

(١) سيأتي ذلك عند الكلام عن الاستواء وأدلته، انظر: (ص: ٣٠٩) من البحث.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٦) سورة الزمر، الآية: ١.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٨) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٩) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٤، ٦٤-٦٦). تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٥، ١٩/ ٢٣، ٣٣٨، ٢٠/ ٢٥١، ٣٢٧). التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٦- ٢٦٣). مجموع الفتاوي (٥/ ٤٠٤)، شرح حديث النزول (ص: ٥٩). شرح الطحاوية لابن أبي العزّ (٢/ ٣٨٣)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢١٥). العرش للذهبي (٢/ ٢٠).

الخلق فكان ذلك بيانا من الله بليغا لعباده أن ذاته ليست في نفس المخلوقات وأنه تعالى بائن منهم عال عليهم علوا يليق به سبحانه(١).

ثانيا: دلالة السنة على علو الله تعالى.

إن السنة النبوية دلت على ما دل عليه القرآن الكريم من علو الله تعالى، وتنوعت دلالاتها أيضا، فتارة يأتي فيها التصريح بأنه في السماء، وتارة يأتي فيها التصريح برفع وصعود وعروج بعض المخلوقات إليه، ومنها ما ورد في قصة الإسراء والمعراج، والأحاديث الدالة على علو الله على خلقه أكثر من تحصى ولهذا فإني سأقتصرعلى هذه الأنواع المذكورة، ففيها كفاية في الدلالة على المقصود.

النوع الأول: ما جاء فيها التصريح بأن الله في السماء.

وأصرح تلك الأحاديث حديث معاوية السلمي ﵁ قال:"..كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة(٢)، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال: ائتني بها فأتيته بها، فقال لها :

أين الله ؟ قالت: في السماء ، قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة."(٣). **وهذا الحديث يدل على علو الله من ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: أن الرسول ﷺ علق عتقها على أن تقر أن لها ربا في السماء، فلما أقرت أن ربها هو الذي في السماء أمر رسول الله ﷺ بعتقها، كما هو واضح في قوله: "أين الله ؟ قالت: في السماء ، قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله ، قال : أعتقها ، فإنها مؤمنة".

---

(١) انظر:بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ١٨).

(٢) يقال صككت الشيء صكا أي ضربته ضربا، كما في مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٥٣٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٣١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٢/ ٧٠) ، (كتاب الصلاة/ باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحته.).ورقمه: (٥٣٧).

قال الدارمي:"ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبدا فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء. ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء."(١).

الوجه الثاني:أنه ورد في الحديث التصريح بلفظ " الأين " الذي هوفي غاية الوضوح في الدلالة على أن الله بائن من خلقه، لأنه لو كان في كل مكان لاستحال أن يقال أين هو؟

يقول الدارمي:"وفي قول رسول الله ﷺ:"أين الله؟" تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان، لا يوصف ب "أين"، لأن شيئا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: «أين هو؟»، ولا يقال: "أين" إلا لمن هو في مكان يخلو منه مكان"(٢).

الوجه الثالث:إقراره ﷺ ذلك وعدم إنكاره عليها.

فقوله ﷺ للجارية أين الله؟ امتحان في إيمانها، فلما قالت في السماء، كانت أصابت الجواب وفازت بالامتحان، وكانت جائزتها الشهادة لها بالإيمان والعتق من الرق. فلو كان قولها "الله في السماء" غير صحيح لما أقر لها رسول الله ﷺ بما أجابت، ولم تكن نائلة بما نالت من جزاء العتق من الرق، وهي إنما وصفت كون ربها في السماء، وأن محمدا عبده ورسوله؛ فقرنت بينهما في الذكر؛ فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان. يقول الدارمي:"ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله ﷺقولها وعلمها، ولكنها علمت به، فصدقها رسول الله ﷺ، وشهد لها بالإيمان بذلك، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض، كما عرفته في السماء.

فالله تبارك وتعالى فوق عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(٣).سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيرا"(٤).

(١) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٧).

والأحاديث التي فيها التصريح بكون الله في السماء كثيرة جدا، فمنها قوله ﷺ :" ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء "(١). وقوله ﷺ:"الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"(٢).

وقوله ﷺ:" والذي نفسي بيده ، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها"(٣).

ووجه دلالة هذه الأحاديث على علو الله تعالى واضحة كوضوح الشمس لأن قوله " في السماء" هو عند أهل السنة على أحد وجهين:

إما أن تكون " في " بمعنى" على "، وإما أن يراد السماء العلو، لا يختلفون في ذلك،ولا يجوز حمل النص على غيره(٤)، ورجح شيخ الاسلام ابن تيمية المعنى الثاني من أن المراد من السماء هنا العلو (٥).

النوع الثاني: ما جاء فيه التصريح برفع وصعود وعروج بعض المخلوقات إليه.

فقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تدل على رفع أعمال العباد إلى الله تعالى وعروج الملائكة إلى ربها،والأحاديث في ذلك كثيرة وسأكتفي بذكر بعضها:

الحديث الأول: عن أبي موسى رضي الله عنه قال:" قام فينا رسول الله ﷺبخمس كلمات، فقال: إن الله عز وجل لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل..."(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥/ ١٦٤)، (كتاب المغازي/ باب بعث علي رضي الله عنه(ورقمه: (٤٣٥١)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ١١٠)،(كتاب الزكاة/ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام)،ورقمه:(١٠٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه(٤/ ٢٨٥)، (كتاب الأدب/ باب في الرحمة)، ورقمه: (٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي في سننه(٤/ ٣٢٤) ،(كتاب البر والصلة عن رسول ﷺ/ باب رحمة المسلمين)، ورقمه: (١٩٢٤). وقال:"هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (٩٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٤/ ١٥٧) ،(كتاب النكاح/ باب إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها) ورقمه(١٤٣٦).

(٤) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العزِّ (٢/ ٣٨٣)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢١٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١١١)، (كتاب الإيمان/ باب حجابه النور) ورقمه: (١٧٩).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون"(١).

الحديث الثالث:عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ، قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فضلا يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل ، وهو أعلم بهم: من أين جئتم ؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك..."(٢).

وقد استدل علماء السلف هذه النصوص وأمثالها الواردة في القرآن على علو الله سبحانه (٣)، ووجه دلالة هذه الأحاديث على علو الله تعالى واضح،لأن فيها إخبارا عن رفع الأعمال وصعودها إلى الله كما في الحديث الأول:"يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل"، ورفع الشيء وصعوده لا يمكن إلا أن يكون من تحت إلى فوق، فتبين من ذلك علو مكانة من يرفع إليه العمل ويصعد إليه، ولو كان الله في كل مكان لما صح رفع الأعمال إليه ولم يكن للحديث معنى.

يقول الدارمي: "فإلى من ترفع الأعمال، والله بزعمكم الكاذب مع العامل بنفسه في بيته، ومسجده، ومنقلبه، ومثواه؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا"(٤).

وكذلك أخبر ﷺ في الحديث الثاني والثالث عن عروج وصعود الملائكة إلى ربها، كما في قوله:"ثم يعرج الذين باتوا فيكم"، وقد تبن أن العروج والصعود لا يكون إلا من سفل إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٢٦)، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[المعارج: ٤] ورقمه:(٧٤٢٩).، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١١٣)، (كتاب الصلاة/ باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما)، ورقمه: (٦٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه(٨/ ٦٨)،(كتاب الدعوات/ باب فضل مجالس الذكر)،ورقمه:(٢٦٨٩).

(٣) انظر:الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٦٥-٦٦) ، تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٨، ٢٣/ ٢٥١). التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٦- ٢٥٧). مجموع الفتاوي(٥/ ٤٠٤)،شرح حديث النزول(ص:٥٩).

(٤) الرد على الجهمية (ص: ٦٣).

علو كما في قوله:"فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء."، فاتضح بذلك علو مكانة الباري سبحانه، وأنه فوق السماء.

يقول ابن خزيمة: "وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله عز وجل في السماء، وأن الملائكة تصعد إليه من الدنيا، لا كما زعمت الجهمية المعطلة أن الله في الدنيا كهو في السماء ولو كان كما زعمت لتقدمت الملائكة إلى الله في الدنيا، أو نزلت إلى أسفل الأرضين إلى خالقهم على الجهمية لعائن الله المتتابعة"(١).

النوع ثالث: ما جاء في قصة الإسراء والمعراج من رفعه إلى السموات العلى.

فعن أنس بن مالك قال:"ليلة أسري برسول الله ﷺمن مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام. ثم عرج به إلى السماء الدنيا.." ثم ذكر أن ملك جبريل لم يزل يعرج به من سماء إلى سماء حتى وصل فوق السماء السابعة، ثم قال: "ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى ودنا للجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى..."(٢).

والحديث يدل على علو الباري سبحانه من عدة أوجه.

الوجه الأول: العروج به ﷺ من الأرض إلى السماء كما في قوله: "ثم عرج به إلى السماء الدنيا"، فلو كان الباري في الأرض وفي كل مكان -كما تزعمه الفرق المعطلة- لم يكن للعروج به إلى السماء فائدة، ولهذا فإن العروج به إلى السموات دليل واضح على أن الرب الذي عرج به إليه فوق السموات العلى.

الوجه الثاني: أن الملك علا به فوق السموات العلا إلى مكان لا يعلمه إلا العلي الأعلى.كما في قوله: "ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى". فعلو الملك به من فوق السموات السبع يدل على كون الباري فوق ذلك كله.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٤٩) ، (كتاب التوحيد/ باب قوله﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[النساء: ١٦٤]، ورقمه :(٧٥١٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه(١/ ٩٩) ،(كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ) ورقمه:(١٦٢).

الوجه الثالث: إخباره ﷺ: أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه، ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار.كما في قوله ﷺ"فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات".

يقول الدارمي:"..لو كان في كل مكان كما يزعم هؤلاء، ما كان للإسراء والبراق والمعراج إذا من معنى، وإلى من يعرج به إلى السماء، وهو بزعمكم الكاذب معه في بيته في الأرض، ليس بينه وبينه ستر، تبارك اسمه، وتعالى عما تصفون."(١).

ويقول ابن خزيمة: "وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي ﷺ عرج به من الدنيا إلى السماء السابعة، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار، فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سماواته لا على ما زعمت المعطلة: أن معبودهم هو معهم في منازلهم، وكنفهم على ما هو على عرشه قد استوى."(٢).

ثالثا: دلالة إجماع السلف على علو الله وفوقيته على خلقه.

من خلال ما تقدم في المطلب الأول تبين لنا دلالة الكتاب والسنة على علو الله تعالى وكونه فوق خلقه، وأنه موصوف بجميع أنواع العلو، علو الذات وعلو القهر والقدر، وهذا ما فهمه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من السلف من تلك النصوص، فأثبتوا لله العلو المطلق (٣) . وأجمعوا على أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه، ولم يخالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله (٤).

---

(١) الرد على الجهمية (ص: ٦٦).

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٧١).

(٣) أقوال السلف من الصحابة وغيرهم الدالة على علو الله تعالى أكثر من تحصى، وقد جمع جملة منها الإمام ابن قدامة في إثبات صفة العلو(ص: ١٤٥)، والذهبي في كتاب العرش(٢/ ١٥٧)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ١١٨)، فمن أراد الاستزادة فليراجع هناك.

(٤) الرد على المريسي(١/ ٣٤٠)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٧، ٦/ ٢٦٠)، بيان تلبيس الجهمية(٢/ ١٦٢)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٧٩)، العرش للذهبي (٢/ ٣٣٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ٢٢٦).

قال ابن بطة :"أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قوم زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين، وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء وهو بذاته حال في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين"(١).

وقال أبو عمرو الطلمنكي(٢): "وأجمعوا ـ يعني أهل السنة والجماعة ـ على أن لله عرشًا، وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه. قال: فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٣)، ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء"(٤).

وقال أبو عمر ابن عبد البر:" أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾(٥)، هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"(٦).

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الثالث (٣/ ١٣٦)، وانظر:بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٦٢)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢٣٣)، العرش للذهبي (٢/ ٤١٦).

(٢)هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الإمام، المقرئ، المحقق، المحدث، الحافظ الأندلسي، الطلمنكي، كان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع، قامعا لهم، غيورا على الشريعة، شديدا في ذات الله، توفي سنة ٤٢٩هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦-٥٦٨)، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٥٦).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٤ .

(٤) نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص: ١٤٤-١٤٥)، وفي بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٩٨)، وفي مجموع الفتاوى(٣/ ٢٦٠،٥/ ٥١٩)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٦)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٤٢).

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٧ .

(٦) هكذا نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٥)، وفي بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٤٠١)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٩)، وفي العرش (٢/ ٤٥٥). والذي

ففي هذه النقول عن هؤلاء الأئمة الفحول يتبين أنّ القول بعلو الله على خلقه حقيقة، هو قول سلف هذه الأمة من الصحابةوالتابعين وأتباعهم من أهل القرون المفضلة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالأفضلية والخيرية على سائر الأمة. وقد حكى الإجماع على هذا كثير من أهل العلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل أقوال عدد من أهل العلم في حكاية الإجماع على استواء الله على عرشه: "وهذا باب واسع لا يحصيه إلا الله تعالى، فإن الذين نقلوا إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أنّ الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله "(١).

رابعا: دلالة العقل والفطرة السليمة على علو الله.

إن العقل والفطرة ليدلان على ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع من علو الباري سبحانه وكونه فوق عباده، وهذا أمر مستقر في نفوس العباد، مركوز في فطرهم، يستوي على ذلك جميع الخلائق والأمم، فما دعا عبد ربه إلا وجد في نفسه ضرورة تجبره على اتجاه قلبه إلى العلو ومد يديه وبصره إلى السماء، وذلك لأن العقل يحيل وينزه الخالق من أن يكون داخلا في خلقه، وفيما يأتي بيان في أوجه دلالتهما على ذلك.

أولا: دلالة العقل على علو الله وكونه بائنا من خلقه.

فأما دلالة العقل على ذلك فقد بين غير واحد من العلماء أن إنكار علو الله على خلقه والقول بأنه في كل مكان، يلزم منه أن يكون الله داخلا في خلقه وهذا مما يحيله العقل.

يقول الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله في رده على الجهمية : "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم.

قفت عليه من كلام ابن عبد البر: (وأما احتجاجهم بقوله عز وجل ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٨-١٣٩).

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٦٩).

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لابد له من واحد منها.

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفرًا أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر رديء. وإن قال: خلقهم خارجًا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة "(١).

وإذا كان مباينا للعالم كان من تمام مباينته أن يكون فوق العالم لا محاذيا له ولا سافلا عنه، ولما كان العلو صفة كمال كان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عاليا عليه لا يكون قط غير عال عليه(٢).

وأما دلالة الفطرة على علوه تعالى، فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.

فعلو الخالق على المخلوق وكونه فوق العالم، أمر مستقر في فطر العباد، معلوم لهم بالضرورة، كما اتفق عليه جميع الأمم، إقراراً بذلك وتصديقاً، من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشاعروا، وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم.

وكذلك هم يضطرون إلى قصد الله وإرادته عند الدعاء والمسألة، ويضطرون إلى توجه قلوبهم إلى العلو، فكما أنهم مضطرون إلى دعائه وسؤاله، فهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، ولا استواء الجهات كلها عندها، وخلو القلوب عن قصد جهة من الجهات بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى أن تقصد جهة علوهم دون غيرها من الجهات(٣).

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٥-١٥٦)، وانظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤١)، الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٤٠).

(٢)انظر:درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٥).

ولهذا ذكر غير واحد من أهل العلم إجماع الخلائق على هذه الضرورة التي يجدونها في أنفسهم عند الدعاء[١]."

والقصص الواقعية الدالة على كون الفطرة دليلا على علو الله تعالى كثيرة نكتفي بذكر قصتين تكون فيهما دلالة واضحة على ذلك.

أحدهما: قصة الجارية التي أعتقت بقولها: "الله في السماء".

يقول ابن عبد البر: "ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم.

وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها أين الله فأشارت إلى السماء ثم قال لها من أنا قالت رسول الله قال:" أعتقها فإنها مؤمنة" فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه."[٢].

والثانية: قصة منكر لعلو الله تعالى نازعته فطرته على إنكاره.

هذه قصة دارت بين أبي جعفر الهمذاني[٣] وبين أبي المعالي الجويني[٤]، ذكرها غير واحد من أهل العلم، وهي قصة مسلسلة بالحفاظ، مفادها :

"أن الشيخ أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان!

---

(١) وممن نقل الإجماع الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٤٠)، وابن أبي شيبة في العرش (ص: ٢٩١)،وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٥٤).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٤).

(٣) الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأثبات، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهمذاني. كان مولده بعد سنة ٤٤٠هـ، وتوفي سنة ٥٣١هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٠)، تاريخ الإسلام (١١/ ٥٥٥).

(٤) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين كان مولده في سنة ٤١٩هـ، وتوفي في سنة ٤٧٨هـ انظر: تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٤)، سير أعلام النبلاء(١٨/ ٤٦٨).

فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمذاني حيرني الهذاني!"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عقيب هذه القصة: "وذلك لأن العلم باستواء الله على العرش بعد خلق السموات والأرض، إنما علم بالسمع، أما العلم بعلو الله على العالم فهو معلوم بالفطر الضرورية وعند الاضطرار في الحاجات لا يقصد القلب إلا ما يعلم كما يعلم."(٢).

ومن مشاهد دلالة الفطرة على علو الله تعالى: توجيه السؤال الآتي إلى الأطفال والصبيان الذين لم يدرسوا شيئا، والمتفق عليهم ببقائهم على فطرتهم، سواء كانوا من أولاد المسلمين أو من غيرهم من أولاد اليهود والنصارى، فهم أنموذج حي يترجم عن فطرة الله التي فطر الناس عليها. فإنك إذا سألت أي طفل من الأطفال هذا السؤال:من خلقك ؟ فسيقول: الله. وإذا سألته: أين الله، فسيشير إلى السماء.

وهذا مصداق قوله ﷺ في حديث أبي هريرة ﵁: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء "، ثم يقول أبو هريرة ﵁: واقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾(٣)"(٤).

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٤/ ٦١)، والاستقامة (١/ ١٦٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٤)، والعلو للذهبي (ص: ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٧٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٩١). قال الشيخ الألباني: "وإسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ" مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ٢٧٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٥٤).

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥) ، (كتاب الجنائز/ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه) ورقمه: (١٣٥٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٥٣). (كتاب القدر/ باب كل مولود يولد على الفطرة) ورقمه: (٢٦٥٨).

وهذه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة فيها دلالة واضحة على علو الله على خلقه، وهي أدلة ظاهرة جلية لاينكرها إلا من كان أعمى البصر والبصيرة، وسيأتي الرد على من أنكر هذه المسالة من الفرق والطوائف.

الرد على منكري العلو.

تقدم فيما سبق أن السلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه؛ من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى. والمخالفون لهم في ذلك ثلاث طوائف:

أحدها: طائفة أنكرت أن يوصف الله في مكان، فقالوا لا يوصف بالعلو كما لا يوصف بالتحت، فنفوا عنه الوصفين جميعا. وعكسهم الطائفة الثانية: وهم الذين وصفوا الله بوجوده في كل مكان. وقاربتهم الطائف الثالثة: فقالوا هو موجود فوق العرش كما هو موجود في كل مكان، فجمعوا بين قول السلف وبين قول الجهمية القائلين هو موجود في كل مكان[1]. وفيما يأتي ذكر أشهرأقوال الفرق المخالفة لأهل السنة في مسألة العلو:

القول الأول: قول معطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون. لا هو داخل العالم ولاخارجه ولا مباين له ولا محايث له؛ فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة[2] ومن وافقهم من غيرهم، من متأخري الأشاعرة[3]، وغيرهم[4].

والقول الثاني: قول حلولية الجهمية[1] الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك النجارية[2]–أتباع حسين النجار[3]، وغيرهم ممن وافقهم على ذلك من المعتزلة، ومتأخري الأشاعرة[4].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٨)، مجموعةالرسائل والمسائل لابنتيمية (١/ ٧٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٤٥)، محموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧–٢٩٨، ٥/ ١٢٢،/ ٥/ ٢٧٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للغزلي (ص: ٣٣)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٤٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ٢٧٢،٦/ ٣١٠).

(٤) درء تعارض العقل والنقل(٥/ ١٧٨)، مجموع الفتاوى(٥/ ٢٧٢، ٥/ ٣٠٣).

وهذان القولان للجهمية ومن تأثر بهم من الفرق، فالأول لمتكلمتهم ونظّارهم، والثاني لمتصوفتهم وعبّادهم، فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم(٥)، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء(٦).

وقد يجتمع هذان المذهبان في الشخص الواحد من المعطلة، وذلك لأنك تجد الواحد من هؤلاء - عند نظره وبحثه - يميل إلى النفي، ويقول: لا هو داخل العالم ولاخارجه ولا مباين له ولا محايث له، وعند عبادته وتصوفه يميل إلى الحلول؛ ويقول هو موجود في كل مكان.

وإذا قيل له هذا ينافي ذلك قال: هذا مقتضى عقلي ونظري وذاك مقتضى ذوقي ومعرفتي ومعلوم أن الذوق والوجد إن لم يكن موافقا للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما(٧)..

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص: ١٤٣)، الرد على الجهمية للدارمي(ص:٤١)، الشريعة للآجري(٣/ ١٠٧٦)، الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٣٩)، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢،٥/ ٢٧٢).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٣-١١٤)، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢).

(٣) والنجارية هم أتباع الحسين بن محمد النجار المتوفى في حدود ٢٣٠هـ ويعرفون أيضا بالحسينية، وهم يوافقون أهل السنة في بعض أصولهم مثل خلق الأفعال والاستطاعة والإرادة وأبواب الوعيد =ويوافقون القدرية في بعض الأصول مثل نفي الرؤية ونفي الحياة والقدرة ويقولون بحدوث الكلام والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل، انظر:مقالات الإسلاميين(١/ ١٣٦)، والفرق بين الفرق(ص: ١٩٥)، والتبصير في الدين (ص: ١٠١).

(٤) الأشاعرة: فرقة إسلامية كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) ، في مرحلته الثانية التي كان على طريقة ابن كلاب، وهم من أهل الإثبات مع تعطيل في الصفات، وإرجاء في الإيمان، واضطراب في باب القدر والنبوات. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٤). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٨٧).

(٥) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري(١/ ٨٤)، مجموع الفتاوى(٢/ ٢٩٧-٢٩٨،٥/ ١٢٢،٥/ ٢٧٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢، ٥/ ٢٧٢).

(٧)مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢، ٥/ ٢٧٢).

والقول الثالث: قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف.(١)، ويقولون إن الله بكل مكان وأنه مع ذلك مستو على عرشه وأنه يرى بالأبصار بلا كيف أنه موجود الذات بكل مكان وأنه ليس بجسم ولا محدود ولا يجوز عليه الحلول والمماسة ويزعم أنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢)وهذا في نفاة الجسم يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون إنه لا نهاية له(٣).هذا مجمل أقوال المخالفين لأهل السنة في مسألة العلو **ويرد عليهم:**

أولا:أن أقوالهم مخالفة لنصوص الشريعة.

لأن كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺوعامة كلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه.

وإن قول هؤلاء الطوائف مخالف لنصوص الكتاب والسنة، وهو مخالف أيضا: للإجماع والفطرة السليمة، وهو مخالف لما كان عليه السلف الصالح من اعتقادهم أن الله فوق عرشه بائن من خلقه كما تقدم بيانه.

ثانيا: أن قول معطلة الجهمية ونفاتهم الذين يقولون. "لا هو داخل العالم ولاخارجه ولا مباين له ولا محايث له"، قول غير معقول،بل هو من المستحيلات، لوصفهم الله بالمتناقضات، ولا يستطيعون أن يأتوا على ذلك بحجةولا برهان، لا في العقل ولا في النقل.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن جميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص؛ كالخوارج(٤)وغيرهم، إلا الجهمية؛ فإنه ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفي(١).

---

(١)مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٥، ٢٩٩)، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢، ٦/ ٣٠٤)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٧٦٤)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٠٤).

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٢٩٠).

(٤) الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، وأجمعوا على تكفير الحكام ومرتكب الكبيرة وهم فرق شتى: منها: المحكمة الأولى، والأزارقة،والنجدات،

إذا تبين هذا "فإن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم، وإنما يتخيلون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم"(٢).

ولما كان قول هولاء غير مبني على أثارة من علم لم يكن لنا حاجة في تتبع حججهم الوهمية المزعومة أنها عقلية لكونها مخالفة للنقل الصحيح والعقل الصريح.

ثالثا: وأما أصحاب القول الثاني والثالث: القائلين بأن الله موجود في كل مكان فقد استدلوا على قولهم بنصوص المعية والقرب الواردة في القرآن السنة(٣).

ووجه استدلالهم بهذه الآيات أنهم جعلوا معية الله الواردة في هذه النصوص معية ذاتية، ومن ثم اعتقدوا وجود الله في كل مكان.

وسبب اعتقادهم بهذا الاعتقاد الفاسد هو "تفسيرهم للقرآن على ما تهوى نفوسهم، فضلوا وأضلوا، فمن سمعهم ممن جهل العلم ظن أن القول كما قالوه، وليس هو كما تأولوه عند أهل العلم.والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عز وجل سبحانه على عرشه فوق سماواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلا ، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى"(٤).

والبيهسية والعجاردة، والإباضية. انظر: مقالات الاسلاميين لأبي الجسن الأشعري(٨٦-١٣١) الفرق بين الفرق (ص: ٥٤)، الملل والنحل (١/ ١١٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ٤).

(٣)انظر تفصيل أدلتهم مع الرد عليها في الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٤)، ورد الدارمي على بشر المريسي (١/ ٤٤٢)، والشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٤-١٠٧٦)، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨).

(٤) انظر : الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦).

وأما الجواب عن استدلالهم بنصوص المعية، فالقول الفصل في هذا هو الرجوع إلى ما قاله علماء السلف في تفسير هذه الآيات، والوقوف على المأثور من كلامهم، وعند الرجوع إلى أقوالهم نجد أنهم قسموا نصوص المعية الواردة في القرآن والسنة إلى نوعين:

أحدها نصوص وردت فيها معية عامة: والمراد منها أن الله مع خلقه بعلمه وهو على عرشه.

والثاني: نصوص وردت فيها معية خاصة: ومعناها معية النصرة والتأييد كما سيأتي توضيحه.

أولا: المعية العامة:

وهذه المعية العامة هي كالواردة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

ومعناها أن الله عز وجل معهم بعلمه، فهو سبحانه على عرشه، وعلمه محيط بهم، وبكل شيء من خلقه، كذا فسرها أهل العلم والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم.

ولهذا فإن علماء السلف ردوا على الجهمية استدلالهم بنصوص المعية على وجود الله في كل مكان، وبينوا أن معية الله العامة هي معية علم وليست معية ذاتية، وأنكروا على القائلين: إن معية الله مع خلقه معية ذاتية، لما يلزم من ذلك من لوازم باطلة، فإن هذا القول يستلزم أن يكون الله في داخل مخلوقاته، بل يلزم منه أن يكون الله وإبليس في مكان واحد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا(٢).

وهذه لوازم لا محيد عنها ولا مفر منها، ولهذا فإن الفطرة السليمة تنزه خالقها عن أن يكون في هذه الأماكن، فهو منزه عن أن يكون حالا في خلقه، فعلمه سبحانه محيط بجميع خلقه وكذلك عظمته وقدرته، وأما ذاته تعالى فهو فوق خلقه مستو على عرشه.

والمقصود بيان أن علماء السلف ردوا على استدلال الجهمية بنصوص المعية على وجود الله في كل مكان، وأنكروا عليهم هذا القول.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٢) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٤٣)، الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤١)، الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٣٩).

فقد قام الإمام أحمد في الرد على استلال الجهمية لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾(١). وبين أن المراد من الآية: أن الله "هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾(٢)، ومن الاعتبار في ذلك، لوأن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صافٍ وفيه شراب صافٍ،كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى دارًا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها،كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيتا في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار. فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مماخلق"(٣).

وقد أنكر عليهم الدارمي استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٤).فقال:" هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط...غير أنكم جهلتم معناه، فضللتم عن سواء السبيل،وتعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم،وختمها به... ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم، فهذه حجة بالغة لو عقلتم"(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٢) سورة الطلاق،الآية: ١٢.

(٣)الرد على الجهمية والزنادقة (ص:١٤٢ -١٥٠).

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٥)الرد على الجهمية للدارمي (ص:٤٢-٤٣)، وانظر: الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦).

فتبين مما سبق من أقوال أهل العلم أن المعية الواردة في مثل هذه الآيات المراد منها معية العلم، وليست معية الذات،كما بينه غيرهم من علماء السلف كابن عباس والضحاك وسفيان الثوري فكل هؤلاء قالوا: هو معهم بعلمه (١).

وأجمعت الأمة على ذلك كما نقله غير واحد من علماء السلف، منهم ابن عبد البر، والطلمنكي، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم. قال أبو عمرو الطلمنكي:

"أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٢)، ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء"(٣).

وقال ابن عبد البر: "وأما احتجاجهم بقوله عز وجل﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾(٤)، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"(٥).

ثانيا: المعية الخاصة.

وهذه المعية هي معية النصرة والتأييد والمعونة كما بينه علماء السلف(٦)، وإنما سميت خاصة لأنها تخص أولياءه،وهي كالواردة في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٧)، وقوله تعالى لموسى:﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(١)، وقال تعالى:﴿ إِذْ

(١)انظر:الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٤)، ورد الدارمي على بشر المريسي (١/ ٤٤٢)، والشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٤-١٠٧٦)، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨)،مجموع الفتاوى(١١/ ٢٤٩).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤ .

(٣) نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص: ١٤٤-١٤٥)، وفي بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٩٨)، وفي مجموع الفتاوى(٣/ ٢٦٠،٥/ ٥١٩)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٦)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٤٢).

(٤) سورة المجادلة،الآية: ٧ .

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٨-١٣٩).

(٦) انظر:الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٨).

(٧) سورة النحل، الآية: ١٢٨ .

يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(٢).يعني النبي ﷺ وأبا بكر ﵁ ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين، فلو كان معنى " المعية " أنه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك."(٣)

والمقصود هنا بيان أن لفظ المعية في كلا الاستعمالين لا تستلزم المخالطة بالخلق،كما أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه، فعلوه لا يناقض معيته ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق(٤).وكذلك فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة، فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه، والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته(٥).

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٩-٢٥٠).

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٤٧).

(٥) انظر: فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٣٣).

المطلب الثالث

الأدلة على استواء الله على عرشه والرد على من أنكره أو تأوله

تقدم في المطلب السابق الأدلة الدالة على علو الله على خلقه من الكتاب والسنة والإجماع، وسبقت الإشارة إلى أن من تلك الأدلة: النصوص الواردة في استواء الله على عرشه، كما سبق التنويه بالعلاقة بين العلو والاستواء وأن بينهما عموما وخصوصا، فكل استواء علو بغير عكس، ولما كان الاستواء علوا مخصوصا اقتضى ذلك تخصيص الكلام له، وبيان وقت حصوله ووجه تخصيصه على العرش، وهذا ما سيأتي في النصوص الواردة في استواء الله على عرشه، تتقدمه توطئة فيها بيان عن وضع العالم وجهاته.

تمهيد: بيان أن العالم له جهتان العلو والسفل.

قبل أن نتكلم عن صفة الاستواء وأدلتها لابد من التنبه إلى أن الاستواء نوع من العلو، وأن العلو مخصوص بجهة معينة وهي جهة الفوق، والجهات كلها مخلوقة حادثة، والله موصوف بصفاته قبل تكوين مخلوقاته، "فما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته"[1].

وذلك أن الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء بل كان منفردا في قدمه وأزليته، متوحدا في فردانيته، وهو سبحانه وتعالى في تلك الفردانية لا يوصف بأنه فوق كذا إذ لا شيء غيره هو سابق للتحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهما لازمتان لها، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته.

فلماخلق الله الكون اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جملة التحت لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية أن يكون الله فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون.

فإذا أشير إليه يستحيل أن يشار إليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنى أو من جهة اليسرى بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العلو والفوقية، إذا علم ذلك فالاستواء صفة

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣٤)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١٩٩)، العرش للذهبي (٢/ ٣٦٦)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢١٦)، شرح الطحاوية (١/ ٩٦).

كانت له سبحانه في قدمه لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمه إلا في الآخرة وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في محله(١). فإذا تبين هذا فليعلم أن الاستواء المضاف إلى الباري سبحانه نوعان:

النوع الأول: استواء الله إلى السماء بعد خلق الأرض، وقبل خلق السماء.

كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(٣). في هاتين الآيتين إخبار من الله أنه استوى إلى السماء بعد خلق الأرض، وقد سبق عند الكلام عن معنى الاستواء في كلام العرب بيان أن الاستواء المعدى بحرف الجر معناه العلو والارتفاع، وبناء على ذلك فإن السلف رضوان الله عليهم فسروا استواء الله إلى السماء على ما تقتضيه لغة العرب، وبينوا أن الله ارتفع إلى السماء بعد فراغه من خلق الأرض، وتقاربت ألفاظهم في تفسير هذا الاستواء، ففسره بعضهم: استوى بمعنى ارتفع، وفسره بعضهم بـ"علا"(٤)

---

(١) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لعماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين (ص: ٤٠-٤١)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٥٥)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ١٢٠) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٥)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٢٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، تفسير الطبري (١/ ٤٥٦، ٢٠/ ٣٩١)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٥، ٦/ ١٩٢٥، ٧/ ٢٢١٦، ٨/ ٢٧١٤)، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٢) تفسير السمعاني (١/ ٦٣)، تفسير البغوي(١/ ٧٨). ونقله الذهبي في العرش (٢/ ١٨)، وفي العلو للعلي الغفار (ص/ ١٥٩).

وهذا قول أكثر المفسرين من السلف[١]، بل نقل ابن القيم إجماع السلف على ذلك[٢]، وقد روي عن بعض السلف تفسير استواء الله إلى السماء بصعوده إليها[٣]، ومما يحقق أن معنى استواء الله إلى السماء ارتفاعه وصعوده إليها، مجيئه في اللغة العربية على هذا المعنى وتقرير فصحاء العرب عليه، كما قال النضر بن شميل[٤] وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة: حدثني الخليل وحسبك بالخليل، قال أتيت أبا ربيعة الأعرابي[٥] وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابى إلى جنبه: أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل: هو من قول الله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾، قال فصعدنا إليه."[٦].

وهذه القصة تبين أن الاستواء والارتفاع والصعود بمعنى واحد، وذلك واضح، حيث فسر الأعرابي بقول أبي ربيعة الأعرابي "استووا " بأن مراده هو الارتفاع إلى السطح، فلما فهم الخليل ومن معه مراد أبي ربيعة الأعرابي صعدوا إلى السقف، وقول الخليل "فصعدنا إليه" يبين أن الاستواء الذي طلبه أبو ربيعة الأعرابي هو ذلك الصعود الذي فعله الخليل ومن كان معه.

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٦٣)، تفسير البغوي(١/ ٧٨)، وسيأتي تفسير بعض علماء السنة هذا الاستواء بالإقبال والقصد إلى خلق السماء، وهو قول مرجوح كما سنبينه في موضعه إن شاء الله.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة(٣/ ٨٨٨-٨٨٩).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٣٠٧)، (، تفسير القرطبي (١/ ٢٥٤)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٨٧، ١٦/ ٤٢٣)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢١(العلو للذهبي(ص:١٥٩،١٦٠)، تاج العروس (٣٨/ ٣٣١)،تفسير فتح القدير ـ(٢/ ٢١١).

(٤) هو الإمام، العلامة، الحافظ، النضر بن شميل بن خرشة بن زيد، أبو الحسن المازني، البصري، النحوي، نزيل مرو، وعالمها من رجال الجماعة. ولد في حدود سنة ١٢٢هـ وتوفي سنة ٢٠٤هـ.انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٧٣) التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٩٠)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨).

(٥) لم أقف له على ترجمة، وقد زكاه عالم اللغة الخليل بن أحمد كما ترى.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٢)، اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ١٤٦)، كتاب العلو للذهبي (ص/ ١٦٠).

والمقصود هنا بيان أن الخليل بن أحمد وهو إمام من أئمة اللغة استنتج من هذه الواقعة أن مراد الله من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ هو الارتفاع والصعود إليها ، كما هو ظاهر كلام فصحاء العرب، ففسر القصة بالآية كما في قوله"وقال لنااستووا فبقينا متحيرين ولم ندر ماقال. فقال لنا أعرابى إلى جنبه: أمركم أن ترتفعوا. قال الخليل هو من قول الله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال فصعدنا إليه".

فتبين من ذلك أن تفسير الاستواء إلى السماء بالصعود إليها تفسير صحيح. والصعود والارتفاع فعل من أفعال الله تعالى، ولا يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة وصعودها، حتى يقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر، فإن نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين ؟ ! وكذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس .

فلا يجوز نفي ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات، ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات، لاسيما ما لا نشاهده من المخلوقات، فإن ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الأسماء والصفات ليس مماثلًا لما نشاهده منها، فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟ !

وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قيل: إذا كان الله لا يزال عاليًا على المخلوقات..، فكيف يقال: ثم ارتفع إلى السماء وهي دخان؟ أو يقال: ثم علا على العرش؟ قيل: هذا كما أخبر أنه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يصعد، وروي:"ثم يعرج" ، وهو ـ سبحانه ـ لم يزل فوق العرش، فإن صعوده من جنس نزوله. وإذا كان في نزوله لم يصر شيء من المخلوقات فوقه، فهو ـ سبحانه ـ يصعد وإن لم يكن منها شيء فوقه"(٢).

وإن قيل: إن الارتفاع لا يكون إلا من سُفْلٍ إلى علو، والله عال على خلقه فما هذا

---

(١) انظر:مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٣٥٠).

(٢)شرح حديث النزول (ص: ١٤٦-١٤٧)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢١-٥٢٢).

الارتفاع المضاف إلى الله عز وجل؟ قيل: "إن الله لما ذكر أن استواءه إلى السماء كان بعد أن خلق الأرض وخلق ما فيها، تضمن معنى الصعود؛ لأن السماء فوق الأرض، فالاستواء إليها ارتفاع إليها"(١).

الرد على من خالف في معنى استواء الله إلى السماء.

تبين مما سبق أن معنى الاستواء المضاف إلى الله الوارد في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ هو العلو والارتفاع والصعود كما هو المنقول عن غير واحد من أئمة السلف، وخالف في ذلك بعض المفسرين من أهل السنة وغيرهم، ففسروا هذا الاستواء بالإقبال والقصد إلى خلق السماء بعد فراغه تعالى من خلق الأرض، وفيما يأتي ذكر من قال بذلك منهم، وردود علماء السنة على أقوال هؤلاء.

أولا: بيان من قال ذلك من أهل السنة وغيرهم .

تقدم أن قول أكثر السلف في استواء الله إلى السماء هو صعوده وارتفاعه إليها، ومن أهل السنة أيضا: من فسر الاستواء هنا بمعنى القصد الكامل؛ فمعنى: استوى إليها؛ أي: قصد إليها قصداً كاملاً، وأيدوا تفسيرهم هذا بأنها عديت بما يدل على هذا المعنى، وهو "إلى". وإلى هذا ذهب أبو المظفر السمعاني(٢) والبغوي(٣) وابن كثير(٤)، والشوكاني(٥)، السعدي(٦) وابن عثيمين(٧)،

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ١٤٨)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٢).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٣٩).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ١٦٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢١٣)، وانظر: تفسير القرطبي(١/ ٢٥٥).

(٥) تفسير فتح القدير (٤/ ٥٠٧).

(٦) تفسير السعدي (ص: ٤٨، ٧٤٥).

(٧) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها (ص: ٣٧)، العقيدة الواسطية (ص: ٣٨٥)، القواعد المثلى (ص: ٥٢).

ففسروا قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: قصد إلى السماء، وقالوا: الاستواء ها هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بـ "إلى". وهو قول بعض الأشاعرة(١)، وجماعة من النحاة، واللغويين(٢).

ثانيا: بيان بطلان هذا القول:

إن تفسير استواء الله إلى السماء بالقصد والإقبال إليها قول غير صحيح، والصواب: أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، لم يقل أحد من الصحابة شيئًا منها، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث ـ أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة. ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة، وتكون إما غلطًا أو محرفة(٣).

يقول الطبري: "وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾(٤) علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه. فيقال له: زعمت أن تأويل قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ أقبل، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال. ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله."(٥)

---

(١) التبصير في الدين (ص: ١٥٨)، تفسير الزمخشري (١/ ١٥٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٨٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٤٣، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٧)، تفسير البغوي (١/ ٧٨)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، القاموس المحيط (ص: ١٢٩٧)، تاج العروس (٣٨/ ٣٣١).

(٣) انظر: شرح حديث النزول (ص: ٦٢).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٥٧).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن استوى على كذا بمعنى أنه عمد إلى فعله،..لا يعرف قط في اللغة، لا حقيقة ولا مجازًا، لا في نظم ولا في نثر.ومن قال: استوى بمعنى: عمد، ذكره في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾(1).لأنه عدى بحرف الغاية، كما يقال: عمدت إلى كذا، وقصدت إلى كذا، ولا يقال: عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضًا، ولا هو قول أحد من مفسري السلف، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك كما قدمناه عن بعضهم، وإنما هذا القول وأمثاله ابتدع في الإسلام، لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بقدرته ومشيئته واختياره؛ فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم. وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف فلا، بل أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب، لا يعرف لهم فيه قولان، كما قد يختلفون أحيانًا في بعض الآيات. وإن اختلفت عباراتهم فمقصودهم واحد وهو إثبات علو الله على العرش"(2).

والنوع الثاني: استواء الله على العرش بعد خلق السموات والأرض.

فقد ورد استواء الله على عرشه في سبع آيات من القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(3).

الآية الثانية:قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(4).

---

(1) سورة فصلت، الآية: ١١.

(2) شرح حديث النزول (ص: ١٤٦-١٤٧).

(3) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(4) سورة يونس، الآية: ٣.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(١).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٢).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾(٣).

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٤).

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٥).

وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن عدة أمور تتعلق بصفة الاستواء على العرش المضافة إلى الله عز وجل، ومن هذه الأمور: **أحدها**: ثبوت صفة الاستواء لله عز وجل على الوجه الذي ينبغي لجلاله سبحانه. **والثاني**: الإخبار عن وقت حصول هذا الاستواء، وأنه وقع بعد خلق السموات والأرض. **والثالث**: أن هذا الاستواء المعدى "بعلى" مخصوص بالعرش، لأنه لم يرد في الكتاب والسنة استواء لله معدى "بعلى" مضاف إلى مخلوق من مخلوقاته، إلا هذا الاستواء المضاف إلى العرش مما يدل على أن هذا الاستواء خاص بالعرش دون غيره من المخلوقات، وفيما يأتي بيان معنى الاستواء عند السلف، ومنهجهم في إثبات هذه الصفة لله تعالى، مع الرد على من أنكر ثبوت هذه الصفة لله تعالى.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٤.

أولا: بيان معنى الاستواء الوارد في هذه الآيات عند السلف.

إن تفاسير السلف في الاستواء الوارد في هذه الآيات تدور على معان أربعة: أحدها:العلو(١) والثاني: الارتفاع(٢)، والثالث: الصعود(٣)، والرابع: الاستقرار(٤). ولم يثبت عن أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف تفسير الاستواء الوارد في هذه الآيات ما يخالف مقتضى اللغة العربية التي بها نزل القرآن.بل الوارد عنهم أن استواء الله على العرش معناه الارتفاع والعلو والصعود، وقد جمع ابن القيم هذه المعاني في نونيته فقال:

---

(١) قال الإمام البخاري:" قال مجاهد : "استوى" : "علا على العرش"، صحيح البخاري (كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود: ٧]،وانظر:تفسير الطبري (١٣/ ٤١١، ١٦/ ١١، ١٧/ ٤٨٠)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٠)، كتاب العرش للذهبي (٢/ ٤٥٠)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٧).

(٢)صحيح البخاري (كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود: ٧]،وانظر:تفسير الطبري (١٣/ ٤١١، ١٦/ ١١، ١٧/ ٤٨٠).تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٥، ٧/ ٢٢١٦، ٨/ ٢٧١٤).قال إسحاق بن راهوية:"أخبرنا بشر بن عمر، قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقولون﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤] أي: ارتفع".وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤٠).

(٣) لم أقف على أحد فسر الاستواء على العرش بمعنى الصعود إلا أبا عبيدة صاحب مجاز القرآن كما في تفسير البغوي (٢/ ٢٣٥)، والعرش للذهبي (٢/ ١١).

(٤) تفسير الاستواء بالاستقرار وارد عن كثير من السلف، انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص: ٥٠)، تفسير البغوي (٢/ ٢٣٥). مختصر الصواعق (٣/ ٩٢٦). قال ابن تيمية: "قال عبد الله بن المبارك ومن تابعه من أهل العلم وهم كثير: إن معنى استوى على العرش: استقر وهو قول القتيبي." مجموع الفتاوى (٥/ ٥١٩)، شرح حديث النزول (ص: ١٤٥).

ولكن بعض أهل العلم أنكر أن يكور الاستقرار من معاني الاستواء، كالذهبي حيث ذكر أن هذا التفسير لا يعجبه كما في العلو(ص: ٢٦٢)، وكذلك الألباني حيث ذكر أن الاستقرار أمر زائد على العلو وهو مما لم يرد به الشرع، مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ٤٠).

فلهـــم عبـــارات عليهـــا أربـــع　　قـــد حصـــلت للفـــارس الطعـــان
وهـــي اســـتقر وقـــد عـــلا وكـــذلك ار　　تفـــع الـــذي مـــا فيـــه مـــن نكـــران
وكـــذاك قـــد صـــعد الـــذي هـــو رابـــع　　وأبـــو عبيـــدة[١] صـــاحب الشـــيباني[٢]
يختـــار هـــذا القـــول في تفســـيره　　ادرى مـــن الجهمـــي بـــالقرآن[٣]

ثانيا : بيان مذهب السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

مذهب السلف في صفة الاستواء كمذهبهم في سائر الصفات،فهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فيثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل[٤].

قال أحمد بن حنبل: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى

(١)أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي الإمام العلامة البحر، من أئمة العلم بالأدب واللغة ولد سنة ١١٠هـ بالبصرة وتوفي بها سنة ٢٠٩هـ، له مصنفات منها: مجاز القرآن وإعراب القرآن، والأمثال، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٥/ ٢٣٥-٢٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥)

(٢)هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني صاحب العربية الكوفي ، وراوية أهل بغداد كان واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث كثير السماع، وله كتب كثيرة في اللغة جياد. مات في أيام المأمون ما بين ٢٠٥- ٢٠٦هـ وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٤٠)، . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٢/ ٦٢٥).

(٣)نونية ابن القيم (ص: ٧٨).

(٤) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦٣).

والصفات العليا ويعلمون أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)]. لا في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله[(٢)] .

وبناء على هذا فإن مذهب السلف في صفة الاستواء:هو إثبات استواء الله على عرشه استواءاً يليق بجلاله وعظمته، وكبريائه، وهو بائن من خلقه،وعلمه محيط بجميع مخلوقاته،

ولا تخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء. وأما منهجهم في إثبات هذه الصفة لله تعالى فإنه مبني على أمرين.

أحدهما: تحقيق معنى الاستواء. وإثباته لله تعالى كما أثبته لنفسه.

سبق بيان تفاسير السلف في استواء الله على عرشه، وأنهم فسروا الاستواء على ما تقتضيه اللغة العربية التي نزل القرآن بها، فبينوا أن استواء الله على عرشه هو علوه تعالى وارتفاعه على عرشه،فتبين من ذلك أن معنى الاستواء معلوم في لغة العرب، ولا يجهله أحد منهم، لأن الله خاطب عباده في القرآن بكلام عربي مبين.

ولهذا قال الإمام مالك حين سئل عن كيفية استواء الله على عرشه:"الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[(٣)].

وقد بوب ابن خزيمة بابا في استواء الله على عرشه فقال: "باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء، على عرشه فكان فوقه، وفوق كل شيء عاليا كما أخبر الله جل وعلا". ثم ساق الأدلة الدالة على استواء الله على عرشه من القرآن الكريم، ثم قال:" فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية"[(٤)].

---

(١) سورة الشورى،الآية: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٤١)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١١٥)، وفي الأسماء والصفات(٢/ ٣٠٥).

(٤)التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

وهذا الكلام من هذا الإمام دليل على عمق فهم السلف في كتاب الله، ويتضح من كلامه أنه لا يجوز لأحد أن يفسر الاستواء إلا بما تعرفه العرب من كلامها، لأن الله هو الذي خاطب العرب بهذا، والله لا يخاطب عباده بما لا يفهمونه.

وفي هذا يقول ابن عبد البر: "وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه"(١).

ولما كان الاستواء معهودا عند العرب ومفهوما لديهم فإن السلف أثبتوه كما هو مقتضى اللغة التي نزل بها القرآن، فلم ينكروه ولم يؤولوه ولم يحرفوه، بل أبقوه على ظاهره، وأثبتوه لله عز وجل على وجه يليق بجلاله.

يقول القرطبي:"ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم- يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة... والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار"(٢).

والمقصود هنا بيان أن هذا الاستواء المضاف إلى الله تعالى معناه معلوم عند العرب وهو العلو والارتفاع، ولكن لما أضيف إلى الله صار استواء خاصا به كما يليق بجلاله.

ولا يُظن أن استواء الله على عرشه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك لأنه ليس في هذا اللفظ ما يدل على ذلك؛ لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته، فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته وإنما ذكر استواء أضافه إلى نفسه الكريمة(٣).

فإذا كان له ذاتا حقيقة لا تماثل الذوات. فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت له كما يليق به سبحانه، وهو

---

(١)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٩).

(٣) انظر:مجموع الفتاوى (٣/ ٥٠).

متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم(١).

ولا يظن أيضا أن استواء الرب تبارك وتعالى على العرش افتقاره إليه، بل الرب سبحانه مستغن عن الخلائق كلها، ولا يزال مستغنياً عنها"وإنكان عالياً عليها، فعلوه على العرش وعلى غيره من المخلوقات لا يوجب افتقاره إليه، فإن السماء عالية على الأرض وليست مفتقرة إليها، والهواء عال على الأرض وليس مفتقرا إليها، وكذلك الملائكة عالون على الأرض وليسوا مفتقرين إليها، فإذا كان المخلوق العالي لايجب أن يكون مفتقراً إلى السافل، فالعلي الأعلى، الخالق لكل شيء والغني عن كل شيء، أولى أن لا يكون مفتقراً إلى المخلوقات مع علوه عليها"(٢).

والثاني: عدم تكييف استواء الله على العرش والتوقف عن البحث عنه.

وذلك لأن معرفة كيفية الاستواء فرع عن معرفة كيفية الذات، وهذا مما لم ينطق به الشرع الحكيم، فالكلام عن ذلك والخوض فيه إنما هو تخرص وظنون وقول على الله بلا علم.

وعدم البحث عن كيفية الاستواء هو عين الرسوخ في العلم لأنه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، والواجب في ذلك الإيمان به كما جاء.وذلك هو المنصوص في آي الكتاب كما قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٣).

ولهذا فإنه لما سئل مالك عن كيفية الاستواء أجاب بطريقة القرآن فقال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب"، وقول الإمام مالك هذا موافق لقول

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣١٣).

(٣) سورة آل عمران،الآية: ٧.

غيره من السلف في الجهل عن الكيفية، فهم كانوا يردون علم الكيفية إلى الله سبحانه، كما هو المأثور عن غير واحد من السلف أنهم كانو يقولون في نصوص الصفات:"أمروها كما جاءت بلا كيف"(١).

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن قول الإمام مالك: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب" موافق لقول الباقين: "أمروها كما جاءت بلا كيف" فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة. ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول" ولما قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف"،فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم. وأيضا: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضا: فإن من ينفي الصفات الخبرية - أو الصفات مطلقا - لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف.

وأيضا: فقولهم: "أمروها كما جاءت" يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان؛ فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد؛ أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول "(٢).

ومراد السلف بقولهم: "**بلا كيف**"، أي بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر،

---

(١) انظر:المراسيل لأبي داود(ص: ١١٢)، الشريعة للآجري (٣/ ١١٤٦). والإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ٢٤١) وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي(٣/ ٥٨٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٧)، والإعتقاد للبيهقي(ص١١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤١-٤٢).

ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.(١)

فتبين مما سبق أن إثبات السلف جهل كيفية الاستواء لا يعني إنكار حقيقته، لأن نفي الشيء غير نفي العلم به، ولم يقل مالك: الكيف معدوم وإنما قال الكيف مجهول، والجهل عن كيفية الاستواء لا يقدح في الإيمان به.

ولهذا فإن السلف والأئمة نفوا علمنا الآن بكيفيته ،كقول مالك رحمه الله:"الاستواء معلوم والكيف مجهول" لم ينفوا أن يكون في نفس الأمر له حقيقة يعلمها هو (٢).

ولما لم يكن في الشرع ما يدل على كيفية الاستواء فإن السلف رضوان الله عليهم لم يكونوا يتكلفون في البحث عنه، والخوض فيه، وهذا مقصود الإمام مالك "والسؤال عنه بدعة" ، وذلك لأن المذهب الصحيح في جميع نصوص الصفات هو الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف. وإلى هذا ذهب المتقدمون من السلف ومن تبعهم من المتأخرين، وقالوا: الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية، ووردت به الأخبار الصحيحة، فقبوله من جهة التوقيف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز(٣).

وكلما لم ينزل الوحي بذكره ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله ومخزون غيبه وخفي أقداره فليس للعباد أن يتكلّفوا من علمه ما لا يعلمون، ولا يتحمّلوا من نقله ما لا يطيقون(٤).

ومن خالف نهج السلف في السكوت عما سكت عنه الشارع وتكلف في البحث عن الأمور الغائبة فليس يزداد على المضي في ذلك إلاّ بعداً، ولا على دوام النظر في ذلك إلاّ تحيُّراً، فإن تمادى واستمروقع في بحور المنازعة وأمواج المجادلة وفتح على نفسه أبواب الكفر بربه والمخالفة لأمره والتعدي لحدوده، وانتهاك حرماته(٥) كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٣٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٣-٤).

(٣)الاعتقاد للبيهقي (ص: ١١٥).

(٤) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الأول (١/ ٤٢٠).

(٥)انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الأول (١٤٢٠).

﴿ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

ثالثا: الرد على من خالف نهج السلف في استواء الله على عرشه.

المخالفون لمنهج السلف في إثبات صفة الاستواء طائفتان: معطلة ومشبهة(٢)، وهؤلاء لما شاقوا الله ورسوله، وتركوا سبيل المؤمنين ضلوا عن سواء السبيل، فاختلفوا فيما ذهبوا إليه، فالمؤولة اختلفوا في تأويلهم، فمنهم من أول معنى الاستواء بالاستيلاء والغلبة والقهر، ومنهم من أوله بالقصد والإقبال، ومنهم من أوله بعلو المكانة والقهر(٣).

والمشبهة غلوا في الإثبات، فشبهوا استواء الله على عرشه باستواء مخلوقاته، وخاضوا في ذلك واختلفوا في تشبيههم وتكييفهم للاستواء، فمنهم من يقول إن الله استوى على بعض العرش، ومنهم من يقول استوى على جميع العرش وهو مماس للعرش، ومنهم من يقول إن العرش امتلأ به، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وفيما يأتي توضيح أقوال هؤلاء وذكر القائلين به، مع بيان بطلانها ومجانبتها للحق والصواب.

الطائفة الأولى: المشبِّهة.

وهم الذين يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين، كقول بعضهم: لله سمع كسمعي وبصر كبصري. واستواء كاستوائي، ونحو ذلك مما يتنزه عنه الباري سبحانه(٤).وأشهر فرقهم الهشامية(٥)من الروافض، والكرامية(١). وهؤلاء لما شبهوا الله بخلقه أثبتوا له ما للمخلوق من الصفات وزعموا أنهم لا يفهمون من صفة الاستواء إلا كاستواء الأجسام على الأجسام(٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) انظر:مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٧٨)، الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٧٣).

(٣) كما سيأتي توضيح ذلك عند الكلام عن الطائفة الثانية وهم المعطلة.

(٤) انظر:بيان تلبس الجهمية (٨/ ٥٤٠)، الرسالة التدمرية (ص: ٣٠)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٦).

(٥) هم أصحاب هشام بن عبد الحكم الرافضي من الإمامية، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحيانا، من الإمامية المشبهة. انظر:المقالات (ص: ٣٤) ، الملل والنحل (١/ ١٨٤)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٧٥-٥٧٦).

وذكروا أنه تعالى إذا كان مستويا على العرش فاستواؤه كاستواء الإنسان على السرير والفلك، إذ لا يعلم الاستواء بزعمهم إلا هكذا(٣).

وبناء على قاعدتهم في تشبيه الخالق بالمخلوق، فإنهم تعمقوا في الكلام عن كيفية الاستواء، وخاضوا في ذلك مع الخائضين، تقولا على الله بلا علم(٤).

وسبب تكييف هؤلاء المشبهة صفة استواء الله على عرشه وخوضهم في تفاصيل ذلك مبني على قولهم إن الله جسم(٥)، فلما أطلقوا على الله تعالى هذا اللفظ المبتدع جرهم ذلك إلى ما رأوه لازما له من المماسة والملاقات ونحوها من الألفاظ المجملة.

ولما قاسوا استواء الله على استواء المخلوق هان عليهم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا!!!

بيان بطلان مقالة المشبهة.

إن مقالة المشبهة في استواء الله على عرشه وتكييفهم له ما هي إلا نتيجة غلوهم في نصوص الشرع الواردة في صفات الله عز وجل، حيث وصفوا الله تعالى بما لم يصفه على نفسه ولم يصفه عليه رسوله ﷺ، وقد تقدم فيما سبق أن منهج السلف في صفات الباري سبحانه هو:

---

(١) هم أصحاب محمد بن كرام وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي: العابدية، والنونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. انظر: الملل والنحل (١/١٠٨-١٠٩) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢١).

(٢) انظر:مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٨،٣٣/ ١٧٥)، الفتاوى الكبرى(٦/ ٤٧٠).

(٣) انظر:الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٦٩)، مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨).

(٤) انظر:مقالات الإسلاميين (ص:٢١٠-٢١١)، الفرق بين الفرق (ص:٢١٦، ٢٣١)، الملل والنحل (١/ ١٠٨- ١٠٩، ١٨٤)،). تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص:١٥٠)،بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٧٥-٥٧٧، ٥/ ٣٣٨- ٣٤١) مقدمة محمد بن خليفة التميمي على كتاب العرش للذهبي (١/ ٢١٥-٢١٧)، مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها. للدكتور جابر أمير (١/ ٤١٦٠-٤١٨).

(٥) الملل والنحل(١/ ١٠٩)، وانظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٧٠).

إثباتها لله تعالى كما وردت في نصوص الشرع من دون تحريف ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن دون تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

والفِرق المشبهة خالفوا نهج السلف في إثبات الصفات لله، فأثبتوا الصفات لله تعالى مع تكييفها وتشبيهها، بينما كان منهج السلف الاقتصار على ما ورد به النص على وجه يليق بالله تعالى، والمقصود هنا بيان أن مقالة المشبهة في استواء الله على عرشه مقالة باطلة وذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن هذه المقالة لا مستند لها لا من العقل ولا من النقل، وإنما هي مبنية على التخرص والظنون، وقياس الخالق على المخلوق، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[(١)].

ومما يدل على أنه لا دليل لهم على مقالتهم اختلافهم وتناقض آرائهم في كيفية استواء الله على عرشه كما سبق بيانه. وهذا مآل من لا يستنير بنور الهدى الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[(٢)].

الوجه الثاني: أن كل ما أضيف إلى الله تعالى من وصف ولم يكن له مستند من الشرع فهو تقول على الله تعالى بلا علم، والتقول على الله تعالى قرين الشرك كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

الوجه الثالث: أن هذه المقالة فيها تشبيه الخالق بالمخلوق، وقد بين تعالى أنه لا يماثل مخلوقاته، كما قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٤)] وقال: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[(٥)].وقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٦) سورة الإخلاص، الآية: ٣ – ٤.

ففي هذه الآيات يثبت تعالى لنفسه صفات تليق به وينفي عنها التشبيه والتمثيل، ويخبر أنه ليس له كفؤ ولا شبيه، ولا عدل ولا مثيل، فمن شبهه بخلقه فقد كذب بآيات ربه وافترى، وضل عن الحق وسبل الهدى، وكفر بربه العلي الأعلى، كما بين ذلك أهل العلم والتقى.

يقول نعيم بن حماد(١): "من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه"(٢).

ويقول الإمام الدارمي في معرض رده على بشر المريسي الذي توهم التشبيه من إثبات صفة الاستواء:"..أيها المريسي، لا يقال: إن الله على عرشه كمخلوق على مخلوق، ولكنه ملك كريم خالق غير مخلوق، على عرش عظيم مخلوق جسيم، على رغم أنفك وأنت ملوم، فمن لم يؤمن به أنه كذلك فقد كفر بما أنزل الله، وجحد آيات الله، ورد أخبار الرسول ﷺ، وقولك: ككذا على كذا، وكمخلوق على مخلوق" تشبيه ودلسة، وكلفة لم نكلف ذلك في ديننا"(٣).

فإذا تبين هذا فليعلم أن لله تعالى استواء على عرشه حقيقة، وللعبد استواء على الفلك حقيقة، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين، فإن الله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء بل هو الغني عن كل شيء. والله تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته، ويمسك السموات والأرض أن تزولا، والله بكل شيء عليم (٤).

الطائفة الثانية: المعطلة.

---

(١) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث أبو عبد الله الخزاعي المروزي الحافظ الفقيه، أحد الأئمة الأعلام، كان رحمه الله شديدا على الجهمية، توفي سنة ٢٢٨هـ على الصحيح. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٥١٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١٠٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ٧١٠)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه اللالكائي فيشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص: ١٧٢)،وفي كتاب العرش(٢/ ٣٠٥)، وصحح إسناده عن حماد، وصحح إسناده أيضا الشيخ ناصر الدين الألباني فقال: (قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون). مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٨٤).

(٣) رد الدارمي على بشر المريسي (١/ ٤٣٥-٤٣٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٩).

إن أول من قام بتأويل الاستواء وتعطيله عن معناه هو جعد بن درهم[١]، وكل من أتى بعده فقد انتهج نهجه، واحتذى حذوه، فهو إمام المؤولة وسابق أسلافهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأنَّ استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان[٢]وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه."[٣].وأصل مقالتهم في تأويلهم للاستواء هو فرارهم من التشبيه والتجسيم،وإنكارهم نسبة الأفعال الاختارية إلى الله تعالى[٤]، ولكنهم لما نفوا استواء الله على عرشه، -بحجة التشبيه والتجسيم بزعمهم- فإنهم وقعوا بأشد مما فروا منه، فعطلوا الله تعالى عن صفاته.

ولما كان هذا المسلك الذي سلكوه في تأويل الاستواء غير مبني على أدلة شرعية ولم يكن له شاهد صحيح من لغة العرب، فقد تعددت أقوالهم، واختلفت في المعنى الذي يجب أن يؤول إليه لفظ الاستواء. فمنهم من أول معنى الاستواء بالاستيلاء والغلبة والقهر، ومنهم من أوله بالقصد والإقبال[٥]، ومنهم من أوله بعلو المكانة والقهر[٦]. وهذه أشهر مذاهب

---

(١) الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار، مبتدع ضال، هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، وأول من تفوه بأن الله لا يتكلم، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. توفي سنة ١٢٤هـ انظر:=سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣). تاريخ الإسلام(٣/ ٢١٨)، ميزان الاعتدال(٣/ ٣٩٩)، البداية والنهاية (١٣/ ١٤٧).

(٢) هو جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي،المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة.كان ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن، ويزعم أنا لله ليس على العرش بل في كل مكان، فقيل: كان يبطن الزندقة، والله أعلم بحقيقته. تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٩).

(٣) الفتوى الحموية الكبرى(ص: ٢٣٢)، مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى(٣/ ٨١).

(٥) تقدم بيان بطلان هذا التأويل عند الكلام عن معنى استواء الله إلى السماء بما أغنى عن إعادته هنا.

(٦) وهذا من أقوال متأخري الأشاعرة كما صرح به البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٩)، وبطلان هذا القول سبق بيانه عند الرد على منكري صفة العلو فليراجع هناك.

المؤولة لنصوص الاستواء، ولا شك أن أقوالهم هذه باطلة لأنه إخراج لمعنى الاستواء عن حقيقته المعهودة في لغة الرب إلى معان لا أصل لها.وهؤلاء يشملهم وصف التعطيل لأنهم أنكروا أن يكون الله استوى على عرشه استواء يليق بجلاله، ولهم في تعطيل صفات الله مسلكان، مسلك التأويل، ومسلك التفويض.

المسلك الأول: مسلك تفويض معنى الاستواء .

ومن طوائف المعطلة: المفوضة الذين زعموا عدم معرفة معنى الاستواء، فأثبتوا الاستواء على ما ورد به النص ونفوا سائر المعاني اللازمة للاستواء من العلو والرفعة، فإثباتهم للاستواء هو إثبات لفظ فقط دون معنى..وهذا مسلك طائفة من متأخري الأشاعرة [١]، وهو اختيار البيهقي[٢]، ونسبوا هذا المسلك إلى علماء السلف كما فعله الجويني[٣].

بيان بطلان هذا المسلك.

إن القول:" تفويض معاني الصفات هو منهج السلف" قول باطل ،لأن السلف فوضوا إلى الرب علم كيفياتها كما قال مالك وغير واحد من علماء السلف:" الاستواء معلوم والكيف مجهول ...، وأما فهم معناها وتفسيرها فلم يكن السلف ينكرونه ولا كانواينكرون التأويل بهذا المعنى وإنما أنكروا تأويلات أهل التعطيل التي هي تحريف الكلم عن مواضعه فكانوا ينكرون على من يتأول القرآن على غير تأويله كما صنف الإمام أحمد كتابه في الرد على من تأول القرآن"[٤].

ولهذا فإن نسبة هذا القول إلى أئمة السلف كذب وافتراء على منهجهم، فقد سبق بيان تحقيقهم لمعنى الاستواء، كما قال مالك الاستواء معلوم، وتبين مما سبق أيضا: أنهم إنما كانوا يفوضون كيفية الصفات لا معاني الصفات،والمقصود هنا بيان أن السلف كانوا يفسرون نصوص الصفات وكانوا لا يتوقفون في معانيها.

---

(١)انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٠-١٠١).

(٢) الاعتقاد للبيهقي(ص: ١١٧)، وانظر : كتاب الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٨).

(٣) العقيدة النظامية لجويني(ص: ٣٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٠-١٠١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٥٤٥).

يقول شيخ الإسلام: "وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته"(١).

ويقول ابن القيم:"تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم.

وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية"(٢).

وبهذا يتبين أن القول "إن مذهب السلف هو تفويض معاني الصفات" كذب صريح على السلف، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك"(٣).

المسلك الثاني: مسلك تأويل معنى الاستواء.

تقدم فيما سبق أن المؤولة لما انحرفت عن منهج السلف في نصوص الصفات تعددت مسالكهم في تفسيرها، وكثرث أقوالهم في ذلك، وسبق التنويه أيضا: ببعض مسالكهم في صفة الاستواء، وبيان أهل العلم فيما أخطؤوا فيه. وأكثر مذاهب المؤولة ذيوعا هو مذهب القائلين إن الاستواء معناه الاستيلاء، والغلبة والقهر.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٥).

(٢) مختصر الصواعق(٣/).

(٣) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٩)، الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٣٠).

وهذا ما ذهب إليه كثير من الجهمية(١)، والمعتزلة(٢)، والخوارج(٣)، وعامة متأخري الأشاعرة(٤).

وهذا المسلك باطل من وجوه:

الوجه الأول:أن هذا التأويل مخالف لمعنى الاستواء في اللغة العربية.

لأنه لم يرد في لغة العرب ما يدل على أن استوى تأتي بمعنى استولى، فقد سبق بيان أن هذه اللفظة تأتي مطلقة ومقيدة،فإذا كانت مطلقة دلت على تمام الشيء وكماله.

وإذا كانت مقيدة بـ"على وإلى" دلت على العلو والارتفاع، وإذا كانت مقيدة بـ"واو مع" دلت على المساواة بين الشيئين، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلام العرب وليس فيها معنى استولى البتة،ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد على قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق الجهمية والمعتزلة(٥)،

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة (ص: ٥٠)، الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٠)، التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٣)، الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٠٨)،وانظر: مجموع الفتاوى(٥/ ٩٦)، بيان تلبيس الجهمية(٣/ ٣٣٢(درء تعارض العقل والنقل(٦/ ١٩٩)اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ٢٩٥).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٥٧، ٢١١)، الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٠٨)، وانظر: مجموع الفتاوى(٥/ ٩٦)، بيان تلبيس الجهمية(٣/ ٣٣٢(درء تعارض العقل والنقل(٦/ ١٩٩(اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ٢٩٥).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٠٨)، وانظر: مجموع الفتاوى(٥/ ٩٦)، بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٣٢)، درء تعارض العقل والنقل(٦/ ١٩٩)، اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ٢٩٥).

(٤) قال الإيجي:"لما وصف تعالى بالاستواء في قوله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه: ٥]: اختلف الأصحاب فيه فقال الأكثرون هو الاستيلاء ويعود إلى القدرة" المواقف الإيجي (٣/ ١٤٤)، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص: ٤٠)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ١٤١). هذا ما ذهب إليه متأخروا الأشاعرة، وأما متقدموهم فإنهم يثبتون صفة الاستواء لله تعالى، وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالي الجويني كما في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٧-١٨).

(٥) انظر:زاد المسير في علم التفسير(٢/ ١٢٨)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٨٩).

ولهذا أنكر أهل اللغة هذا التأويل لما سمعوه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب[١].

بل قالوا: "لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعا مغالبا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى؛ والله لم ينازعه أحد في العرش، فلو ثبت استعماله في هذا المعنى الأخص مع النزاع في إرادة المعنى الأعم لم يجب حمله عليه بمجرد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم فيه وهؤلاء ادعوا أنه بمعنى استولى في اللغةمطلقا، ولم يرد في الشرع ما يدل على قولهم [٢].

فإن القرآن نزل بلسان العرب، وقد جرت سنة الله في الكون أن يخاطب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها كما قال:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[٣] ، فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوما كان هو المراد، لكون الخطاب بلسانهم، وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم، فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه كان بمنزلة خطاب العربي بالعجمية[٤].

الوجه الثاني:أن هذا التأويل مخالف لظاهر النصوص وإجماع السلف.

أما مخالفته لظاهر النصوص فلأن ظاهر اللفظ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[٥]. ليس فيه استولى، وقد ورد هذا اللفظ في سبعة مواضع من القرآن ولم يختلف سياقه مما يدل على أن مراد الشارع من هذا اللفظ هو ظاهره[٦].

وأما مخالفته لإجماع السلف، فوجه ذلك:أن كثيرا من العلماء نقلوا إجماع السلف على أن معنى الاستواء هو العلو والارتفاع، وأنه يحمل على الحقيقة لا على المجاز[٧]،"ولم ينكر أحد

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٠-٨٩١).

(٢) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٧).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٩).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٦) انظر:مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٢).

(٧) انظر:التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٥)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦/ ٢٥١)، كتاب العلو للذهبي (ص: ٢٤٦)، مختصر الصواعق المرسلة(٣/ ٩٠٠)،شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/ ٢٣٤).

من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته"[١].

ولما كان هذا التأويل مخالفا لإجماع السلف فإنه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأً،ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف[٢].

الوجه الثالث: أن هذا التأويل مبني على بيت مجهول لا يعرف قائله.

وهو قول الشاعر : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق[٣]

وهذا بيت مصنوع لا يعرف قائله، كما بينه علماء السلف[٤]، "ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة"[٥].

وفي هذا يتبين أنه لو صحت نسبته إلى قائله لم يكن فيه حجة لمخالفته لغة العرب ولمخالفته ظاهر القرآن وتفاسير السلف، يقول ابن تيمية: "أنه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العرباء ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء لم يجب أن يكون

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٩-٢٢٠)، ونقله ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٠)، و ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٣/ ٩٠١)، والذهبي في العلو (ص: ٢٦٧).

(٢) انظر:مختصر الصواعق المرسلة (٨٩٢).

(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٨٥)، زاد المسير في علم التفسير(٢/ ١٢٨)، تفسير القرطبي(٧/ ٢٢٠)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٠)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٤١).

(٤)انظر:مختصر الصواعق المرسلة(٣/ ٨٩١).

(٥)انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٧٥)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٤١، ١٣/ ٤٤).

من لغة رسول الله ﷺوقوله؛ ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة وهو الذي يراد به ولا يجوز أن يراد معنى آخر"[١].

الوجه الرابع: أن تفسير الاستواء بالاستيلاء يلزم منه لوازم باطلة منها:

أولا: وجود مضاد لله في خلقه، فإن الاستيلاء على الشيء لا يكون إلا بعد المغالبة والممانعة، فقولهم "استوى الله على العرش معناه قهره وملكه،واستولى عليه "[٢]يلزم منه وجود أحد غالب الله في عرشه حتى غلبه وقهره – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[٣].

وفي هذا يتبين أنه لا يجوز أن يقال:"استوى بمعنى استولى" إلا في حق من كان عاجزا ثم ظهر والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال فامتنع أن يكون بمعنى استولى[٤].

ثانيا: إذا قيل هو مستوٍ على جميع الخلق.

فإنه يلزم منه أن يكون مستويا على الحشوش والأخلية لكونها من المخلوقات، وهذا ما لم يقل به أحد في قلبه إسلام وإيمان.وبناء على هذا فإنه"لا يجوز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها"[٥].

وجماع الكلام في مسألة الاستواء أن يقال: انقسم الناس في هذه المسألة على أقسام ثلاثة: **معطلة[٦] جهمية،**

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٧).

(٢) انظر:الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص:١٠٩).

(٣) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٧).مختصر الصواعق (٣/ ٨٩١).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦).

(٥) الإبانة عن أصول الديانة (٢/ ١٠٩)، ونقله ابن القيم في الصواعق المرسلة(٤/ ١٢٤٥)، وانظر: مختصر الصواعق (٣/ ٩١١-٩١٢).

(٦) المعطلة النافية: هم الذين ينكرون صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول اللهﷺ في الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة. انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٠٢، ٢١٢)، شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/ ١٠٠).

ومشبهة مجسمة[١]، **ومثبتة سلفية**: فأما من يفسر استواء الله استواء كاستواء مخلوق أو يفسر باستواء يستلزم حدوثا أو نقصا فهذا هو الذي يحكى عن الضلال المشبهة والمجسمة وهو باطل قطعا بالقرآن وبالعقل.

وإما أن يقال: ما ثم استواء حقيقي أصلا ولا على العرش إله ولا فوق السموات رب فهذا هو مذهب الجهمية الضالة المعطلة وهو باطل قطعا بما علم بالاضطرار من دين الإسلام لمن أمعن النظر في العلوم النبوية وبما فطر الله عليه خليقته من الإقرار بأنه فوق خلقه كإقرارهم بأنه ربهم.

أو يقال: استوى سبحانه على العرش على الوجه الذي يليق بجلاله ويناسب كبرياءه وأنه فوق سمواته وأنه على عرشه بائن من خلقه مع أنه سبحانه هو حامل للعرش ولحملة العرش، وأن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وهذا مذهب المسلمين وهو الظاهر من لفظ استوى عند عامة المسلمين الباقين على الفطرة السالمة التي لم تنحرف إلى تعطيل ولا إلى تمثيل.

لهذا لا يقدر أحد أن يحكي عن أحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من سلف الأمة بنقل صحيح أنه تأول الاستواء بالاستيلاء أو نحوه من معاني أهل التحريف، بل ينقل عنهم أنهم فسروا الآية بما يقتضي أنه سبحانه فوق عرشه[٢].

---

(١) المشبهة هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق أو يشبهون صفات الخالق بصفات المخلوق وهم طوائف شتى منهم الهشامية والكرامية وغيرهم. انظر: مقالات الإسلاميين (ص:٢١٠-٢١١)، الفرق بين الفرق (ص: ٢١٤-٢٣١)، الملل والنحل (١/ ١٨٤)، بيان تلبس الجهمية (٨/ ٥٤٠)، الرسالة التدمرية (ص: ٣٠)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٦).شرح الطحاوية (٢/ ٧٩١).

(٢)انظر:جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٥٨)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٧٤).

المطلب الرابع

هل يخلو العرش

تقرر فيما سبق بيان عقيدة السلف في استواء الله على عرشه، وأنهم يثبتون له هذه الصفة كما ينبغي لجلاله، وتقرر أيضا أن من عقيدتهم أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة،فلما كان الاستواء هو العلو والارتفاع والصعود على العرش، وكان النزول إلى السماء الدنيا عكس ذلك ، بحث علماء السلف في كيفية التوفيق بين المسألتين، لأن العقل البشري القاصر يتوهم أن الله إذا نزل إلى السماء الدنيا خلا من العرش!!!

ولما لم يرد نص من كتاب الله أو خبر عن رسوله ﷺ في حال العرش عند النزول الإلهي هل يخلو من الله أو لا، فإن علماء السلف اختلفوا في بحث هذه المسألة والكلام عنها على ثلاثة أقوال[1]: فقال بعضهم: إن العرش يخلو منه حال النزول، وقال بعضهم: إن العرش لا يخلو منه، وتوقف آخرون في البحث عن هذه المسألة لكونها من الأمور الغيبية التي لم ينطق بها الشارع بنفي ولا إثبات. وفيما يأتي ذكر هذه الأقوال والقائلين به من أهل السنة والجماعة.

القول الأول: أن الله ينزل ويخلو منه العرش.

والقائلون بأنه ينزل ويخلو منه العرش طائفة قليلة من أهل الحديث، ولم ينقل عن أحد من أئمة السنة المعروفين أنه قال بهذا القول، بل المعروف عنهم أنهم يقولون عكس ذلك[2] كما سيأتي.وأما هذا القول فهو مأثور عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن منده[3]، وعمدته فيما ذهب إليه هو ظاهر النصوص الواردة في النزول الإلهي إلى السماء الدنيا، مع ما ورد عن السلف

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ٤٣)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٢،٣٤٢-٢٤٣،٣٨٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٢٣)، شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص: ٢٧٤)، مقدمة التميمي لكتاب العرش للذهبي (١/ ٢٢٣).

(٢) شرح حديث النزول (ص: ٥٤).

(٣) قال شيخ الإسلام:"وقد صنف أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن محمد بن منده مصنفًا في الإنكار على من قال: لا يخلو منه العرش، وسماه: (الرد على من زعم أن الله في كل مكان، وعلى من زعم أن الله ليس له مكان، وعلى من تأول النزول على غير النزول)". شرح حديث النزول (ص:٤٣).

من مطلق مشيئته تعالى، وأنه يفعل ما يشاء، وفهم من تلك النصوص أن النزول لا يتم إلا إذا كان تفريغ مكان وشغل مكان آخر. كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وكلامه من جنس كلام طائفة تظن أنه لا يمكن إلا أحد القولين: قول من يقول: إنه ينزل نزولًا يخلو منه العرش. وقول من يقول: ما ثم نزول أصلًا كقول من يقول: ليس له فعل يقوم بذاته باختياره.

وهاتان الطائفتان ليس عندهما نزول إلا النزول الذي يوصف به أجساد العباد الذي يقتضى تفريغ مكان وشغل آخر. ثم منهم من ينفي النزول عنه، ينزهه عن مثل ذلك. ومنهم من أثبت له نزولًا من هذا الجنس، يقتضى تفريغ مكان وشغل آخر، فأولئك يقولون: هذا القول باطل، فتعين الأول، كما يقول من يقابلهم: ذلك القول باطل فتعين الثاني. وهو يحمل كلام السلف يفعل ما يشاء على أنه نزول يخلو منه العرش، ومن يقابله يحمله أن المراد مفعول منفصل عن الله.

وفي الجملة، فالقائلون بأنه يخلو منه العرش طائفة قليلة من أهل الحديث. وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش، وهو المأثور عن الأئمة المعروفين بالسنة، ولم ينقل عن أحد منهم بإسناد صحيح ولا ضعيف أن العرش يخلو منه"[1].

فإذا لم يقل بهذا القول أحد من أئمة السنة، ولم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة، كان بطلانه بينا ظاهرا، لأنه يناقض الأدلة الدالة على علو الله على خلقه، والنصوص الواردة في استواء الله على عرشه، ولهذا قال غير واحد من أئمة السلف: إنه ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يخلو العرش منه، فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط، بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق، فلا يكون الرب إلا عاليا عليه[2] وأما استدلال أصحاب هذا القول بأحاديث النزول على هذه المسألة فهو استدلا باطل من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا القول يفضي إلى تشبيه النزول الإلهي بنزول المخلوقين.

وذلك أنه لا يصح استلالهم بهذه الأحاديث إلا إذا جعل نزوله من جنس نزول الأجسام من

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ٥٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/ ٣١٧).

العلو إلى السفل، وهذا باطل قطعا لأن الله ليس كمثله شيء.

يقول شيخ الإسلام في معرض رده على من تأول بأحاديث النزول على هذه المسألة ونحوها:"وهذا قد احتج به طائفة ـ وجعلوا هذا دليلًا على ما يتأولون عليه حديث النزول. وهذا الذي ذكروه إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال: يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته! فإذا قدر النزول هكذا كان ممتنعًا؛ لما ذكروه من أنه لا يزال تحت العرش في غالب الأوقات أو جميعها."(١)

وفي هذا يتبين أن هذا الاستدلال لا يستقيم إلا إذا أريد بظاهر الأحاديث ما يظهر لهؤلاء ونحوهم من أنه ينزل إلى أسفل فيصير تحت العرش كما ينزل الإنسان من سطح داره إلى أسفل. وعلى قول هؤلاء لا يبقى حينئذ العلي ولا الأعلى بل يكون تارة أعلى وتارة أسفل – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا(٢).

ومما يبطل هذا الاستدلال أيضا: أن النزول الإلهي إنما يكون في الثلث الليل الأخير، وثلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فثلث الليل بالمشرق يختلف عن ثلث الليل بالمغرب، وهكذا.

وحينئذ فالنزول الإلهي لكل قوم هو مقدار ثلث ليلهم فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشمال والجنوب كما اختلف في المشرق والمغرب. وأيضا فإنه إذا صار ثلث الليل عند قوم؛ فبعده بلحظة ثلث الليل عند ما يقاربهم من البلاد؛ فيحصل النزول الإلهي الذي أخبر به الصادق المصدق أيضا عند أولئك إذا بقي ثلث ليلهم وهكذا إلى آخر العمارة. فلو كان كما توهمه الجاهل من أنه يكون تحت العرش وتكون فوقه السماء وتحته السماء؛ لكان هذا ممتنعا من وجوه كثيرة:

منها:أنه لا يكون فوق العرش قط بل لا يزال تحته.

ومنها: أنه يجب على هذا التقدير أن يكون الزمان بقدر ما هو مرات كثيرة جدا ليقع كذلك.**ومنها**: أنه مع دوام نزوله إلى سماء هؤلاء إلى طلوع فجرهم إن أمكن مع ذلك أن

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ١٠٦)، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠٧)،

يكون قد نزل على غيرهم أيضا ممن ثلث ليلهم يخالف ثلث هؤلاء في التقديم والتأخير والطول والقصر. فهذا خلاف ما تخيلوه فإنهم لا يمكنهم أن يتخيلوا نازلا كنزول العباد من يكون نازلا على سماء هؤلاء ثلث ليلهم وهو أيضا في تلك الساعة نازلا على سماء آخرين مع أنه يجب أن يتقدم على أولئك أو يتأخر عنهم أو يزيد أو يقصر(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"فما ذكر من تقدم اختلاف الليل في البلاد، يبطل قول من يظن أنه يخلو منه العرش، ويصير تحت العرش أو تحت السماء.

وأما النزول ـ الذي لا يكون من جنس نزول أجسام العباد ـ فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قدره لبعض الناس أكثر، بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض، فيقرب إلى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه. وجميع ما وصف به الرب ـ عز وجل ـ نفسه من القرب، فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية؛ فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص"(٢).

وهذا هو الذي يجب القطع به لأن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه. فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعًا، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغًا لمكان وشغلا لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه.

الوجه الثاني: أن قولهم يحتوي تعطيل صفة العلو عن الباري سبحانه:

وذلك لأنهم يقولون إن الله يخلو عن العرش حين ينزل، وعلى قول هؤلاء لا يبقى حينئذ العليّ، ولا الأعلى، بل يكون تارة أعلى وتارة أسفل.

"وهذا هو الذي تقوم على نفيه وتنزيه الرب عنه الأدلة الشرعية والعقلية؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر أنه الأعلى، وقال:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾(٣). فإن كان لفظ العلو لا يقتضي علو ذاته فوق العرش، لم يلزم أن يكون على العرش.وحينئذ، فلفظ النزول ـ ونحوه ـ يتأول قطعًا، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول. وإن كان لفظ العلو يقتضي علو

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٥).

(٢) شرح حديث النزول (ص: ١١٤)، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٨).

(٣) سورة الأعلى،الآية: ١.

ذاته فوق العرش، فهو ـ سبحانه ـ الأعلى من كل شيء، كما أنه أكبر من كل شيء. فلو صار تحت شيء من العالم لكان بعض مخلوقاته أعلى منه، ولم يكن هو الأعلى، وهذا خلاف ما وصف به نفسه.

وأيضًا، فقد أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، فإن لم يكن استواؤه على العرش يتضمن أنه فوق العرش، لم يكن الاستواء معلومًا، وجاز حينئذ ألا يكون فوق العرش شيء؛ فيلزم تأويل النزول وغيره"(١).

ولهذا فإن الذين قالوا: إن العرش يخلو منه، قولهم باطل، لأن الله أثبت أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، ولم ينفِ هذا الاستواءفي الحديث حين قال الرسول ﷺ:"ينزلُ ربنا إلى السماء الدنيا" ، فوجب إبقاء ما كان على ما كان، وليس الله عز وجل كالمخلوقات، إذا شغل حيزاً فرغ منه الحيز الآخر، نعم، نحن إذا نزلنا مكاناً خلا منا المكان الآخر، أما الله عز وجل فلا يقاس بخلقه. فهذا القول باطل لا شك فيه(٢).

القول الثاني: أن العرش لا يخلو منه حين ينزل إلى السماء الدنيا.

وذلك لأن الله أخبرنا عن استوائه على العرش، وأخبرنا عن نزوله إلى السماء الدنيا، ولم يخبرنا عن خلو العرش منه عند نزوله، والأصل بقاء استوائه مع ثبوت نزوله تعالى،وهذا القول هو قول جمهور أهل الحديث(٣).

منهم الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد(٤)، وعثمان ابن سعيد الدارمي وغيرهم(٥)، وهذا القول معروف عند أئمة السلف، ولذلك فإنهم إذا سئلوا عن الجمع بين

كونه تعالى فوق عرشه وبين نزوله إلى السماء الدنيا؟! كانوا يقولون ليس ذلك على الله بعزيز، ينزل إلى السماء الدنيا وهو على عرشه، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فهو

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ١٨٩).

(٢)شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٧٤).

(٣) شرح حديث النزول (ص: ٤٣)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٢، ٥/ ٣٤٢-٢٤٣، ٣٧٥).

(٤) حماد بن زيد بن درهم الأزدي العلامة، الحافظ، الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق، الضرير، أحد الأعلام أخرج له الجماعة، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر:سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٦٠٨).

(٥)شرح حديث النزول (ص: ٤٣)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٢، ٥/ ٣٤٢-٢٤٣، ٣٧٥).

ينزل كيف يشاء وليس كمثله شيء، وقد سئل هذا عن حماد بن زيد فقيل له:" يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء "ينزل الله إلى سماء الدنيا " أيتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء"(١)

ونحوه ما ورد عن إسحاق بن راهويه في قصته المشهورة مع أحد الأمراء: "قال إسحاق بن راهويه: دخلت على عبد الله بن طاهر(٢)، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء، أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ ! قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه. قال: نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا؟!"(٣)

ونظير هذا قول فضيل بن عياض: "إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء."(٤)، فقول القائل "أيتحول من مكان إلى مكان" وقوله: " هل ينزل الله ويدع عرشه"، وقوله " هل الله يزول عن مكانه" هو مثل قولهم : "هل يخلو منه العرش"، وقد أجاب السلف عن مثل هذه الأسئلة أن كونه تعالى فوق عرشه مع نزوله إلى السماء ليس مستحيلا عليه سبحانه، فيثبتون له العلو كما يثبتون له النزول، لأن الله

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ٤٠).

(٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. وُلد سنة ١٨٢هـ،وتأدَّب في صِغَره، وقرأ العِلْم والفقه، وتوفي سنة ٢٣٠هـ انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٦٢). تاريخ الإسلام (٥/ ٦٠٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٠١)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٥)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وهذه والتي قبلها-يعني قول حماد بن زيد- حكايتان صحيحتان رواتها أئمة ثقات".شرح حديث النزول (ص :٤٠-٤١)، وقال الألباني في قصة إسحاق ابن راهويه: "قلت: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات."مختصر العلو للعلي العظيم(ص:١٩٢).

(٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٣٦)، معلقا مجزوما به، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ٢٠٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٠١)، وأورده ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص: ٤١)، وفي درء التعارض(٢/ ٢٤)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٢٠).

وصفهما بنفسه وليس كمثله شيء.كما يقول حماد بن زيد: "هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء" فأثبت قربه إلى خلقه مع كونه فوق عرشه.

وعبد الله بن طاهر كما يقول شيخ الإسلام: "هو من خيار من ولي الأمر بخراسان ـ كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل، لتوهمه أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش، وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم، فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟ يقول: فإذا كان قادرًا على ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش"(١).قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:"فائدة" في قول إسحاق رحمه الله تعالى: "يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش" إشارة منه إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق،وأنه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه العرش ويصير العرش فوقه، وهذا مستحيل بالنسبة لنزول المخلوق الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر، وهذا الذي أشار إليه إسحاق هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها، أنه تعالى لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء"(٢).

وهذا هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها ، فالله لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه. وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض، بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزه عن ذلك.

ولهذا صوب شيخ الإسلام هذا القول ورجحه فقال: "والصواب: قول " السلف ": أنه ينزل ولا يخلو منه العرش، وروح العبد في بدنه لا تزال ليلا ونهارا إلى أن يموت ووقت النوم تعرج وقد تسجد تحت العرش وهي لم تفارق جسده. وكذلك أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وروحه في بدنه وأحكام الأرواح مخالف لأحكام الأبدان فكيف بالملائكة فكيف برب العالمين"(٣)

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ٤١).

(٢) مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٩٢- ١٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٢، ٥/ ٢٤٣).

القول الثالث: التوقف عن القول بأنه يخلو من العرش أو لا يخلو منه.

وذلك لأن البحث والكلام في مثل هذه المسائل يتوقف على النصوص الشرعية لكونه من الأمور الغيبية، ولما لم يرد دليل من كتاب أو سنة يدل على هذه المسألة وجب التوقف فيها وعدم الخوض فيها نفيا ولا إثباتا.

"وهذا قول كثير من أهل الحديث فإنهم يتوقفون عن أن يقال: يخلو أو لا يخلو؛ لشكهم في ذلك، وأنهم لم يتبين لهم جواب أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يمسك في ذلك؛ لكونه ليس في الحديث، ولما يخاف من الإنكار عليه"(١)

وممن قال به ابن بطة، وعبد الغني المقدسي(٢)، واختاره ابن القيم، ورجحه بن عثيمين، وغيرهم.

قال ابن بطة: "وإن قلتم: لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان لكنا نصدق نبينا ﷺ ونقبل ما جاء به فإنا بذلك أمرنا وإليه ندبنا، فنقول كما قال: "ينزل ربنا عز وجل"**،ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحده ولا نقول: إن نزوله زواله"**(٣).

ولهذا فإن أصحاب هذا القول يرون أن الخوض في كون العرش يخلو منه أو لا يخلو منه تكييف لنزوله، وهذا مما كان السلف يحذرون عنه، ويبدعون قائله، وفي هذا يقول الحافظ عبد الغني المقدسي:"ومن قال يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأي مخترع" (٤).

فإذا تبين هذا فلا ينبغي أن نورد هذا السؤال؛ لأننا لسنا أشد حرصاً على العلم بالله من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن هذا، فنقول: هذا السؤال من أصله غير وارد، ونقول لمن أورده: أنت مبتدع ودعنا من هذا.

---

(١) انظر:شرح حديث النزول (ص: ٦٦).

(٢) هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ، أبو محمد، تَقِيّ الدين المقدسي الجماعيلي الدمشقيّ الحنبلي، كان مولده سنة ٥٤١هـ وتفي سنة ٦٠٠هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٠٣). سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٣).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الثالث (٣/ ٢٤٠).

(٤) عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ص: ٥٥).

وإذا كان الإمام مالك رحمه الله لما قال له القائل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(١)]، كيف استوى؟ قال: السؤال عن هذا بدعة، فإننا نقول في هذا: السؤال عنه بدعة[(٢)].

والصحيح أن نتوقف فنؤمن أنه على عرشه ونؤمن أنه ينزل، ولا نقول يخلو أو لا يخلو؛ لأنه خوض في الكيفية[(٣)]،وذلك لأنَّ صفات الله تعالى توقيفية، يتوقف إثباتها ونفيها على ما جاء به الكتاب والسنة؛ لامتناع القياس في حقه تعالى؛ فإنه لا مثل له ولا ند، وليس في الكتاب والسنَّة إثبات لفظ الحركة وخلو العرش منه أو نفيه؛ فالقول بإثباته أو نفيه قول على الله بلا علم.

وفي هذا يقول ابن القيم :"وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه"[(٤)].

ولهذا رجح الشيخ ابن عثيمين هذا القول فقال: "وعندي أن هذه الطريقة أسلم طريقة؛ أن لا نسأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم، وأن نلقم من سأل عنه حجراً، فإذا قال قائل: أنا أريد المعقول، قلنا: اجعل عقلك في نفسك، وفكر في نفسك، أما في مثل هذا الأمر فلا تفكر فيه ما دام لم يأتك خبر عنه. وللأسف فإن بعض الناس يجادل ويقول: دعوني أتصور النزول حقيقة حتى أتبين هل خلا منه العرش أم لا؟ ، فنقول: سبحان الله! ألا يسعك ما وسع الصحابة رضي الله عنهم؟ اسكت واترك هذا الكلام الذي لم يقله الصحابة رضي الله عنهم للرسول ﷺ، وهم أشد الناس حرصاً على العلم بالله، وأعلم الناس بالله"[(٥)].

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) انظر:شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٧٥).

(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص: ٣٥٦).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٣١).

(٥) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٧٦).

المبحث الثاني

الحد والمماسة

لفظا الحد والمماسة من الألفاظ المجملة التي لم ترد في الشرع نفيا ولا إثباتا، وهي من الألفاظ التي أحدثها أهل الأهواء والبدع من المشبهة والمعطلة، وضمنوها معان باطلة، كتشبيه استواء الله باستواء خلقه كما فعل المشبهة، أو نفي استواء الله على عرشه كما فعل المعطلة(١).

فقام علماء السلف في الرد عليهم وبيان وجه الصواب في ذلك، وأثبتوا لله تعالى استواء لا يشبه استواء المخلوقين، ولما كان ذلك كذلك فإن ما ورد عن السلف من إثبات أو نفي هذه الألفاظ من الحد والمماسة فإنما كان في مقام الرد على أهل البدع، ولم يكن ذلك تقريرا منهم على أنه من مذهب السلف، ولكنه كان بيانا وتوضيحا للمعاني الشرعية.

ولهذا فإنهم لا يطلقونها نفيا ولا إثبات إلا في مقام الرد على من ضمن فيها معنى باطلا، مع مراعاتهم للمعاني الصحيحة الواردة في الشرع، كما بين ذلك شيخ الإسلام حيث قال: "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، ورداً باطلاً بباطل"(٢).

إذا علم هذا فإن ما سيأتي من نفي السلف أو إثباتهم للفظ الحد والمماسة فإنه راجع إلى مذهبهم في التعامل مع الألفاظ المجملة الآنف ذكرها.

أولا: لفظ المماسة.

لم يكن أهل السنة والجماعة يذكرون في اعتقاداتهم ألفاظا ليس لها ورود في خطاب الشارع، ولكن لما ظهرت الفرق الضالة من الجهمية الحلولية والمشبهة الكرامية وغيرهم أحدثوا في الإسلام ما لم يكن في أسلافهم، واستعملوا ألفاظا مجملة، اتخذوها ذريعة لنفي صفات الله،

---

(١) انظر: في (ص:٣٤١) من البحث.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٤).

أو تشبيهها بصفات خلقه، فقام علماء السلف في التصدي لضلالاتهم، وبيان معاني هذه الألفاظ خوفا من أن ينخدع بهم الجهال والعوام(١)، ومن هذه الألفاظ التي استعملها بعض السلف في سبيل البيان والإيضاح لفظة "المماسة".

ولما كانت هذه اللفظة غير واردة لا في الكتاب ولا في السنة، فإن أهل السنة اختلفوا في جواز إطلاقها على الله تعالى نفيا وإثباتا على ثلاثة أقوال:

فمنهم من جوز إطلاقها على الله تعالى إذا كانت من لوازم استوائه على العرش، لأن لازم الحق حق، ومنهم من نفاها عن الله تعالى، وقال إن الله تعالى مستو على عرشه بدون مماسة، ومنهم من توقف في استعمالها وإطلاقها على الله تعالى نفيا وإثباتا لعدم ورودها في نصوص الشرع، وفيما يأتي ذكر أقوال أهل السنة في ذلك:

القول الأول: قول من جوز إثباتها لله تعالى في مقام الرد على المعطلة النفاة.

لما كانت المعطلة تنفي لفظ المماسة وكان غرضهم من ذلك نفي صفة الاستواء(٢) رد عليهم بعض الأئمة بجواز إثباتها لله إذا كانت لازما من لوازم الاستواء وغيرها من صفات الله تعالى، لأن لازم الحق حق، ولا يكون حينئذ في إثبات المماسة شيء محذور، والقائلون بهذا طائفة قليلة من أهل السنة والجماعة، وممن ورد عنهم ذلك الإمام الدارمي وابن تيمية في ردهم على المعطلة. واستعمل الدارمي لفظ اللماسة في رده على المريسي الذي نفى صفة اليد وزعم أن الله لم يخلق آدم بيده بحجة أن ذلك يلزم منه مماسة الله لخلقه فرد عليه الدارمي وقال:"وولي خلق آدم بيد مسيسا لم يخلق ذا روح بيديه غيره، فلذلك خصه وفضله، وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة في ذلك على شيء من خلقه، إذ خلقهم بغير مسيس في دعواك"(٣).

---

(١) انظر:ما ذكره الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٩)، ونقل الدارمي عن إمام أحمد أنه قال في رده على من قال القرآن مخلوق :"كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم."،ردالدارمي على المريسي (١/ ٥٣٦-٥٣٨).

(٢) انظر:الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص: ١٥٩)، الاعتقاد للبيهقي (ص: ١١٦)، والأسماء والصفات (٢/ ٣٠٧).

(٣) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٣٠).

وقال أيضا:"ولو لم يكن لله تعالى يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيسا كما ادعيت لم يجز أن يقال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ (١)،و﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ (٢)،و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ (٣)، للمذهب الذي فسرنا"(٤).

فأثبت رحمه الله صفة اليد التي نفاها المريسي وذكر لفظ المماسة في مقام الرد على من نفى صفة اليد عن الله تعالى.

ونظير هذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على منكري الاستواء فقال:". نقول كونه فوق العرش ثبت بالشرع المتواتر وإجماع سلف الأمة مع دلالة العقل ضرورة ونظرا أنه خارج العالم فلا يخلو مع ذلك إما أن يلزم أن يكون مماسا أو مباينا أو لا يلزم فإن لزم أحدهما كان ذلك لازما للحق ولازم الحق حق، وليس في مماسته للعرش ونحوه محذور، كما في مماسته لكل مخلوق من النجاسات والشياطين وغير ذلك فإن تنزيهه عن ذلك إنما أثبتناه لوجوب بعد الأشياء عنه ولكونها ملعونة مطرودة لم نثبته لاستحالة المماسة عليه وتلك الأدلة منتفية في مماسته للعرش"(٥).

فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أثبت الحق الذي دلت عليه النصوص من استواء الله تعالى مستعملا في ذلك لفظ المماسة الذي نفاه أهل التعطيل بحجة أنه يلزم منه التشبيه، وبين أن ما لزم الحق فهو حق، وليس في هذا اللازم محذور إذا كان من لوازم استواء الله تعالى، بخلاف مماسته لكل مخلوق من النجاسات، والشياطين ونحوها الذي يلزم من مقالة من ينفي الاستواء، ويدعي أنه موجود في كل مكان، فإن ذلك لازم له قطعا. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وإثبات شيخ الإسلام للفظ اللمماسة ليس مقصودا لذاته، ولم يجعله من معاني الاستواء كما هو فعل المشبهة، وإنما قال بذلك لأن خطابه كان مع المعطلة الذين الذين توصلوا بنفي

---

(١)سورة آل عمران،الآية: ٢٦.

(٢)سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٣)سورة الملك، الآية: ١.

(٤) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٣٩).

(٥) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ١٢٧).

المماسة على نفي الاستواء فرد عليهم بأن إثباته ليس محذورا، بخلاف نسبة المماسة إلى المخلوقات الأخرى، فإن هذا يلزم منه محاذير يتنزه الله عنها(١).

القول الثاني: نفي المماسة عن الله تعالى ردا على المشبة والمعطلة.

ورد استعمال بعض السلف لهذا اللفظ في سبيل الرد على الفرق المعطلة الذين أنكروا صفة الاستواء والفوقية، والمشبهة الذين غلو في إثباتها حتى شبهوا الله بخلقه. وفيما يأتي ذكر بعض ما أثر عنهم في ذلك:

أولا: استعمالهم لفظ المماسة في سبيل الرد على المعطلة:

تقدم عند الكلام عن صفة العلو أن المعطلة أنكروا علو الله على خلقه، وكونه فوق عرشه، وأنهم لما عطلوا الباري عن صفة العلو اختلفوا فيما يصفونه، اختلافا شديدا كما هو شأن كل الفرق المنحرفة، والمقصود هنا أن المعطلة لما وصفوا الله تعالى بالأوصاف التي لا تليق بالباري سبحانه، ووصفوه بالحلول والاتحاد، بين علماء السلف أن الله جل في علاه فوق عرشه بائن من خلقه، وأوضحوا معنى البينونة وهو أنه تعالى غير مماس لخلقه، فهو فوق عرشه وهو غير مماس لشيء من خلقه.فأثبتوا له العلو كما ينبغي لجلاله.

ومن المأثور عنهم في ذلك من كلام السلف قول الإمام أحمد في رده على الجهمية: "فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه.

فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماسًّا؟قال: لا قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟ فلم يحسن الجواب. فقال بلا كيف، فخدع جهال الناس بهذه الكلمة وموَّه عليهم"(٢).

وهذا الذي ذكره الجهمي في ربه من محارات العقول، لأنه لا يوجد عند جميع العقلاء أحد يتصف بما ذكره الجهمي كما بينه شيخ الإسلام في تعليقه على كلام الإمام أحمد حيث قال: "وأحمد رحمه الله ذكر ما يعلم بضرورة العقل من أنه إذا كان فيه وليس بمباين فإنه لابد أن يكون مماسا له فإنه لا يعقل كون الشيء في الشيء إلا مماسا له لا مباينا عنه فإنه لما كان

---

(١) انظر:مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها. للدكتور جابر أمير. (١/ ٤٣٨)،

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٥٩).

خطابه مع الجهمية الذين يقولون إنه في كل مكان ذكر أنه لابد من المماسة أو المباينة على هذا التقدير وهو تقدير المحايثة فإن أولئك لم يكونوا ينكرون دخوله العالم وإنما ينكرون خروجه"(١).

ونظير هذا قول الإمام الدارمي في رده على المريسي "..وفي قياس مذهبك ومذاهب أصحابك محوي محاط به، ملازق، ماس، قد اعترفت بذلك من حيث لا تشعر؛ لأنكم تزعمون أنه في كل مكان من السموات والأرض، والسموات فوق بعضه، وأنه في كل بيت مغلق، وفي كل صندوق مقفل، فهو في دعواكم محاط به مماس"(٢).

ومن خلال ما تقدم من أقوال أهل العلم يتبين أن كلمة المماسة إنما أطلقت واستعملت في سبيل نفي الحلول والاتحاد، وبيان أن الله فوق خلقه، وليس ذكرها في سبيل الإقرار أنها من أوصاف الله، ثم استعملها بعض السلف في سبيل بيان وتوضيح معنى بينونته تعالى من خلقه، كما هو المأثور عن الإمام أحمد في معرض ذكره عقيدة السلف في علو الله على خلقه ورده على الجهمية حيث قال: "إن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وإنه غير مماس لشيء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائنون منه"(٣).

والمقصود أن استعمال السلف لهذه الكلمة إنما كان في معرض ردهم على من أنكر علو الله على خلقه وزعم أنه موجود في كل مكان،أو أنه لا يوصف في مكان، فبين علماء السلف أن الله فوق عرشه، وليس في شيء من خلقه، بل هو بائن منهم، بينونة ليس فيها مماسة ولا خلطة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الذين نقلوا إجماع السلف أو إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله.. وما زال علماء السلف يثبتون المباينة ويردون قول الجهمية بنفيها"(٤).

ثانيا: استعمالهم لفظ المماسة في مقام الرد على المشبهة.

لما كان اعتقاد المشبهة من الكرامية والهشامية وغيرهم أن استواء الله على عرشه كاستواء المخلوق على المخلوق، وكان من اعتقادهم أن الله يوصف بما يوصف به المخلوق، فإنهم

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ١٢١).

(٢) رد الدارمي على المريسي (١/ ٤٤٦).

(٣) أورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٠١)

(٤) (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٦٩).

كيفوا استواء الله على عرشه فقالو إن الله مستو على عرشه مماس له، وزعموا أنهم لا يفهمون استواء بغير مماسة، كما تقدم بيانه عند الكلام عن صفة الاستواء.

فلما كان ذلك كذلك فإن السلف رضوان الله عليهم ردوا على المشبهة في زعمهم الباطل" أن الله مستو على عرشه بمماسة" وبينوا أن الله مستو على عرشه بدون مماسة لأنه بائن من خلقه.

وفي هذا يقول السجزي:"فاعتقاد أهل الحق أن الله سبحانه وتعالى فوق العرش بذاته من غير مماسة، وأن الكرامية، ومن تابعهم على القول بالمماسة ضلال"(١).

ونظير هذا ما ذكره قوام السنة الأصبهاني في معرض ذكره اعتقاد أهل السنة في صفة الاستواء حيث قال: "قال أهل السنة: خلق الله السموات والأرض، وكان عرشه على الماء مخلوقا قبل خلق السموات والأرض. ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص. وليس معناه المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف، كما أخبر عن نفسه."(٢)وهكذا صارت كلمة المماسة تنفى عن الله تعالى عند ذكر معتقد أصحاب الحديث والسنة، وتقرير منهج السلف في العلو والاستواء، تارة في الرد على المعطلة، وفي الرد على المشبهة تارة أخرى، فيقال: "إن الله سبحانه بذاته بائن عن خلقه، على العرش استوى فوق السموات، غير مماس له، وعلمه محيط بالأشياء كلها(٣).

القول الثالث: التوقف في استعمالها وإطلاقها على الله تعالى نفيا وإثباتا.

وذلك لعدم ورودها في نصوص الشرع،ولهذافإن بعض أهل العلم من علماء السنة أنكر استعمال هذه اللفظة لا في النفي ولا في الإثبات، وخطأ من استعملها من العلماء وبدع من سأل عن ذلك.

قال عبد اللطيف آل الشيخ(٤):"ولفظ المماسة لفظ مخترع، مبتدع، لم يقله أحدٌ ممن يقتدى به ويتّبع، وإن أريد به نفي ما دلّت عليه النصوص من الاستواء، والعلوّ، أو الارتفاع، والفوقيّة، فهو قول باطل، ضالٌ، قائله مخالف للكتاب والسنة، ولإجماع سلف الأمة، مكابر

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٧٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١١٦).

(٣) انظر:الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٦٠٧).

(٤) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي، الحنبلي. فقيه، متكلم، أديب، من آل الشيخ توفي عام ١٢٩٢هـ معجم المؤلفين (٦/ ١٠).

للعقول الصحيحة، والنصوص الصريحة، وهو جهمي لا ريب، من جنس من قبله؛ وإن لم يرد هذا المعنى، بل أثبت العلو والفوقية، والارتفاع الذي دلَّ عليه لفظ الاستواء، فيقال فيه هو مبتدع ضالٌ، قال في الصفات قولاً مشتبهاً موهماً، فهذا اللفظ لا يجوز نفيه، ولا إثباته"(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين فيمن سأل: "هل استوى الله على العرش بمماسة أو بغير مماسة؟ الجواب أن نقول في هذا كما قلنا في الأول: السؤال عن هذا بدعة وليس لنا أن نقول بمماسة أو غير مماسة، بل نقول: استوى، ولا نتجاوز القرآن والحديث؛ لأن هذه الأمور الغيبية لا يجوز للإنسان أن يسأل عن شيء إلا عن معناها فقط، أما عن كيفيتها وما زاد عن المعنى فلا يحل لنا أن نبحث فيه؛ لا سؤالاً ولا إجابةً.

ولهذا نقول: لقد أخطأ بعض العلماء الذين قالوا: إن الله استوى على العرش بدون مماسة، وأنه ليس لهم الحق أن يقولوا بمماسة أو بدون مماسة؛ لأن ذلك لم يرد، بل ندع هذا وليسعنا ما وسع الصحابة الذين هم أحرص منا على العلم، وأشد منا تعظيما لله عز وجل. وعلى هذا فكلمة مماسة أو غير مماسة يجب أن تلغى وتحذف"(٢).

والظاهر أن التوقف في هذه المسألة أولى من الخوض فيها نفيا وإثباتا، وذلك لأن ذكر المماسة أو نفيها فيه نوع من التكييف، وقد كان السلف يحرصون على عدم الخوض فيما استأثر الله بعلمه، من كيفيات الصفات وحقائقها.

فإن قيل: كيف يقال هذا وقد ورد استعمال هذه اللفظة عن بعض السلف،كما تقدم نقل ذلك عن أحمد وغيره.

قيل: إن استعمال بعض السلف لهذه الكلمة إنما كان في مضايق المحاجات والمناظرات، والرد على من أثبتها في سبيل الاعتقادات، كالمشبهة وغيرهم من أهل البدع والضلالات(٣)، وقد يغتفر في المحاجات والمناظرات ما لا يغتفر في غيره من المقامات، أما استعمالها ابتداء في

(١) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (١/ ٣٧٨).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٣١).

(٣) ذكر الإمام الدارمي أن سبب استعمالهم هذه الألفاظ هو مواجهة أهل البدع، فكان هذا من الجهمية خوضا فيما نهوا عنه، ومن أهل السنة إنكارا للكفر البين، منافحة عن الله عز وجل، كيلا يسب وتعطل صفاته. انظر رد الدارمي على المريسي (١/ ٥٣٦-٥٣٨).

سبيل الاعتقادات فهو غير معروف عنهم ولا مأثور.

وجماع الأمر في هذه المسألة أن يقال: ليس هناك تنازع بين السلف في هذه المسألة أو في غيرها من مسائل الاعتقاد لإمكان توجيه أقوالهم الآنف ذكرها، ويتضح ذلك فيما يأتي:

أولا: أن من نفى المماسة من السلف فإنه لم يذكر ذلك على أنه من مذهب السلف، وإنما ذكره من باب الرد على المبتدعة الذين عارضوا بذلك وحي الله تعالى ونفوا صفاته، أو شبهوها بصفات خلقه، من المعطلة والمشبهة كما سبق بيانه.

ثانيا: أن من أثبته من أهل السنة فإنما كان إثباته في مقام الرد على المعطلة الذين نفوه ليتوصلوا به إلى نفي الاستواء، لأنهم زعموا أن الاستواء يستلزم المماسة، والمماسة منفية عن الله تعالى، فرد عليهم بعض أهل السنة على هذا الزعم الباطل، وبينوا أن المماسة إذا كانت من لوازم الاستواء فإنه لا محذور فيها، لأن الاستواء حق، وما لزم من الحق فهو حق، فكان إثباتهم من هذا الوجه.

ثالثا: أن من اختار التوقف أخذ بمنهج أهل السنة العام في الألفاظ المجملة المبني على التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه في حق الله تعالى، وهذا المنهج متفق عليه بين أهل السنة والجماعة[١].

وبهذا يعلم أنه لا تنازع بين أهل السنة في هذه المسألة ولا في غيرها من مسائل الاعتقاد، لأنهم قرروا أن مسائل الاعتقاد لا سيما ما يتعلق منها بذات الله لا تثبت إلا بالوحي، فإن منهجهم المتفق عليه بينهم هو التوقف فيما لم يرد نفيه ولا إثباته في حق الله تعالى[٢].

ثانيا: مسألة الحد.

والمراد من الحد في اللغة: الحاجز بين الشيئين، الذي يُمَيِّزُ بينهما، لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر، وهو مأخوذ من حد الشيء عن غيره يَحُدُّهُ حَدًّا إذا ميزه[٣]، فالحاجز بين الشيئين حد، وطرف الشيء ونهايته حد، وبهذا عرفه الخليل ابن أحمد فقال: "فصل ما بين كل شيئين حد بينهما. ومنتهى كل شيء حده"[٤].

---

(١) انظر: ما ذكره شيخ الإسلام في تعامل السلف بالألفاظ المجملة في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٤).

(٢) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها للدكتور جابر أمير (١/ ٤٤٣).

(٣) انظر: كتاب العين (٣/ ١٩)، الصحاح للجوهري (٢/ ٤٦٢)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣)، لسان العرب (٢/ ١٤٠).

(٤) كتاب العين (٣/ ١٩).

ونظير هذا ما بينه ابن فارس في تعريف الحد فقال: "الحاء والدال أصلان: الأول المنع، والثاني طرف الشيء.فالحد: الحاجز بين الشيئين"(١).

ومن خلال أقوال علماء اللغة في بيان معنى الحد يظهر: أن الحد هو ما يتميز به الشيء عن غيره، سواء كان هذا التميز بالصفات أو بالقدر والنهاية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره"(٢).

وبناء على ذلك فإنه ليس في الكون شيء إلا وله ما يميزه عن غيره كما قال الدارمي: "الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة، فالشيء أبدا موصوف لا محالة، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية وقولك: لا حد له يعني أنه لا شيء"(٣).

ولما كان الحد من الألفاظ المجملة أدخل فيه أهل الأهواء والبدع معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، فأثبته المشبهة، وأرادوا به معرفة حد الله تعالى في استوائه، وإدراك كيفيته، فوقعوا بذلك في التشبيه المذموم، فقد ذكر ابن كرام أن الله مماس للعرش من الصفحة العليا وله حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش(٤)، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكذلك المعطلة أدرجوا فيه معنى باطلا حيث زعموا أن إثبات صفة الاستواء يلزم منه أن يكون الله محدودا، ويكون استواؤه كاستواء المخلوق، فنفوا الحد والاستواء فرارا من التشبيه المتوهم، ووقعوا في التعطيل(٥).

فلما كان الحد يقع على التميز عن الشيء وعدم الاختلاط به، وكان يقع على صفات الشيء وقدره، فإن السلف توسطوا فيه بين المشبهة والمعطلة، فأثبتوا الحد لله بالمعنى الأول

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٤٣).

(٣) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٣).

(٤) انظر: قول المشبهة في استواء الله على عرشه فيما تقدم في صفة الاستواء.

(٥) قال ابن بطة: "اعلموا رحمكم الله أن الجهمية تجحد أن لله عرشا، وقالوا: لا نقول: إن الله على العرش؛ لأنه أعظم من العرش، ومتى اعترفنا أنه على العرش، فقد حددناه، وقد خلت منه أماكن كثيرة غير العرش، فردوا نص التنزيل، وكذبوا أخبار الرسول ﷺ." الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الثالث (٣/ ١٦٨).

وكان غرضهم من إثباته رد المعطلة الذين أدرجوا فيه نفي صفة الاستواء ، ونفوه عن الحد ردا على المشبهة، وكان غرضهم من ذلك نفي إدراك صفاته وقدره فإن الخلق كلهم لا يعرفون حقائق صفاته تعالى وكيفياتها، ولا يحيطون بذلك علما، فأثبتوا له الحد ونفوا عنه الإدراك وإحاطة العلم به، ولهذا يقولون: له حد لا يعلمه غيره(١)، وفيما يأتي ذكر هذين المعنيين ومن قال به من السلف.

أولا: إثبات بعض السلف الحد لله تعالى في ردهم على المعطلة.

لما تقرر في عقيدة السلف أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، بين علماء السلف معنى البينونة، وذكروا أنها بحد لا يعلمه إلا الله، واستعمالهم للحد كان في إثبات مسألة علو الله على خلقه، وتميزه وانفصاله عنهم، وعدم اختلاطه بهم، أو حلوله فيهم.

ولما كانت الجهمية تزعم أن الخالق في كل مكان، وأنه غير مباين لخلقه ولا متميز عنهم(٢)، رد عليهم بعض علماء السلف وقالوا إن الله سبحانه عال على خلقه، مستو على عرشه، بائن من خلقه، فكان ذكرهم للحد من باب الرد على الجهمية الذين زعموا أن الله ليس له حد وما لا حد له لا يباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم. كما بين ذلك الدارمي في رده على المرسي حيث قال: "وادعى المعارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية. وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم ضلالاته واشتق منها أغلوطاته(٣)،

---

(١) انظر:رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٣)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٠١)، بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٦٨٧).

(٢) انظر:الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص: ١٤٢، ١٤٤، ١٥٥، ١٧٠)، والرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤١، ٥٣، ٦٦، ٧٣، ٩٢)، ورد الدارمي على المريسي(١/ ٤٤٦، ٤٩٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٢٣).

(٣) الأغلوطات:هي جمع أغلوطة أفعولة من الغلط كالأحدوثة والأعجوبة وهي الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به؛ ومنه قولهم: حدثته حديثا ليس بالأغاليط. والتغليط: أن تقول للرجل غلطت. والمغلطة والأغلوطة: ما يغالط به من المسائل، والجمع الأغاليط. انظر : لسان العرب (٧/ ٣٦٣-٣٦٤).

وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهما إليها أحد من العالمين."[1] وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لما كان الجهمية يقولون ما مضمونه:إن الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز بها ويجحدون قدره حتى يقول المعتزلة إذا عرفوا أنه حي عالم قدير قد عرفنا حقيقته وماهيته ويقولون إنه لايباين غيره بل إما أن يصفوه بصفة المعدوم فيقولون لا داخل العالم ولا خارجه ولا كذا ولا كذا أو يجعلوه حالا في المخلوقات أو وجود المخلوقات.

فبين ابن المبارك أن الرب سبحانه وتعالى على عرشه مباين لخلقه منفصل عنه وذكر الحد لأن الجهمية كانوا يقولون ليس له حد وما لا حد له لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك مستلزم للحد"[2].

وبناءً على ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أثبت السلف الحد لما في إثبات هذا اللفظ من رد على الجهمية فيما زعموا، ولما في معنى "الحد"من إثبات مباينة الله لخلقه، وعلوه عليهم، واستوائه على عرشه[3].

ومن المأثور عنهم في ذلك قول ابن المبارك لما سئل عنه:"بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد."[4]

---

(١) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٤٣).

(٣) انظر:مقدمة الدكتور محمد بن خليفة التميمي على كتاب العرش للذهبي (١/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (١/ ٢٢٤). وفي رده على الجهمية (ص: ٤٧، ٩٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى الكتاب الثالث (٣/ ١٥٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٦)، وصححه ابن تيمية حيث قال: "هذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه، وهو أيضا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغير واحد من الأئمة" مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٥) و صححه أيضا ابن القيم وذكر أن صحته قريبة من صحة المتواتر فقال: "وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر" ثم ذكره. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢١٣-٢١٤)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص: ١٥١).

وقول أبي سعيد الدارمي:"والله تعالى له حد، لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوزلأحد أن يتوهم لحده في نفسه، ولكن يؤمن بالحد ويكل علم ذلك إلى الله، ولمكانه أيضا حد، وهو على عرشه فوق سماواته فهذان حدان اثنان."[١]

وقال أيضا: "فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد رد القرآن، وادعى أنه لا شيء؛ لأن الله حدّ مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٢]، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤]﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[٥]،﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٦]، فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لا يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله."[٧]

واتفق علماء السلف على إثبات الحدّ لله إذا كان بمعنى علوه سبحانه وتعالى وبينونته عن خلقه، واستوائه على عرشه، كما نقل ذلك الدارمي في رده على المريسي حيث قال: "وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية"[٨].

---

(١) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٣)، ونقله شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٧)، وفي بيان تلبيس الجهمية(٥/ ١٦٤).

(٢) سورة طه، الآية:٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٥)سورة آل عمران، الآية:٥٥.

(٦) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٧) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٥)، ونقله شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٧)، وفي بيان تلبيس الجهمية(٢/ ٦٠٧، ٣/ ٦٨٩).

(٨) رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٨)، ونقله شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٩)، وفي بيان تلبيس الجهمية(٢/ ١٥٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت عن أئمة السلف أنهم قالوا لله حد وأن ذلك لا يعلمه غيره وأنه مباين لخلقه وفي ذلك لأهل الحديث والسنة مصنفات"(١).

وفي هذا يتبين أنه ليس بين أهل السنة خلاف في مسألة الحد إذا كان معناها ثبوت العلو لله ومباينته لخلقه كما بينه ابن أبي العز حيث قال: "ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته. وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة"(٢).

ثانيا: نفي السلف الحد عن الله ردا على المشبهة.

تقدم فيما سبق أن علماء السلف اتفقوا على إثبات الحد لله إذا كان الغرض منه إثبات علوه وبينونته عن خلقه، وورد عنهم أيضا نفي الحد عن الله تعالى، وذلك في ردهم على المشبهة الذين خاضوا في كيفية صفات الله، وزعموا معرفتهم حد الله تعالى كما سبق بيانه.

ومقصود السلف في نفي الحد عن الله هو نفي الإحاطة بالله علماً وإدراكاً، فلا منازعة بين أهل السنة في أن الله تعالى غير مدرك الإحاطة وأن الخلق عاجزون عن الإحاطة به، فهم لا يستطيعون أن يحدوا الخالق جل وعلا، أو يُقَدِّرُوه، أو يبلغوا صفته، فمن نفى الحد على هذا المعنى فهو مصيب.

ولهذا لما سئل أبو القاسم التيمي: عن حكم إثبات الحد لله أو نفيه عنه، أجاب أنه لا ينفى مطلقا ولا يثبت مطلقا بل ينظر إلى غرض السائل: "فإن كان غرض القائل: ليس لله حد: لا يحيط علم الحقائق به، فهو مصيب، وإن كان غرضه بذلك: لا يحيط علمه تعالى بنفسه، فهو ضال، أو كان غرضه: أن الله بذاته في كل مكان، فهو أيضا ضال"(٣)، وعليه فإن مقصود

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٥٩١).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٦٣).

(٣) نقله الذهبي في السير (٢٠/ ٨٦)، ونص كلامه :" هذه مسألة أستعفي من الجواب عنها؛ لغموضها، وقلة وقوفي على غرض السائل منها، لكني أشير إلى بعض ما بلغني: تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة، محصولها أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره.) ثم ذكره.

السلف في نفي الحد عن الله تعالى إنما هو الرد على المشبهة الذين يزعمون أنهم يحيطون بالله علما فيشبهون صفاته بصفات خلقه .

كما ذكر ذلك الإمام أحمد في معرض رده على المشبهة قائلا : "ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء.

فنعبد الله بصفات غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه..وهو على العرش بلا حد.كما قال تعالى﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾(١)، كيف شاء.. لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشتبهة، فقيل له والمشبهة ماذا يقولون؟، قال من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده. وهذا كلام سوء، وهذا محدود، والكلام في هذا لا أحبه."(٢)

وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، مراد الإمام أحمد في نفيه للحد فقال:" فهذا الكلام من الإمام أبي عبد الله أحمد رحمه الله يبين أنه نفى أن العباد يحدون الله تعالى أو صفاته بحد أو يقدرون ذلك بقدر أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك، وذلك لا ينافي ما تقدم من إثبات أنه في نفسه له حد يعلمه هو،ولا يعلمه غيره، أو أنه هو يصف نفسه وهكذا كلام سائر أئمة السلف يثبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها"(٣).

وقال أيضاً عقب نقله قول الإمام أحمد: "وقوله بلا حد ولا صفة" نَفَى به إحاطة علم الخلق به، وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه، إلا بما أخبر عن نفسه، ليبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته، ..ولهذا قال أحمد : "لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية"، فنفى أن يدرك له حد أو غاية"(٤). وفي هذا يتضح مراد السلف في نفى الحد عن الله، وأنهم أرادوا بذلك عدم العلم بالغاية والنهاية التي تنتهي إليها صفات الله عز وجل، ولهذا فإنه لا تناقض بين كلامهم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ، الكتاب الثالث (٣/ ٣٢٦)، وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٨٧)،وفي درء التعارض(٢/ ٣٢)، وفي بيان تلبيس الجهمية(٢/ ٦٢٣- ٦٢٧، ٣/ ٧١٠- ٧١٣)، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية(٢/ ٢١٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٦٢٨).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٣).

في نفي الحد وإثباته لله تعالى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المحفوظ عن السلف والأئمة إثبات حد لله في نفسه، وقد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه، ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض الناس، فإنهم نفوا أن يَحُد أحدٌ الله"(١).

والمقصود هنا أن ما روي عن السلف من نفي الحد عن الله تعالى، فإنه محمول على نفي إدراك حقائق الصفات وكنهها(٢)، فإن ذلك مما استأثر الله بعلمه، ولا يجوز لأحد أن يتوهم كيفية صفات الباري سبحانه، ولكن يقال كما يقول الراسخون في العلم : وفي ذلك رد على المشبهة وغيرهم من أهل البدع الذين شبهوا صفاته بصفات مخلوقاته، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

تنبيه: قد يقول قائل(٣) إذا كان لفظ الحد مما لم يرد في الكتاب والسنة نفيا ولا إثباتا أليس السكوت عنه أولى من الخوض فيه؟.

قيل له: إن خوض السلف في مسألة الحد هو كخوضهم في مسألة خلق القرآن، فقد نطقوا بأن القرآن غير مخلوق، ولم يكن يعرف عن الصحابة والتابعين أنهم يقولون القرآن غير مخلوق، ولكن لما تفوه أهل البدع أن القرآن مخلوق لم يكن للسلف بد من بيان أن القرآن غير مخلوق، وإن كانوا قبل ذلك كارهين الخوض فيه كما قال الإمام أحمد: "كنا نرى السكوت عن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٧٠٦).

(٢) كما قال أبو داود الطيالسي:"كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر. قال أبو داود: وهو قولنا." أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٤)،ومن أراد الاستزادة في معرفة أقوال السلف في مسألة الحد فليراجع: رد الدارمي على البشر المريسي(١/ ٢٢١-٢٢٨)، وكتاب إثبات الحد لله للدشتي (ص: ١٠٨) وما بعدها، وبيان تلبس الجهمية لابن تيمية(٢/ ٦٠٥-٦٢٩، ٣/ ٣-٤٩).

(٣) كما ذكر الذهبي أن إنكار الحد وإثباته نوع من فضول الكلام، والسكوت عن الطرفين أولى، إذ لم يأت نص بنفى ذلك ولا إثباته. وأن الخوض في ذلك مما لم يأذن به الله، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٧).

هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم."[١]

وكذالك الدارمي حيث قال: "كره القوم الخوض فيه، إذ لم يكن يخاض فيها علانية، وقد أصابوا في ترك الخوض فيه، إذ لم يعلن. فلما أعلنوه بقوة السلطان، ودعوا العامة إليه بالسيوف والسياط، وادعوا أن كلام الله مخلوق، وأنكر ذلك عليهم من غبر من العلماء وبقي من الفقهاء، فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم، وفسروا مرادهم من ذلك. فكان هذا من الجهمية خوضا فيما نهوا عنه، ومن أصحابنا إنكار للكفر البين،منافحة عن الله عز وجل كيلا يسب وتعطل صفاته وذبا عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا بمحنتهم هذه، من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تنقض دعواهم وتبطل حججهم....فحين خاضت الجهمية في شيء منه وأظهروه وادعوا أن كلام الله مخلوق، أنكر ذلك، ابن المبارك وزعم أنه غير مخلوق،.. وكذلك.. ابن حنبل"[٢].

فيكون كلام هؤلاء الأئمة قاعدة وميزانا في تعامل السلف مع الكلمات المجملة التي ليس لها وجود في خطاب الشرع نفيا ولا إثباتا، فيجب السكوت عنها قبل أن يخوض فيها أهل البدع، فإذا خاضوا فيها وجب على أهل العلم الرد عليهم، وبيان الصواب في ذلك مع دحض شبههم حتى لا ينخدع بهم العوام، والجهال.

وجماع الكلام في هذه المسألة أن يقال كما قال الشيخ ابن عثيمين: "يجب أن نعلم أن الخلاف يكاد يكون لفظيا؛ لأنه يختلف باختلاف معنى الحد المثبت والمنفي.

فمن قال: إن الله محدود أراد أنه بائن من الخلق ومحاد لهم ليس داخلاً فيهم ولا هم داخلون فيه، كما نقول: هذه أرض فلان، وهذه أرض فلان، كل واحدة منهما محدودة عن الأخرى، أي بينهما حد، فمن أثبت الحد أراد به هذا المعنى: أي أن الله تعالى منفصل بائن عن الخلق ليس حالا فيهم ولا الخلق حالُّون فيه، وهذا المعنى صحيح.

ومن قال: إنه غير محدود أراد أن الله تعالى أكبر من أن يحد، ولا يحده شيء من مخلوقاته، ولا يحصره شيء من مخلوقاته، فقد وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يمكن أن يحده

---

(١)رد الدارمي على المريسي (١/ ٥٣٦-٥٣٨).

(٢) رد الدارمي على المريسي (١/ ٥٣٦-٥٣٨).

شيء من المخلوقات وهذا المعنى صحيح، وكل السلف متفقون على هذا، وعليه فيكون الخلاف بينهم لفظيا بحسب هذا التفصيل"(١).

وما ورد عن السلف من الخوض في الألفاظ المجملة فيما لم ينطق به كتاب ولا سنة نفيا ولا إثباتا، كنفي خلو الله عن عرشه عند نزوله إلى السماء الدنيا، وكونه غير مماس لعرشه، وكونه بائنا من خلقه، وكونه غير محدود، فإنه محمول على هذا الباب، وهو أن السلف لم يكونوا يخوضون في هذه الألفاظ حتى خاض فيه أهل البدع، فلما خاض فيه أهل البدع قام علماء السلف في الرد عليهم وبيان وجه الحق في هذه الألفاظ، فما كان فيه من حق أثبتوه، وما كان فيه من باطل ردوه وبينوا بطلانه.والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٢٣٧).

الفصل الرابع

الكرسي وما يتعلق به من مسائل.

المبحث الأول: تعريف الكرسي .

المبحث الثاني: صفات الكرسي.

المبحث الثالث: ما جاء في نزول الله عز وجل من العرش إلى الكرسي يوم القيامة.

المبحث الرابع: الأقوال المخالفة في الكرسي والرد عليها .

المبحث الأول

تعريف الكرسي وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الكرسي لغة .

المطلب الثاني : تعريف الكرسي شرعا .

المطلب الأول

تعريف الكرسي لغة

الكُرسيُّ بالضم واحد الكراسي وربما قالوا: "كِرْسِيٌّ" بالكسر(١)،وكلمة "كرسي" مأخوذة من الكَرْسِ(٢)، والكَرْس في اللغة معناه الجمع، يقال: "تكرس الشيء وتكارس: تراكم وتلازب. وتكرس أُسُّ البناء: صلب واشتد،والتكريس: ضم الشيء بعضه إلى بعض، وكل ما جعل بعضه فوق بعض، فقد كرس وتكرس(٣).

وفي هذا يقول ابن فارس: "الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل على تلبُّد شيء فوق شيء وتجمعه"(٤).

ومنه سُمِّي العلماء كَرَاسِي: لأنهم جمعوا العلم،كما ذكر ابن الأعرابي: أن العرب تقول: "كرس الرجل إذا ازدحم علمه على قلبه"(٥)؛وكذلك قيل للورق المجموع على نحوٍ ما "كُرَّاسة" لأنها أوراق جُمعت(٦).

ومنه قولهم: كرس فلان الحطب وغيره إذا جمعه(٧).ولما كان الكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه، فإنه سمي به ذلك لتركب خشباته بعضها على بعض(٨).

---

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣)، وانظر أيضا: لسان العرب(٦/ ١٩٤)، مختار الصحاح (ص: ٢٦٨).

(٢) اختلفوا في حكم الياء في آخر الكرسي هل هي ياء نسبة أم هي ياء زائدة ، فقيل: إنه اسم وضع هكذا وليس بمنسوب، وقيل: إنه منسوب إلى الكرس وهو التلبد ومنه الكراسة للمتكرس من الأوراق، والصحيح أنها ياء زائدة وليس منسوبا إلى الكرس وإن كان أصل مادته تدل على الكرس. ولهذا قال ابن مالك في ألفيته: (ياءً كيا الكرسيِّ زادوا للنسب ... وكلُّ ما تليه كسرُهُ وَجَب). (ص: ٦٩).

(٣) لسان العرب (٦/ ١٩٣-١٩٤)، تاج العروس (١٦/ ٤٤٠).

(٤) مقاييس اللغة (٥/ ١٦٩).

(٥) لسان العرب (٦/ ١٩٣(، تاج العروس (١٦/ ٤٤٠).

(٦) لسان العرب (٦/ ١٩٣)، تاج العروس (١٦/ ٤٣٧).

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٣٠).

(٨) انظر:لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٩٠).

إذا علم هذا: فالكرسي في لغة العرب عبارة عن الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، كما قال الزجاج(١): "إن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه"(٢).

وقد ورد ذلك في الحديث النبوي كما في حديث جابر في قصة انقطاع الوحي: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " ثم فتر عني الوحي فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض "(٣).

والحديث واضح الدلالة على أن الكرسي عند العرب هو ما يجلس عليه، فالكرسي في عرفهم موضوع للجلوس والقعود عليه، سواء كان القاعد عليه ملَكاً كما هو ظاهر الحديث، أو كان القاعد عليه ملِكاً ، كما جاء إطلاق الكرسي على السرير الذي يجلس عليه الملك. وفي هذا يقول ثعلب(٤): "الكرسي: ما تعرفه العرب من كراسي الملوك"(٥).

وقد جاء ذلك في التنزيل كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾(٦)يقول تعالى جل ذكره:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾أي: ابتليناه وامتحناه بسلب ملكه، ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ ﴾ أي: على سريره(٧) جسدا، فالكرسي: اسم لما يقعد عليه(٨) والمراد :

---

(١)هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، البغدادي. عالم من علماء النحو واللغة، صاحب كتاب الاشتقاق، ومعاني القرآن، ولد ببغداد عام ٢٤١هـ وتوفي فيها عام ٣١١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٩)، تاريخ الإسلام (٧/ ٢٣٢).

(٢) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٢)، لسان العرب(٦/ ١٩٤).

(٣)تقدم تخريجه في (ص: ٢٦).

(٤) هو العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم، البغدادي ولد سنة ٢٠٠هـ وتوفي سنة ٢٩١هـ . تاريخ بغداد (٦/ ٤٤٨)، الوافي بالوفيات (٨/ ١٥٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥).

(٥) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣).

(٦) سورة ص، الآية: ٣٤.

(٧) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٧٣).

(٨) قال إبراهيم البقاعي:" الكرسي هو ما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد". الفتح القدسي في آية الكرسي(ص: ١٣٦)، وقال الطاهر بن عاشور:"الكرسي شيء يجلس عليه متركب من أعواد أو

سريره المشهور[1]. والمقصود هنا أنه لما كان عرف العرب إطلاق الكرسي على ما يجلس عليه، فإن القرآن والسنة جاءا على وفق ما تقتضيه اللغة العربية، من إطلاق الكرسي على ما يجلس عليه، سواء كان ذلك ما يجلس عليه الملك أو غيره.

وفي هذا يتبين أن الكرسي المضاف إلى الله عز وجل كرسي حقيقي له من الصفات والعظمة ما يختلف به عن غيره من المخلوقات، وسيأتي بطلان قول من فسر الكرسي بالعلم، وغيره عند الرد على أقوال المخالفين في الكرسي.

غيرها موضوعة كالأعمدة متساوية، عليها سطح من خشب أو غيره بمقدار ما يسع شخصا واحدا في جلوسه، فإن زاد على مجلس واحد وكان مرتفعا فهو العرش." التحرير والتنوير (٣/ ٢٣).

(١) روح البيان (٨/ ٣١).

المطلب الثاني

تعريف الكرسي شرعا

تقدم في المطلب السابق بيان معنى الكرسي في عرف العرب، وأنهم يطلقونه على المقاعد والمجالس للملوك وغيرهم، أما تعريفه شرعا فقد اختلفت الأقوال والآراء فيه، وسيكون الكلام في هذا المطلب: بيان معنى الكرسي عند أهل السنة والجماعة فإنهم أعرف الخلق بالحق، وأما أقوال غيرهم فسوف تأتي في مبحث مستقل، وفيما يأتي بيان:

معنى الكرسي المضاف إلى الله عز وجل عند أهل السنة.

أخبر تعالى في كتابه أن له كرسيا وأضافه إلى نفسه كما بين ذلك في قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(١)، وقد سمى النبي ﷺ هذه الآية آية الكرسي لورود الكرسي فيها كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن الشيطان قال له :" إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبيﷺ صدقك وهو كذوب ذاك شيطان."(٢).

ولما كان الكرسي ثابتا بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة(٣) بين علماء السلف من الصحابة وغيرهم معنى الكرسي المضاف إلي الله عز وجل وأنه" مخلوق عظيم بين يدي العرش، بمثابة المرقاة إليه وهو موضع القدمين لله تعالى"(٤)،كما هو ثابت عن ابن عباس، وأبي موسى الأشعري وغيرهم من علماء السلف(٥)، وهو مقتضى الأحاديث واللغة وأقوال سلف الأمة. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٨٨) ، (كتاب فضائل القرآن/ باب فضل سورة البقرة)، ورقمه (٥٠١٠).

(٣) انظر:مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

(٤) انظر:تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٥)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٧).

(٥) انظر:تفسير الطبري (٤/ ٥٣٧-٥٣٩)، رد الدارمي على المريسي (١/ ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣(كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢٤٨، ٢٤٩(، الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٢٩٦). تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٥)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٧)،

يقدر قدره أحد"[١].وقال أبو موسي ﷺ: "الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط[٢] الرحل"[٣].

وقال السدي: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٤]،"فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه"[٥].

وذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٦]، اختلاف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السماوات والأرض[٧]، وبين أن تفسير ابن عباس هو أولى التفاسير في هذه الآية وهو الذي تقتضيه

---

(١) أخرجه الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣)، وعبد الله ابن في السنة (١/٣٠، ٢/ ٣٥٤)، وابن خزيمة في التوحيد(١/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٣٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (وأورده الذهبي في العلو وقال: رواته ثقات. (ص: ٧٦)، وقال ابن أبي العز : وقد روي مرفوعا، والصواب أنه موقوف على ابن عباس. شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٩)، و قال الشيخ الألباني بعد ذكر سنده (هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات). مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٠٢)، وقال الشيخ ابن عثيمين له حكم الرفع كما سيأتي.

(٢) قال الذهبي (ليس للأطيط مدخل في الصفات أبدا بل هو كاهتزاز العرش لموت سعد وكتفطر السماء يوم القيامة ونحو ذلك.) العلو للعلي الغفار (ص: ١٠٧).

(٣)أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٠١، ٢/ ٣٥٤)، وابن عطية في تفسيره (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٦)، ونقله القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٨٧)، والذهبي في العلو (ص: ١٠٧)، وهو صحيح الإسناد موقوفا، ورجاله ثقات معروفون. كما ذكره الألباني في مختصر العلو (ص:١٢٣).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥٣٨).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) انظر:تفسير الطبري (٤/ ٥٣٧).

الآثار عن رسول الله ﷺ[١]. وذكر ابن أبي الزمنين أن هذا هو قول أهل السنة والجماعة فقال: " ومن قول أهل السنة أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين "[٢]، وفي هذا يقول القرطبي: " والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه"[٣].

وقد تقدم أن علماء اللغة لا يفهمون من الكرسي إلا ما تقتضيه اللغة العربية، كما قال ثعلب:"الكرسي: ما تعرفه العرب من كراسي الملوك"[٤].

فهذا يدل على أن الكرسي المذكور في الكتاب والسنة هو الكرسي المعروف في لسان العرب، وإن كان اتفاقهما في الاسم لا يقتضي إتفاقهما في الحقائق والصفات، فهذا مضاف إلى الله عز وجل، وله من الصفات والعظمة ما يليق بالخالق الذي أضيف إليه، وذاك مضاف إلى المخلوق، وله من الخصائص والصفات ما يليق بالمخلوق الذي أضيف إليه.

قال الزجاج عقب ذكره قول السلف في الكرسي: "وهذا القول بين، لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السموات والأرض"[٥]، هكذا قال وهو إمام من أئمة اللغة.

وعليه فمن قال في كرسي الله قولا غير هذا، فقد خالف ظاهر الكتاب والسنة، وخالف المحفوظ المشهور عن الصحابة والتابعين، وخالف ما تعرفه العرب من لغاتها. وسيأتي تصحيح الأزهري لهذا القول وتفنيده ماروي عن بعض السلف من أن الكرسي هو العلم.

ومن خلال ما تقدم من أقوال أهل العلم يتبين أن الكرسي في اصطلاح أهل السنة والجماعة هو : **مخلوق عظيم بين يدي العرش كالمرقاة إليه، جعله الله موضعا لقدميه، وهو دون العرش في العظمة**.وشرح هذا التعريف بما بعده من المباحث والمطالب.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٣٩)، هكذا ذكر أن هذا هو ما تقتضيه الأحاديث ولكنه رجح في موضع آخر أن الكرسي هو العلم. والجمع بين قوليه هو أنه يرى أن الأول هو ظاهر الأحاديث والثاني هو ظاهر القرآن فرجح ظاهر القرآن على ظاهر الأحاديث كما سيأتي.

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٩٦).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٧).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري(١٠/ ٣٣).

(٥) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٢)، لسان العرب(٦/ ١٩٤).

المبحث الثاني

صفات الكرسي وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أن الكرسي مخلوق .

المطلب الثاني : سعة الكرسي .

المطلب الثالث : أن الكرسي كالمرقاة بين يدي العرش .

المطلب الأول

أن الكرسي مخلوق

لما كان الكرسي ثابتا بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، كان من لوازم ثبوته أن يكون متصفا بصفات تميزه عن غيره، لأنه ليس في الكون شيء بلا صفة، فالشيء أبدا موصوف لا محالة، ولا يمكن وجود شيء بلا صفة.[١]، وقد أخبر تعالى في كتابه أنه رب العالمين كما في قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، والعالمون هم كل من سوى الله؛ فإنه ليس في الوجود إلا خالق ومخلوق، والله الخالق، وكل من سواه مخلوق[٣]، فلما لم يكن في الوجود إلا خالق ومخلوق، وكان الكرسي ثابتا موجودا بالنصوص الشرعية تبين أنه من مخلوقات الله تعالى لكونه من العالمين، ولأن الله أضافه إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٤]، وإضافة الكرسي إليه تعالى من إضافة المخلوق إلى خالقه، وفي هذا تشريف للكرسي، كما أضاف تعالى العرش إلى نفسه[٥].

وقد بين علماء السنة أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله تعالى فهو موجود حقيقة وليس ضربا لمثل ولا مجازا عن الملك والعلم ونحو ذلك، ومقصودهم من بيان أن الكرسي مخلوق هو ردهم على من أنكر وجود الكرسي حقيقة، أو تأوله على العلم والملك[٦].

وفي هذا يقول ابن عطية: "والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه"[٧]. وقد دلت النصوص على كون الكرسي من مخلوقاته تعالى من عدة أوجه:

---

(١) رد الدارمي على البشر المريسي (١/ ٢٢٣).

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٥٦)، والانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي لشيخنا عبد المحسن البدر (ص: ١٨١).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ١٩٠)

(٦) سيأتي بطلان قول القائلين الكرسي هو العلم أو هو عبارة عن الملك.

(٧) تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٢).

الوجه الأول: مقارنته بالمخلوقات الأخرى كالسموات والأرض.كما في قوله ﷺ"ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"(١) فهذا يدلّ على وُجود العرش، وأنه مخلوق من مخلوقات الله، وأنه أكبر من الكرسي، وأن الكرسي أكبر من السماوات، وهذا يدلّ على عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي هذه مخلوقاتُه العظيمة الهائلة(٢).

الوجه الثاني: أن الله أضافه إلى نفسه إضافة تشريف لا إضافة صفة إلى موصوف.كما في قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٣)، وفي الآية تصريح بأن الكرسي من أعظم المخلوقات، وأنه قائم بنفسه، وليس شيئا معنويا،ولو كان شيئا معنويا لما صح أن يقارن بالسموات والأرض،ولهذا بين علماء السلف أن الكرسي موضعُ القدمين، وأنه بين يدي العرش، وهذا كله يدل على أنه مخلوقٌ مستقل، ويدل أيضا على بطلان قول القائلين إن الكرسي صفة من صفات الله تعالى، والمراد منه العلم أو القدرة أو التدبير.

الوجه الثالث: أنه جاء في الأحاديث والأخبار عن النبي ﷺما يبين أن الكرسي مخلوق، فقد أخبر ﷺ أن الله يضع كرسيه يوم القيامة للفصل بين العباد، كما صدق النبي ﷺ قصة العجوز لما قالت لمن ظلمها: "سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل، بماكانوايكسبون،.قال النبي ﷺصدقت صدقت"(٤).

وأخبر أيضا أن الله ينزل من العرش إلى الكرسي، كما في قوله ﷺ :"يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي" وجاء في بعض رواياته: "أن النبي ﷺ يرى ربه يوم القيامة وهو على كرسيه"(٥) فقوله في الحديث: "إذا وضع الله الكرسي"، وقوله : "ينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي"، وقوله: "فأرى

---

(١)تقدم تخريجه في (ص: ٩٢) من البحث.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٧).

(٣) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.

(٤) سيأتي تخريجه في (ص: ٣٨٢) من البحث.

(٥) سيأتي تخريجه في (ص: ٣٨٤).

ربي وهو على كرسيه"فيه دلالة واضحة على وجود الكرسي وكونه مخلوقا، لأنه لو لم يكن مخلوقا موجودا ومستقلا لما صح أن يقال ينزل الله من العرش إلى الكرسي، ولم يكن لوضعه للفصل بين الخلائق من معنى، وفي هذا رد على من زعم أن الكرسي عبارة عن العلم أو الملك، إذ كيف يستقيم القول بأن الله يضع علمه للعباد، أو أنه ينزل على علمه، أو أن محمدا ﷺ يراه وهو على علمه.!!!!

المطلب الثاني

سعة الكرسي وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: الأدلة على سعة الكرسي.

المسألة الثانية: سعة الكرسي بالنسبة للعرش .

المسألة الأولى

الأدلة على سعة الكرسي

الكرسي مخلوق عظيم لا يعرف قدر عظمته إلا خالقه، والذي وصل إلينا علمه أنه أكبر وأعظم من السموات والأرض، ولما كانت السموات والأرض أعظم ما يشاهده البشر فإن النصوص الدالة على سعة الكرسي بينت ذلك بمقارنته بالسموات والأرض، وهذه المقارنة تأتي تارة على إطلاق سعة الكرسي وكونه محيطا بالسموات والأرض، وتأتي أحيانا بذكر حجم السموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي، ويظهر من خلال هذه المقارنة سعة الكرسي وبيان عظمته كما دل عليه الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

أولا:دلالة القرآن على سعة الكرسي.

أخبر تعالى في كتابه عن سعة الكرسي وعظمته، وورد ذلك في أعظم آية في القرآن الكريم،كما جاء في آية الكرسي حيث قال تعالى:﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[1]، وقد بين المفسرون المراد من سعة الكرسي الواردة في هذه الآية، وأوضحوا أن السموات السبع بعظمتها وسعتها في جوف الكرسي، والكرسي محيط بها من جميع الجوانب، كما قال السدي:﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[2]،"فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه."[3]، والوسع هنا الكبر والفضل والقوة والطاقة، لأن كل ما وسع شيئا، فقد حمله وأطاقه[4].

فقوله ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ يعني: أن كرسيه محيط بالسماوات والأرض، وأكبر منها، لأنه لولا أنه أكبر ما وسعها[5]. والمراد بكونه وسع السموات والأرض كما قال الشوكاني: أنها

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١)، وابن بطة في الإبانة(٧/ ٣٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات(١/ ١٩٥).

(٤) انظر:الفتح القدسي في آية الكرسي للبقاعي (ص:١٣٦)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧٢).

(٥) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ١٧١).

صارت فيه وأنه وسعها ولم يضق عنها لكونه بسيطا واسعا[١].

وصيرورة السموات والأرض في الكرسي تقتضي أنه محيط بهما من جميع الجوانب، لكونه قد وسعها، ومن تأمل في خلق الأرض تبين له ذلك، لأنه مما ثبت يقينا أن الأرض في السماء الدنيا، والسماء الدنيا محيطة بالأرض من كل الجوانب، وكل سماء محيطة بالتي تحتها، والكرسي محيط بالسموات كلها كما نطق بذلك كتاب ربنا[٢]، ولهذا فإن الأرض التي نحن فيها نقطة صغيرة جدا بالنسبة إلى السماء، والأرض والسماوات مجتمعة في غاية الصغر بالنسبة للكرسي، والكرسي فوق ذلك محيط بجميعها[٣].

ومن خلال ما تقدم من تفاسير أهل العلم يتبين أن الكرسي مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى وصفه الله سبحانه بأنه وسع السموات والأرض، وذلك لسعته وعظم خلقه، وكبر مساحته، ونسبة السموات والأرض إليه تعد نسبة ضئيلة جدا[٤].

ثانيا: دلالة السنة بسعة الكرسي وعظمته.

تقدم مما سبق بيان عظمة الكرسي وسعته في القرآن الكريم، وكونه محيطا بالسموات والأرض، وقد جاء في السنة النبوية توضيح هذه السعة المذكورة في القرآن، وذلك بمقارنة السموات للكرسي وبيان أنها لا تساوي إلا شيئا يسيرا بالنسبة إليه، كما في قوله ﷺ"ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة[٥]"[٦].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧٢).

(٢) انظر:الفتح القدسي في آية الكرسي للبقاعي (ص: ١٣٧).

(٣) انظر:التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (ص: ٥٩١).

(٤) انظر:آية الكرسي وبراهين التوحيد لشيخنا عبد الرزاق البدر (ص: ٤٦).

(٥) الحلقة: حلقة الدرع المكون من حلق من الحديد، فالحلقة من الحديد من الدرع تكون بالنسبة للفلاة لا شيء، فلاة من الأرض واسعة ضاع فيها حلقة من حلق الدرع ماذا تكون نسبتها وماذا تشغل من الأرض؟! لا شيء. تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد (ص: ٣٦٥).

(٦) تقدم تخريجه في (ص: ٩٢) من البحث .

ووجه دلالة الحديث على سعة الكرسي واضح: حيث بين ﷺ نسبة السموات والأرض إلى الكرسي، وأنها كحلقة موضوعة بأرض فلاة، فماذا تساوي الحلقة الصغيرة الملقاة في الفلاة إلى الفلاة، لا شك أنها نسبة ضئيلة جدا، فكذلك السموات والأرض نسبتها إلى الكرسي كنسبة الحلقة إلى الفلاة(١).

قال الشيخ الألباني: "والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٢)، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا. ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان."(٣).

ثالثا: أثار السلف الدالة على سعة الكرسي وعظمته.

وردت آثار كثيرة عن السلف فيها دلالة واضحة على سعة الكرسي وعظمته، وتنوعت هذه الآثار والأقاويل في بيان عظمته وسعته، فمنها ما فيها بيان سعة الكرسي ببيان البعد بينه وبين السماء، كما قال ابن مسعود: "ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه"(٤).

ومنها ما فيها بيان سعة الكرسي بالمقارنة بينه وبين السموات والأرض، وأنها صغيرة جدا بالنسبة إلى الكرسي، كما قال ابن عباس: "لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في

---

(١) انظر: آية الكرسي وبراهين التوحيد لشيخنا عبد الرزاق البدر (ص: ٤٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٢٦).

(٤) أخرجه الدارمي في رده على الجهمية (ص: ٥٥)، وأخرجه أيضا في رده على البشر المريسي (١/ ٤٢٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٤٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات(٢/ ٢٩٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى، الكتاب الثالث (٣/ ١٧٢)، وأورده الذهبي في كتاب العرش(٢/ ١٦٤) وقال: "رواه البيهقي واللالكائي بإسناد صحيح عنه".

المفازة"[١].وقال مجاهد: " ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة،[٢] وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة[٣].ومن خلال ما سبق من النصوص يظهر أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عظيم جدا، جعله الله بهذه العظمة، وأنه وسع السموات والأرض، وأن السموات والأرض في غاية الصغر بالنسبة إليه مما يبين سعته وعظمته.

وفي هذا دلالة على كمال عظمته سبحانه وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١(وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٨٠)، والسيوطي في آية الكرسي (ص: ٧٢)، وأورده الشوكاني وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر. فتح القدير (١/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٣/ ٩٥١)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٢٤٧)،والبيهقي في الأسماء والصفات(٢/ ٣٠١) قال ابن حجر:"أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه" فتح الباري (١٣/ ٤١١).

(٣). الشطر الأخير من الأثر أخرجه أبو الشيخ في العظمة(٢/ ٦٣٢).

(٤) تفسير السعدي (ص: ١١٠).

المسألة الثانية

سعة الكرسي بالنسبة للعرش

تقدم أن الكرسي من أعظم مخلوقات الله بعد العرش، وأنه محيط بجميع السموات والأرضين، وأنها لا تساوي بالنسبة إليه شيئا مذكورا، ومع كونه موصوفا بهذه السعة والعظمة إلا أنه لا يساوي بالنسبة إلى العرش شيئا يذكر، فقد دلت النصوص على أن نسبته إلى العرش كنسبة السموات والأرض إليه، وهي نسبة صغيرة جدا كما في قوله ﷺ: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"(١).

وفي هذا دلالة على صغر الكرسي بالنسبة إلى العرش، وأن نسبته إليه كنسبة الحلقة الملقاة في أرض فلاة، فهو متناهي الصغر بالنسبة إلى عرش الرحمن، وهذا يبين أن العرش أعظم منه، وأن سعة الكرسي لا تساوي شيئا مذكورا بالنسبة للعرش العظيم(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين في تعليقه على قوله ﷺ: "وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة": " إذن لا أحد يقدر سعته، وإذا كنا نشاهد من المخلوقات المشهودة الآن التباين العظيم في أحجامها. ولقد أطلعني رجل على صورة الشمس وصورة الأرض، فوجدت أن الأرض بالنسبة لهذه الشمس كنقطة غير كبيرة في صحن واسع كبير، وأنها لا تنسب إلى الشمس إطلاقا، فإذا كان هذا في الأشياء المشهودة التي تدرك بالتلسكوب وغيره فما بالك بالأشياء الغائبة عنا لأن ما غاب عنا أعظم مما نشاهد قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣). فالحاصل أن العرش هو سقف المخلوقات كلها، عرش عظيم استوى عليه الرحمن ـ جل وعلا"(٤).وقد تقدم قول السلف أن الكرسي هو موضع القدمين، وهذا يشير أيضا إلى صغره بالنسبة إلى العرش، لأن العرش الذي هو السرير للملوك أعظم من الكرسي الموضوع بين يديه كالسلم للارتقاء إلى السرير، كما سيأتي توضيحه لاحقا.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٩٢) من البحث.

(٢)انظر:التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٩١)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٧)، آية الكرسي وبراهين التوحيد لشيخنا عبد الرزاق البدر (ص: ٤٦).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ١٤٠).

المطلب الثالث

أن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه

تقرر فيما سبق اصطلاح أهل السنة في الكرسي المضاف إلى الله تعالى، وتم البيان بأنه مخلوق عظيم بين يدي العرش كالمرقاة[1] إليه، كما تقدم في أثر ابن عباس وأبي موسى الأشعري، وفي هذا المطلب سيتم البيان في صحة استدلالهم لهذه الآثار على تعريفهم الاصطلاحي، مع بيان مرادهم في هذا التعريف، وذلك من وجهين:

أولا: وجه استدلالهم للأثر.

لم يأت نص من كتاب ولا سنة يدل على أن الكرسي بين يدي عرش الرحمن ولكن وردت آثار صحاح عن الصحابة خرجت مخرج التفسير والبيان لمعنى قوله تعالى:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[2]،وقد دلت هذه الآثار على أن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه[3]، وهذه آثار ثابتة عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم وقد تقدم بيانها عند الكلام عن معنى الكرسي عند السلف بما أغنى عن إعادتها.

والمقصود هنا بيان أنه لما كانت هذه الآثار ثابتة عن الصحابة رضوان الله عليهم وكان الكرسي من الأمور الغيبية التي لا مجال للرأي فيها فإن العلماء بينوا أنها تأخذ حكم الرفع ويصح الاستدلال بها في هذه المسألة لأنها تحدثت عن أمور لا تدرك بالاجتهاد ولا تصدر عن رأي مجرد.

---

(١) المرقاة بفتح الميم وكسره: الواحدة من المراقي في الجبل والدرجة، تقول: هذا جبل لا مرقى فيه ولا مرتقى. وما زال فلان يترقى به الأمر حتى بلغ غايته. العين (٥/ ٢١١)، تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٢٤)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٦١)، مختار الصحاح (ص: ١٢٧)، لسان العرب (١٤/ ٣٣٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) وهذه الآثار وردت بألفاظ متقاربة بمعان متماثلة كما قال نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر حيث قال: "وقد روى بن أبي حاتم من وجه آخر عن بن عباس أن الكرسي موضع القدمين وروى بن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله وأخرجا عن السدي أن الكرسي بين يدي العرش وليس ذلك مغايرا لما قبله والله أعلم." : فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٩٩).

وفي هذا يقول الشيخ ابن عثيمين: " الكرسي هو موضع قدمي الله عز وجل؛ وهو بين يدي العرش كالمقدمة له؛ وقد صح ذلك عن ابن عباس موقوفاً[١]، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للاجتهاد فيه، وما قيل من أن ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ عن بني إسرائيل فلا صحة له،بل الذي صح عنه في البخاري أنه كان ينهى عن الأخذ عن بني إسرائيل[٢].

فأهل السنّة والجماعة عامتهم على أن الكرسي موضع قدمي الله عز وجل؛ وبهذا جزم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما من أهل العلم، وأئمة التحقيق؛ وقد قيل: إن الكرسي هو العرش؛ ولكن ليس بصحيح؛ فإن العرش أعظم، وأوسع، وأبلغ إحاطة من الكرسي "[٣].

ثانيا: بيان المعنى المراد من الأثر.

لما كانت هذه الآثار صحيحة عن السلف من الصحابة وغيرهم، فإن العلماء قاموا ببيان معانيها ، كما قال البيهقي: "وتأويله عند أهل النظر مقدار الكرسي من العرش، كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، فيكون السرير أعظم قدرا من الكرسي الموضوع دونه موضعا للقدمين. هذا هو المقصود من الخبر عند بعض أهل النظر والله أعلم، والخبر موقوف لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ"[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٣٦٢) من البحث.

(٢) يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول:"كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺأحدث تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتصام بالسنة/ باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) حديث رقم: (٦٩٢٩).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٢٥٤).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٩٧).

وقال ابن عطية: في قول أبي موسى الأشعري "الكرسي موضع القدمين" : "يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين من أسرة الملوك، فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته إليه كنسبة الكرسي إلى سرير الملك."(١)

وقال ابن العربي: " ومعناه أن العرش منصوب كهيئتي الدست(٢)، والكرسي، موجود تحته كهيئة الكرسي الموضوع للملك في الدنيا يرقى إلى الدست عليه، ويضع إذا جلس قدميه فيه، وهي جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه، ولم يرد في هيئته حديث يعول عليه، فلا يلتفت إليه أما أنه من الجائز أن يكون كذلك والله أعلم بوجه الحكمة في خلقه"(٣).

وهذا هو مقتضى مفهوم الكرسي عند العرب، لأنهم يطلقون الكرسي على المرقى للسرير _الذي يسمى العرش- الذي يضع الصاعد عليه قدمه، إذا صعد وإذا نزل، وحين يستوي إن شاء، وهو المراد هنا إن شاء الله(٤).وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من أن الكرسي موضع القدمين من العرش، لأن الجالس على عرش يكون مرتفعا عن الأرض فيوضع له كرسي لئلا تكون رجلاه في الفضاء إذا لم يتربع(٥).

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٨)

(٢) الدست: كلمة فارسية معربة تطلق على عدة معان : واستعملها المتأخرون بمعنى الديوان، ومجلس الوزارة، والرئآسة، وهو قسم من الأرائك يكون في صدر الحجرة وهو مجلس الشرف، ويطلق على كرسي من أربعة كراسي لكتَّاب يكتبون بها يريد السلطان ، و يضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابة عنه و ترسل للتنفيذ ، و يقال كراسي الدست ، أو توقيع الدست ، أو كتبة الدست انظر:تاج العروس (٤/ ٥١٨)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي(ص: ٧٥) تكملة المعاجم العربية(٤/ ٣٤٩).

(٣) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص: ٢٣٣).

(٤) الفتح القدسي في آية الكرسي (ص: ١٣٧)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤/ ٣٥).

(٥) التحرير والتنوير (٣/ ٢٣).

ولما كان ذلك مقتضى لسان العرب، وكان خطاب الشرع بلسان عربي مبين، قال غير واحد من السلف: **إن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه**[١]، وكان ذلك بيانا منهم لمعاني آي القرآن، ولم يكن خوضا للحقائق والكيفيات التي استأثر الله بعلمها[٢].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٣٧١).

(٢) ولا يعترض على هذا ما روي عن بعض السلف أنهم يروون هذه الأحاديث لا يفسرون منها شيئا. كما في العلو للعلي الغفار (ص: ١٤٦)، فإن مقصودهم من قوله "لا يفسرون منها شيئا" أي أن ترك التفسير إنما كان عند السؤال عن الكيفية، أما معانيها الظاهرة فكانوا من أحرص الخلق في إثباتها. انظر: العرش للذهبي (٢/ ٣٠٢).

المبحث الثالث

ما جاء في نزول الله من العرش إلى الكرسي يوم القيامة

تقرر عند السلف وأصحاب الحديث أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف؟، بل يثبتون له ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله تعالى، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والإتيان في ظلل من الغمام والملائكة[1].

وليس المقصود هنا الكلام عن صفة المجيء والنزول وإثباتها لله تعالى والرد على من أنكرها، فإن الكلام عن هذا له موضع آخر، وإنما المقصود هنا بيان مسألة أخرى متعلقة بنزول الله تعالى، وهي مسألة نزوله تعالى من العرش إلى الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء، والكلام عن هذه المسألة من وجهين:

الوجه الأول: إثبات نزول الله من العرش إلى الكرسي لفصل القضاء.

تنوعت دلالات النصوص على أنواع النزول الإلهي، فمنها ما دل على أنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ومنها ما دل على أنه ينزل لأهل عرفة عشية عرفة، ومنها ما دل على نزوله تعالى يوم الحشر لفصل القضاء، وقد بين علماء السلف أنواع النزول الإلهي وذكروا ما ورد في ذلك من الأدلة[2]، وليس المراد هنا بيان تلك الأنواع وبسط أدلتها، وإنما المقصود هنا بيان نوع من أنواع النزول الإلهي، وهو نزوله تعالى يوم القيامة للحكم بين العباد.

كما جاء في حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:"يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولِّي كل ناس ما كان يتولى

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٦).

(٢) انظر:الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٨٥) وما بعدها.

ويعبد في الدنيا؟ أليس ذلك عدلا من ربكم؟ قالوا: بلى فينطلقون، فيتمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان، ويتمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ولمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد وأمته، فيتمثل الرب عز وجل لهم فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة فإذا رأيناه عرفناه، فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساق. فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخرون، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، والرب عز وجل أمامهم "(١).

والشاهد من الحديث قوله "وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي" ففيه بيان أنه تعالى ينزل من عرشه إلى كرسيه، لفصل القضاء، والقرآن والسنة شهدا على ما دل عليه هذا الحديث من نزول الله تعالى يوم القيامة.

أولا: دلالة القرآن على أن الله ينزل يوم القيامة لفصل القضاء.

أخبر تعالى في غير ما آية من كتابه أنه يأتي يوم القيامة ليحكم بين العباد، وتنوعت دلالات النصوص على مجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء، وجاءت بألفاظ متقاربة المعاني، فتارة تأتي بلفظ الإتيان كما قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(٢). وقال أيضا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ ﴾(٣). وقال أيضا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾(٤).وتارة تأتي بلفظ المجيء، كما قال تعالى:

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٢٠)، والدارقطني في رؤية الله (ص: ٢٦٦) وأورده الذهبي في العلو (ص: ٩٢)، وقال إسناده حسن.وقال الألباني: هو كما قال أو أعلى. مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨ .

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٣ .

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[(١)]. وتأتي بلفظ النزول تارة أخرى كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾[(٢)].

قال الضحاك بن مزاحم[(٣)]: " إن الله يأمر السماء يوم القيامة فتنشق بمن فيها، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ويأمر السماء الثانية، حتى ذكر سبع سموات، فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس. قال: ثم ينزل الله في بهائه وجماله، ومعه ما شاء من الملائكة.."[(٤)].

ثانيا: دلالة السنة على أن الله ينزل يوم القيامة.

قد دلت السنة أيضا على ما دل عليه القرآن من مجيء الله تعالى وإتيانه ونزوله يوم القيامة للفصل بين العباد كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت .. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه..."[(٥)].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢١ – ٢٢.

(٢) سورة الفرقان،الآية: ٢٥ – ٢٦.

(٣) الضحاك بن مزاحم، أبو القاسم الهلالي البلخي، المفسر المحدّث النحوي كان من أوعية العلم، قيل توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل سنة ١٠٥هـ، وقيل سنة ١٠٦هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٠٠)، التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٤/ ٣٣٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨).تاريخ الإسلام (٣/ ٦٣).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣١٨، ٢٢/ ٢١٧، ٢٣/ ٢٥٢، ٢٤/ ٣٨٦)، وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٩/ ١٢٨)، (كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، ورقمه: (٧٤٣٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه(١/ ١١٢)، (كتاب الإيمان/ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة)، ورقمه: (١٨٢).

والحديث واضح الدلالة على إثبات صفة المجيء والإتيان لله تعالى، لأنه لما ذكر تلك المعبودات، ذكر أنه يمثل أشباهها، كما تقدم في حديث ابن مسعود السابق، وأن المعبود من الأنبياء تأتي شياطينهم؛ لأنهم قد اتبعوها في الدنيا وعبدوها، وذكر أن الرب - تعالى - لما امتحن العباد هو الذي يتمثل لهم، وهو الذي أظهر لهم العلامة التي عرفوه بها حتى سجدوا. فلو كان الآتي هو ملك من ملائكة الله، أو شيء من مخلوقاته، لكان بيان هذا أولى من بيان أن أولئك إنما جاءت أشباههم، إذ في هذا من المحذور ما ليس في ذلك، بل هذا التفريق بين هذا وهذا دليل واضح على أن الذي أتاهم هو رب العالمين، الذي تمثل لهم في الصورة، والذي اتبعه المشركون هو أشباه المعبودات، وشياطين الأنبياء.

ومما يبين ذلك ما أخبر به: أنه بعد إتيانه إياهم في الصورة التي يعرفون، وإظهار الآية التي عرفوه بها، وسجود المؤمنين له دون المنافقين أنهم اتبعوه حتى مروا على الصراط، ..، فلو كان الذي جاء في هذه المرة الثانية هو بعض النعم - كما زعم المحرفون - لكانوا قد اتبعوا تلك النعمة المخلوقة، وليس الرب الذي عبدوه، وهو خلاف نصوص الأحاديث، وخلاف العدل الذي أخبر به الحديث، وذلك أن العبادة مستلزمة كمال المحبة للمعبود، وكمال التعظيم له، فإن المعبود هو الذي يقصد ويحب لذاته، والمرء مع من أحب، وهذا حقيقة العدل: أن يكون الإنسان مع المحبوب الذي يحبه محبة كاملة بحيث يحبه لذاته.وإذا كان كذلك فيمتنع أن يكون المؤمنون متبعين لغير الله، والذي جاءهم هو الذي اتبعوه، وهو الله، وهو الذي جاءهم في الصورة التي عرفوه فيها[1].

الوجه الثاني: الكلام على الكرسي الذي ينزل الله عليه يوم القيامة.

إن من المتقرر عند أهل السنة أن الله يأتي يوم الحشر لفصل القضاء كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ولما كان ذلك واقعا في أرض المحشر، وكان الله ينزل من عرشه إلى كرسيه، استشكل بعض أهل العلم على هذا الكرسي الذي ينزل الله عليه يوم القيامة هل هو الكرسي المذكور في القرآن أم هو كرسي آخر؟ كما ذهب إليه ابن كثير.

ومن ثم يكون لله كرسيان، كرسي هو موضع قدميه وهو بين يدي العرش كما تقدم،

---

(١) انظر:بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ٩٦-٩٧)،

وكرسي آخر يضعه الله يوم القيامة وينزل عليه لفصل القضاء، كما ذكر ابن كثير في تفسير آية الكرسي حيث قال:"روي أحاديث عن بريدة وجابر وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء، والظاهر أن ذلك غير المذكور في هذه الآية"(١).

والحديث الذي يشير إليه ابن كثير هو حديث جابر ﷺ قال: " لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل، بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله ﷺ: صدقت، صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم"(٢).

والشاهد من الحديث على ما ذهب إليه ابن كثير هو قوله:" إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين" ففيه دليل على أن الله يضع هذا الكرسي للقضاء بين العباد، والفصل بين الخلائق، ولم يتبين لي وجه استشهاد ابن كثير لهذا الحديث على أنه كرسي آخر غير المذكور في الآية!!!

والذي تدل عليه الآثار والأحاديث أن الكرسي الذي ينزل الله عليه يوم القيامة هو كرسيه المذكور مع العرش الوارد ذكره في القرآن الكريم وذلك من وجوه:

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه(٥/ ١٤٣)،(كتاب الفتن/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ورقمه : (٤٠١٠)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٤٤٣)، وأورده ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ١٧٢)، وقال الذهبي:"إسناده صالح". العلو للعلي الغفار (ص: ٨٥)، وقال الألباني:"وإسناده صحيح لولا أن عطاء بن السائب كان اختلط، ولكنه يستشهد به فالحديث به صالح إن شاء الله تعالى". مختصر العلو للعلي العظيم (ص: ١٠٧).

الوجه الأول: أن الله أخبر في كتابه أن له كرسيا واحدا كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[(١)]، ولم يأت نص صحيح يدل على أن له كرسيا آخر غير المذكور في القرآن، وهذا دليل على أن الكرسي الوارد في الحديث الذي ينزل الله عليه يوم القيامة هو نفس الكرسي المذكور في القرآن، ومما يوضح ذلك:

أولا: أن الكرسي الوارد في حديث القضاء بين العباد معرّف بالألف واللام، كما في قوله:" إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين"، وأداة التعريف "أل" تدخل على الشيء المعهود[(٢)]، فدل ذلك على أن المراد من الكرسي هنا هو الكرسي المعهود وهو المذكور في القرآن، لأن الله تعالى أخبر في القرآن أن له عرشا وكرسيا، وأخبر ﷺ أنه ينزل من العرش إلى الكرسي، كما في قوله: "وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي"، فكما لا يقال: "إن العرش هو عرش آخر"، فكذلك الكرسي ، لا يقال: "إنه كرسي آخر".

ثانيا: أن يقال: إن النصوص دلت على أن فصل القضاء يقع في أرض المحشر، وأن الله يضع كرسيه وينزل من عرشه إلى هذا الكرسي الموضوع، وهذا يدل على أن الكرسي الموضوع هو الكرسي المرفوع فوق السموات والأرض، لأن الوضع ضد الرفع، والكرسي المرفوع هو المذكور في القرآن الكريم.

ولهذا نقل أبو الحسن الأشعري إجماع أهل السنة على أن الكرسي الموضوع للقضاء يوم القيامة هو الكرسي المعروف المذكور مع العرش. فقال في الإجماع التاسع: ".. وأنه له عز وجل كرسياً دون العرش، وقد دل الله سبحانه على ذلك بقوله:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[(٣)]، وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ أن الله تعالى يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه"[(٤)]. وفي هذا دليل واضح على أن الكرسي الموضوع للحساب هو الكرسي الذي وسع السموات

---

(١) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.

(٢) قال ابن عقيل:"والألف واللام المعرفة تكون للعهد كقولك لقيت رجلا فأكرمت الرجل وقوله تعالى:﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٥ – ١٦]". شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ١٧٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٣٣).

والأرض بإجماع العلماء من أهل السنة والجماعة.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ أخبر في حديث الشفاعة الطويل أنه يأتي ربه وهو على كرسيه أو سريره، كما في حديث ابن عباس، وفيه : " ثم آتي باب الجنة، فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول:محمد، فيفتح لي، فأرى ربي عز وجل، وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجدا"(١).

والشاهد من الحديث هو قوله "فأرى ربي عز وجل، وهو على كرسيه أو سريره"، وفي هذا دليل على أن النبي ﷺ، يأتي ربه يوم الحشر في داره وهو على كرسيه، وهذا الكرسي المذكور هو الكرسي الموضوع للحكم بين العباد، وذلك لأن النبي ﷺ أخبر أن الله يضع كرسيه لفصل القضاء، وقد تقدم بيان أن الكرسي الموضوع لفصل القضاء هو المذكور في القرآن، وهو الذي يفهم من السياق ، ولو كان كرسيا غير هذا لدلت عليه النصوص.

ومن خلال ما تقدم من النصوص يتبين أن الله يضع كرسيه للفصل بين العباد وهذا تمهيد لنزوله تعالى، ثم ينزل الله في ظلل من الغمام ومعه الملائكة الكرام، من عرشه إلى الكرسي الموضوع، فيأتيه المصطفى ﷺ في داره وهو على كرسيه فيخر له ساجدا ويفتح الله عليه من محامده ما لم يفتح له من قبل ويأذن له الشفاعة في فصل القضاء.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢٩)، والدرامي في رده على المريسي (١/ ١٨٨)، وفي رده على الجهمية(ص: ١١٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٦١٣)، قال الذهبي :"وأخرجه العسال من حديث ثابت البناني بإسناد صحيح." العرش للذهبي (٢/ ٥٩)، وقال الألباني:"قد ذكره الذهبي في العلو من رواية البخاري عن أنس مختصرا جدا، إلا أنه قال:" وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفةبإسناد قوي عن ثابت عن أنس ..."، فذكره مثل حديث الترجمة. قلت: ولم أقف على إسناده، ولذلك لم أتكلم عليه في كتابي مختصر العلو((ص ٨٧ – ٨٨) ، فإذا ثبت بإسناده ولفظه وجب نقله إلى الكتاب الآخر. والله أعلم." سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ٨٢)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند. (٤/٤٢٩). والمتن بنحوه في الصحيح البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال:"فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي"(كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، ورقمه: (٧٤٤٠).

وفي هذا دليل بين على أن الكرسي الموضوع الذي ينزل الله عليه، والذي يرى محمد ﷺ ربه حين استئذانه عليه للشفاعة هو الكرسي الذي وسع السموات والأرض، كما بين الدارمي في رده على بشر المريسي حين أنكر الكرسي وفسره بالعلم، فقال رحمه الله: "أيحتاج الرب عز وجل أن يضع محاسبة العباد على كتاب علمه، وأقضيته يحكم بها فيه بينهم؟ ولا أراك مع كثرة جهلك إلا وستعلم أنك احتججت بباطل، جعلته أغلوطة تغالط بها أغمار الناس وجهالهم.

وقد روي عن ابن عباس أيضا، عن النبي ﷺ قال: "آتي باب الجنة فأقرعه فيفتح لي، فأرى ربي وهو على كرسيه، فيتجلى لي فأخر ساجدا"[1].

فهل يجوز لك في تأويلك أنه يأتي ربه وهو على علمه؟ إذ ادعيت أن من زعم أن الكرسي غير العلم أكذبه القرآن بما رويت فيه عن ابن عباس[2]، فهذا ابن عباس يخبر عن رسول الله ﷺوعن نفسه خلاف ما رويت فيه: فكيف تحيد عن هذا المشهور، عن ابن عباس إلى المغمور عنه إلا من ظنة وريبة ويلك! وهل بقي أحد من نساء المسلمين وصبيانهم إلا وقد عقل أمر العرش والكرسي، وآمن بهما إلا أنت ورهطك؟ وليس العرش والكرسي مما ينبغي أن يسند في تثبيتهما الآثار ويؤلف فيهما الأخبار لولا أغلوطاتك هذه. لما أن علمهما والإيمان بهما خلص إلى النساء والصبيان، إلا إليك وإلى أصحابك، طهر الله منكم بلاده، وأراح منكم عباده"[3].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٣٨٤) من البحث.

(٢) سيأتي ما روي عن ابن عباس من تفسيره الكرسي بالعلم عند الكلام عن الأقوال المخالفة لقول أهل السنة في الكرسي.

(٣) رد الدارمي على المريسي (١/ ٤١٣-٤١٥).

وهذا الكلام من الإمام الدارمي واضح الدلالة على أن الكرسي الموضوع لفصل القضاء هو الكرسي المذكور مع العرش، حيث ذكر أن الرب عز وجل لا يحتاج أن يضع محاسبة العباد على كتاب علمه، ثم ذكر أن النبي ﷺيرى ربه وهو على كرسيه، وأنه لا يجوز تأويل هذا الكرسي بالعلم لأنه لا يصح أن يقال: إنه يأتي ربه وهو على علمه، ثم قرر أن أمر العرش والكرسي لا يجهله أحد من المسلمين، لأنهما ثابتان بالنصوص الصحيحة، والآثار الثابتة. والمقصود هنا أن هذا الإمام جمع بين الكرسي الذي يوضع لفصل القضاء مع الكرسي المذكور مع العرش مما يدل على أنه لا فرق بينهما. والله أعلم[1].

---

(١) هذا ما ظهر لي عند تتبعي للأدلة الواردة في الباب مع أقوال أهل العلم فيها، والعلم عند الله، فإن كان هذا التقرير صوابا فمن الله، وإن كانت الأخرى، فإلى الله أتوب وأساله أن يغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي.

المبحث الرابع

الأقوال المخالفة لقول أهل السنة في الكرسي والرد عليها

تقدم بيان قول أهل السنة في معنى الكرسي المضاف إلى الله تعالى وأنه مخلوق عظيم بين يدي العرش وتم البيان بأن هذا هو المعنى الصحيح الذي تشهد له الآثار والأحاديث وهو الذي تدل عليه اللغة، وقد خالف قول أهل السنة أقوام فسروا الكرسي بتفسيرات لا مستند لها من الشرع، فمنهم من قال الكرسي هو العرش نفسه، ومنهم من قال الكرسي هو الفلك الثامن، ومنهم من قال الكرسي تصوير لعظمة الله وليس هناك كرسي حقيقي، ومنهم من قال هو قدرة الله التي يمسك بها السموات والأرض، ومنهم من قال الكرسي هو علم الله ومنهم من قال غير ذلك(١)، وفيما يأتي توضيح هذه الأقوال وبيان بطلانها.

القول الأول : إن المراد بالكرسي هو العرش نفسه.

وهذا القول مروي عن الحسن البصري(٢)، فالكرسي والعرش واحد ولكنه مرة ذكر بلفظ العرش ومرة ذكر بلفظ الكرسي(٣) ومأخذ هذا القول هو أن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه(٤)،لأن السرير قد يوصف بأنه عرش، وبأنه كرسي، لكون كل واحد منهما يصح التمكن عليه(٥).

---

(١) للوقوف على هذه الأقوال يرجع إلى: تفسير الطبري(٤/ ٥٣٧-٥٣٩)، تفسير الماوردي(١/ ٣٢٤)، تفسير البغوي(١/ ٣١٢-٣١٣)، تفسير ابن عطية(١/ ٣٤٢)، تفسير ابن الجوزي(١/ ٢٢٩-٢٣٠)، مفاتيح الغيب(٧/ ١٢)، تفسير الزمخشري(١/ ٣٢٨)، تفسير القرطبي(٣/ ٢٧٦-٢٧٨)، تفسير ابن كثير(١/ ٦٨٠-٦٨١)، تفسير الخازن(١/ ١٩٠)، تفسير الشوكاني(١/ ٢٧٢)، تفسير لآلوسي(٢/ ١١).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٤/ ٥٣٩)، تفسير السمعاني(١/ ٢٥٨)، تفسير البغوي (١/ ٣١٢)، تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٢)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٦٨١).

(٣)تفسير السمرقندي (١/ ١٩٤).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٩٠).

(٥)مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ١٣).

وهذا القول رجحه الطاهر بن عاشور فقال: "وهذا هو الظاهر لأن الكرسي لم يذكر في القرآن إلا في هذه الآية، وتكرر ذكر العرش، ولم يرد ذكرهما مقترنين، فلو كان الكرسي غير العرش لذكر معه كما ذكرت السماوات مع العرش في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١]".

عدم صحة هذا القول وبيان بطلانه.

وهذا قول غير صحيح وذلك لعدم ثبوته عن الحسن البصري، لأن في إسناده جويبرا وهو متفق على ضعفه، كما قال فيه الحافظ ابن حجر: " ضعيف جدا"[٢].

قال ابن كثير :"وروى ابن جرير من طريق جويبر، عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسي هو العرش. والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار، وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة[٣]، عن عمر في ذلك، وعندي في صحته نظر، والله أعلم"[٤].

وأما قولهم "أن السرير قد يوصف بأنه عرش، وبأنه كرسي، لكون كل واحد منهما يصح التمكن عليه" فهذا صحيح إن كان المقصود منه جواز إطلاق العرش والكرسي على السرير في اللغة[٥]، لكن جاء التفريق بينهما في نصوص الشرع، كما تقدم بيانه في مقارنة الكرسي بالعرش وأن الكرسي لا يساوي بالنسبة إلى العرش إلا شيئا يسيرا، ولو كانا شيئا واحدا لما صحت المقارنة بينهما، وقد صح أيضا عن كثير من السلف أن الكرسي بين يدي العرش، ولو كانا شيئا واحدا لما صح التفريق بينهما في الذكر.

---

(١) سورة المؤمنون،الآية: ٨٦.

(٢) جويبر تصغير جابر ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب، هو ابن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي نزيل الكوفة راوي التفسير ضعيف جدا من الخامسة مات بعد الأربعين. تقريب التهذيب (ص: ١٤٣).

(٣) عبد الله بن خليفة الهمذاني تابعي مخضرم من كبار التابعين، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي ما بين ٨١هـ -٩٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٢١)، التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٨٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٤). تاريخ الإسلام (٢/ ٩٥٥)

(٤) تفسير ابن كثير(١/ ٦٨١).

(٥) انظر:بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٣٦٥).

ولهذا قال القرطبي: "وقال الحسن بن أبي الحسن: الكرسي هو العرش نفسه، وهذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه (١).

قال شيخ الإسلام "وقد قال بعضهم: إن الكرسي هو العرش؛ لكن الأكثرون على أنهما شيئان"(٢).

وقال ابن عثيمين:"وقد قيل: إن الكرسي هو العرش؛ ولكن ليس بصحيح؛ فإن العرش أعظم، وأوسع، وأبلغ إحاطة من الكرسي."(٣)

وأما عدم ذكرهما معا في القرآن فهذا لا يعني كونهما شيئا واحدا ، فقد يذكر الشيء في السنة ولا يذكر في القرآن كما هو شأن كثير من الأمور الشرعية، ناهيك أنهما ذكرا معا في السنة النبوية الصحيحة وهي صنو القرآن في الدلالة كما في قوله ﷺ" وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" ولوكانا شيئا واحدا لما صح التفاضل بينهما.

وقد تقدم بيان معنى العرش والكرسي في اللغة، وأن مادة العرش ترجع إلى العلو والارتفاع، ومادة الكرسي ترجع إلى الجمع، وهذا يدل على أن كرسي الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه له من الصفات العظيمة ما يختلف عن صفة العرش، لأن الله سمى العرش عرشا، و هذه لها دلالتها في اللغة، وسمى الكرسي كرسيا، وهذه لها دلالتها في اللغة(٤).

القول الثاني: إن المراد بالكرسي هو العلم.

وهذا القول هو قول الجهمية(٥)،فقد أولوا الكرسي بمعنى العلم كما أولوا العرش بمعنى

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٨)، وانظر: تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٥).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٢٥٤).

(٤) انظر:شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٥) رد الدارمي على المريسي (١/ ٤١٣-٤١٥)، ونحو هذا القول تفسير الكرسي بالقدرة كما قال الزجاج: "وقال قوم: كرسيه: قدرته التي بها يمسك السموات والأرض. قالوا: وهذا كقولك: اجعل لهذا الحائط كرسيا. أي: اجعل له ما يعتمده ويمسكه و هذا قريب من قول ابن عباس، لأن علمه الذي

الملك، وكل ذلك فراراً منهم عن إثبات علو الله واستوائه على عرشه، وفي هذا يقول ابن قتيبة(١): "وطلبوا للكرسي غير ما نعلم وجاؤوا بشطر بيت لا يعرف ما هو ولا يدرى من قائله: "ولا يكرسيء علم الله مخلوق" والكرسي غير مهموز بإجماع الناس جميعاً ويكرسيء مهموز."(٢)، وقد استدلوا على ذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، قال: "كرسيه علمه"(٣).

وهذا القول وجهه الإمام الطبري وذكر أن هذا هو الذي يدل على صحته ظاهر القرآن، فقال رحمه الله: "وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عنه أنه قال: هو علمه، وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره:

وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا، والله أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته أمر عظيم من أمر الله جل وعز." تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٣٣).

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. كان مولده سنة ٢١٣هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤١١)، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٦٦).

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص: ٤٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٤٠-٥٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩٠)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٢١)،والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٠٨)، ومداره على جعفر ابن أبي المغيرة وهو ليس بالقوي، ولم يتابع عليه، وخالفه الأئمة الحفاظ. ولهذا قال الدارمي: "وليس جعفر ممن يعتمد على روايته، إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون". رد الدارمي على المريسي (١/ ٤١٠)، وقال ابن منده: في الرد على الجهمية (ص: ٢١). "رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكرسي علمه. ولم يتابع عليه جعفر وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير." ونقل الذهبي في العلو(ص: ١١٧)، عن ابن الأنباري أنه قال: (إنما يروى هذا بإسناد مطعون فيه). ،وقال أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣) "والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره من عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره ثم قال: وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار".

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾(١)، على أن ذلك كذلك، فأخبر أنه لا يئوده حفظ ما علم، وأحاط به مما في السماوات والأرض، وكما أخبر تعالى عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(٢).

فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء، فكذلك قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، وأصل الكرسي: العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة..ومنه يقال للعلماء: الكراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم"(٣).

عدم صحة هذا القول وبيان بطلانه:

إن تفسير الكرسي بالعلم تفسير غير صحيح وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: عدم ثبوته عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذلك لأن في إسناده رجلا ضعيفا وهو جعفر ابن أبي المغيرة(٤)، ومع ضعفه جاء بمخالفة صريحة، لأنه روى عن ابن عباس خلاف ما رواه عنه الحفاظ المتقنون، فالمشهور عن ابن عباس كما تقدم أنه كان يقول "الكرسي موضع القدمين"، ولهذا قال الدارمي في رده على المريسي: "وليس جعفر ممن يعتمد على روايته، إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون."(٥)، وقال الأزهري:" والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار"(٦).

الوجه الثاني: أنه لا يعرف في اللغة أن الكرسي بمعنى العلم.

تقدم عند الكلام عن معنى اللغوي للكرسي، أنَّ أصل مادة الكرسي راجعة إلى الجمع، ولم يقل أحد من أئمة اللغة أن "كرس" بمعنى "علم"،ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وأما تسمية العلم كرسيا فهذا لا يعرف في اللغة، ولكن بعضهم تكلف له من قولهم كراس

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة غافر ،الآية: ٧.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٤٠-٥٤١).

(٤) هو جعفر ابن أبي المغيرة الخزاعي القمي بضم القاف. قيل: اسم أبي المغيرة دينار، صدوق يهم من الخامسة .تقريب التهذيب (ص: ١٤١).

(٥) رد الدارمي على المريسي (١/ ٤١١).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٣٣).

والكراس غير الكرسي فإن قدر أن يسمى الكرسي كراسا فهو الكتاب فيكون التقدير وسع كتابه السموات والأرض وهذا أبعد من لفظ العلم فإن كتابه ما فرط فيه من شيء ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾(١)"(٢).

وأما احتجاج الطبري تسمية العلماء كراسي، وتسمية الكراسة كراسة على أن الكرسي هو العلم، فهذا احتجاج ضعيف، لأن لقائل أن يقول: إنما سمي العلماء كراسي لجمعهم العلم لا لعلمهم، ففرق بين جمع العلم، وبين العلم نفسه، ولهذا لا يقال لطالب العلم المبتدئ إنه كرسي، وإن كان عنده علم، فتبين من هذا أن مادة كرس لم تخرج من أصلها الذي هو الجمع. وكذلك الكراسة، إنما سميت كراسة لأنها أوراق جمعت على هيئة مخصوصة، ولا يقال إنما سميت بذلك لوجود العلم فيها، لأنها تسمى كراسة سواء كان فيها علم أو كانت غير مسطورة بعلم.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "والعلماء صحيح أنهم جمعوا علومهم، لكنَّ العلم من حيث هو يحصل بتلقي المعلوم ثم العلم به والمعرفة به، فليس كل علم ناتجا عن جمع، بل يكون ناتجا عن تصور الخبر، فيكون معلوما له.

وهذا هو المقرر في اللغة عند أهل نظرية المعرفة، فإن المرء يعلم بدون جمع، والله – عز وجل – وصف الصغير بقوله ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ﴾(٣)، فكلما علم الصغير شيئا صار عالماً به ولو لم يجمعه إلى غيره، فمادة الجمع غير مادة العلم، مادة الكرسي غير مادة العلم، والعلم ما صار علماً للجمع، وإن كان العلماء سُمُّوا كراسي لأجل جمعهم العلم"(٤).

وعليه فإن تسمية العلماء بالكراسي إنما هو لوصولهم إلى مرتبة يجلسون فيها على الكراسي لتعليم الناس، فهذا من باب ذكر المحل وإرادة الحال، فالكرسي بمعنى العالم مجاز فهو تسمية له بمكانه لأنّ الكرسي مكان العالم الذي فيه العلم.

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٣٦٥).

(٣) سورة النحل،الآية:٧٨.

(٤) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٨-٤٦٩).

وأما إذا أضيف الكرسي إلى العالم، فلا يقع إلا على حقيقة الكرسي، لأنه لم يسمع عن العرب أنهم يقولون: "كرسي العالم بمعنى علم العالم"، فكما لا يقال هذا في كرسي العالم فكذلك لا يقال في الكرسي المضاف إلى الله تعالى. وأيضا: فإنه يصح أن يقال للعالم: "هذا كرسي من الكراسي"، أي: "عالم من العلماء"، فهل يصح أن يقال للعليم الخبير : "الله كرسي بمعنى عالم"، !!!!!

فمن جوز ذلك فقد أتى بما لم يسبقه الأولون وقال على الله قولا عظيما، ومن منعه فإنه يلزمه منع تفسير الكرسي بالعلم، لأن هذا لازم على من فسر الكرسي بالعلم. والله أعلم.

الوجه الثالث: أن تفسير الكرسي بالعلم يلزم منه محذور شرعي.

وذلك أنه إذا قيل أن معنى قوله تعالى:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي وسع علمه السموات والأرض، فإنه يلزم منه اقتصار علمه تعالى بالسموات والأرض، وهذا باطل فإن الله تعالى أخبر أنه قد أحاط بكل شيء علما، كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "..ففسروا الكرسي بالعلم مع أن هذا لا يعرف في اللغة البتة والله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما فلا يختص علمه بالسموات والأرض والمقصود بيان عظمة الرب سبحانه وهو بكل شيء عليم ويعلم ما كان وما يكون فليس في تخصيص علمه بالسموات والأرض مدح ولا لهذا نظير في القرآن فالرب لا يذكر اختصاص علمه بذلك قط."(١)

وقال أيضا:"قد نقل عن بعضهم: أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(٢)، والله يعلم نفسه ويعلم ما كان، وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السماوات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً، لا سيما وقد قال:﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾(٣)، أي: لا يثقله، ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم. والآثار المأثورة تقتضي ذلك"(٤).

والمقصود هنا أن علم الله عز وجل يشمل علمه بذاته عز وجل، وبأسمائه وصفاته

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٣٦٣).

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورةالبقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

وأفعاله، وعلمه عز وجل الذي يسع السموات والأرض، وعلمه عز وجل الذي يسع الجنة والنار، وعلمه عز وجل بعد تغير السموات والأرض، وقبل خلق السموات والأرض، فإذاً تفسير الكرسي بأنه العلم هذا يضاد أن علم الله يسع كل شيء، وبهذا يتبين بطلان القول بأن كرسيه علمه. والله أعلم(١).

القول الثالث: أن الكرسي عبارة عن القدرة والملك والسلطان.

وسمي المْلك بالكرسي لأن الملِك في حال حكمه وأمره ونهيه يجلس عليه فسمي باسم مكانه على سبيل المجاز(٢).

وهذا القول نسبه القرطبي إلى أهل الإلحاد فقال: "وأرباب الإلحاد يحملونها على عظم الملك وجلالة السلطان، وينكرون وجود العرش والكرسي وليس بشيء. وأهل الحق يجيزونهما، إذ في قدرة الله متسع فيجب الإيمان بذلك"(٣).

"وقالوا إذا قيل: "إن كرسي الملك واسع" فهذا يدل على سعة ملكه وعلى علو شأنه وقوته، فيقولون: الله عز وجل قال﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٤)، يعني أن سلطانه وملكه وسع السموات والأرض.وهذا ليس بجيد أيضا؛ لأن الكرسي من جهة دلالة اللغة غير دلالته على الملك، ولأن الكرسي موصوف في السنة وفي آثار السلف بأنه غير الملك، فدل ذلك على أن تفسيره بالملك تفسير حادث، والتفسير الحادث بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم لا يصار إليه في تفسير القرآن"(٥).

القول الرابع : أن الكرسي تصوير لعظمته تعالى وتخييل فقط.

وذلك أن الكرسي لما ذكر في آيةٍ واحدة في القرآن الكريم دل ذلك على أنه تمثيل وأنه ليس ثمَّ حقيقة للكرسي، ولكن هو تمثيل لتقريب عظمة الله. وهذا القول معروف من أقوال

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٨).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٦١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٧).

(٤) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

(٥) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٩-٤٧٠).

المعتزلة وطائفة من الأشاعرة(١) واختاره الزمخشري والقفال وغيرهما. قال الزمخشري:" وفي قوله ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ﴾ أربعة أوجه : أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد، كقول: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾(٢)، من غير تصور قبضة وطي ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي. ألا ترى إلى قوله ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾"(٣).

وهذه طريقة سلك فيها الذين ينفون كثيرا من الصفات التي تدل على عظمة الله وقدرته كقوله ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾(٤)، ونحو ذلك فيقولون: إن هذا كله تخييل؛ بل قالوا: إن كل نص جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل فإنه لأجل التخييل لا تقصد حقائقه، وإنما المقصود تعظيم الناس لله عز وجل وإلا فهذه ليست على حقائقها(٥).

وهذا ما قرره الزمخشري في تفسيره حيث قال في تفسير الآية المتقدمة: "والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين."(٦).

وقال الرازي(٧) عند ذكره أقوال الناس في الكرسي: "والقول الرابع: ما اختاره القفال وهو أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك أنه جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت

---

(١) انظر:التيسير بشرح الجامع الصغير(٢/ ٢٢٧) فتح القدير (١/ ٢٧٢).

(٢) سورة الزمر،الآية: ٦٧.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٠١).

(٤) سورة الزمر،الآية: ٦٧.

(٥)شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٦).

(٦) تفسير الزمخشري (٤/ ١٤٢).

(٧)والرازي نفسه يرجح قول أهل السنة في تعريف الكرسي.انظر: مفاتيح الغيب (٧/ ١٤).

ملوكهم وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيّين والشهداء ووضع الموازين فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١)...ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾(٢)"(٣).

وهذا القول مبني على قاعدتهم في أنَّ كل النصوص من هذا الباب على وجه التوهم والتخييل.

وهو قول باطل، لأنَّ معناه نفي كل الأمور الغيبية على هذه القاعدة، فما كان من الأمور الغيبية يدل على عظمة الله وكان فيها تمثيل بأشياء موجودة عند البشر فتنفى ويكون المقصود التمثيل لا الحقيقة. وفي الحقيقة إن القول بأن هذا كله على جهة التخييل إلغاء لكل الدلالات الشرعية للألفاظ وإلغاء لكل الغيبيات لأنه يكون المقصود في كل هذا التمثيل وكفى بذلك فسادا وبطلانا(٤)، لأنه لا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات(٥).

الخامس: أن الكرسي هو الفلك الثامن.

وهذا قول الفلاسفة وبعض المتكلمين(٦)، وسبب تسميتهم الكرسي بالفلك الثامن أنه لما

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ١٣)، تفسير اللباب لابن عادل(٤/ ٣٢٣(روح المعاني (٢/ ١١)،روح البيان(١/ ٤٠٣).

(٤)انظر: شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٤٦٨).

(٥) فتح القدير (١/ ٢٧٢).

(٦) وذلك أن بعض المتكلمين لما سمعوا عن الشارع ذكر السماوات السبع والكرسي والعرش أرادوا أن يطبقوا بين الأمرين فقالوا : السماوات السبع في كلام الشارع هي الأفلاك السبعة في كلام الفلاسفة فلكل من السيارات سماء من السماوات والكرسي هو فلك الثوابت والعرش هو الفلك المحرك للجميع المسمى بفلك الأفلاك وقد أخطؤا في ذلك وخالفوا سلف الأمة فيه. انظر: المواقف للإيجي

كانت الأفلاك عندهم تسعا، اعتبروا أن السموات سبع أفلاك ثم سمعوا في الأخبار ذكر العرش والكرسي فقالوا بطريق الظن أن الكرسي هو الفلك الثامن والعرش هو الفلك التاسع،كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على المتكلمين حيث قال: "فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة إذا سمعوا ما أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسي قالوا: العرش هوالفلك التاسع والكرسي هو الثامن"(١).

وقال في موضع آخر:" ولهذا لما أخبرت الأنبياء بعرش الرب وكرسيه ظن بعضهم أن الكرسي هو الفلك الثامن والعرش هو الفلك التاسع وهذا القول مع أنه لا دليل عليه أصلا فهوباطل من وجوه كثيرة"(٢).

وقال ابن كثير: "وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين: أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له: الأطلس. وقد رد ذلك عليهم آخرون"(٣).وجوز بعضهم أن يكون الكرسي من الكواكب السيارة المشاهدة(٤)

(١/ ٨)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٥٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٤٦)، الرسالة العرشية (ص: ٤)، روح المعاني (١٢/ ٢٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٦).

(٢) الرد على المنطقيين (ص: ٢٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨١).

(٤) كما ذكره الطاهر ابن عاشور في معرض تعداده للكواكب السيارة حيث قال: "إذا كان العرش أكبرها فهو المشتري، والكرسي دونه فهو زحل، والسبع الباقية هي المذكورة، ويضم إليها القمر، وإن كان الكرسي هو العرش فلا حاجة إلى عد القمر، وهذا هو الظاهر". التحرير والتنوير (٣/ ٢٤). وهذا القول يحمل بطلانه في طياته ، لأنه ذكر أن المشتري هو أكبر الكواكب السيارة وهو العرش، والعرش والكرسي شيء واحد عنده كما تقدم، والمقصود هنا أنه ذكر أن بعض الكواكب فوق المشتري، وهذا يخالف ما ثبت عند جميع الأمم من كون العرش والكرسي أعلى المخلوقات.

عدم صحة هذا القول وبيان بطلانه.

وهذا القول باطل وذلك لمخالفته لظاهر النصوص الشرعية، ومخالفته لأقوال السلف، ومخالفته للدلالة اللغوية للكرسي، ولأن تسمية الكرسي فلكا إنما هو تخرص وتخمين وقول على الله بغير علم، كما ذكر ذلك ابن كثير في رده على من زعم أن الكرسي هو الفلك الثامن حيث قال: "وقد زعم بعض من ينتسب إلى علم الهيئة أن الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يسمونه فلك الكواكب الثوابت، وفيما زعموه نظر: لأنه قد ثبت أنه أعظم من السماوات السبع بشيء كثير، كما ورد به الحديث المتقدم أن نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة، وهذا ليس نسبة فلك إلى فلك. فإن قال قائلهم: نحن نعترف بذلك ونسميه مع ذلك فلكا، فنقول الكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف: إن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه. ومثل هذا لا يكون فلكا.

ومن زعم منهم أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه فقد قال ما لا يعلم، ولا دليل لهم عليه هذا مع اختلافهم في ذلك أيضا كما هو مقرر في كتبهم، والله أعلم"[1].

وبهذا يتبين أن الكرسي ليس فلكا من الأفلاك وأن الصحيح أن الكرسي فوق الأفلاك كلها والعرش فوق الكرسي ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة[2].

خلاصة الأقوال في الكرسي.

الأقوال في هذه المسألة كثيرة جدا إلا أنها ترجع إلى قولين أساسين: **إحداهما**: أن الكرسي صفة من صفات الله تعالى ثم اختلف القائلون بهذا القول إلى عدة أقوال. **والثاني**: أن الكرسي مخلوق من مخلوقاته، ثم اختلف القائلون به هل هو العرش أو هو مخلوق مستقل.

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٠).

وفي هذا يقول الماوردي(١): "في الكرسي قولان: **أحدهما**: أنه من صفات الله تعالى. **والثاني**: أنه من أوصاف ملكوته. فإذا قيل إنه من صفات الله ففيه أربعة أقاويل:أحدها: أنه علم الله ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قدرة الله. والثالث: ملك الله. والرابع: تدبير الله. وإذا قيل إنه من أوصاف ملكوته ففيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه العرش ، قاله الحسن. والثاني: أنه سرير دون العرش. والثالث: هو كرسي تحت العرش، والعرش فوق الماء"(٢).

القول الراجح من هذه الأقوال.

الصحيح من هذه الأقوال أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله أعظم من السموات والأرض، وهو دون العرش في العظمة، والأقوال الباقية كلها باطلة، وهي تأويلات ما أنزل الله من سلطان. لأن القصد منها إنكار حقيقة الكرسي، ورد النصوص الصحيحة من كتاب الله عز وجل وسنة المصطفى ﷺالمصرحة بإثباته، بل إن أعظم آية في كتاب الله قد سميت به، فهل يقول عاقل بعد ذلك: أن المعنى آية العلم، أو آية القدرة أو آية الملك وسعة السلطان...إلخ.!!! ولكن لا عجب في تضارب أقوالهم واختلاف آرائهم، فإن هذا حال المؤولة والمعطلة، فإنهم دائما ما يقعون في التناقض والاضطراب.

أما أهل السنة فيقفون مع النصوص الشرعية، ويثبتون ما دلت عليه من معان صحيحة، فلا ينفون ولا يعطلون ولا يشبِّهون، ومن ذلك قولهم في الكرسي فقد أثبتوه كما ورد في النصوص، وآمنوا بما ورد وصح من وصفه، ومن ذلك: أنه أعظم مخلوق بعد العرش، وأنه بين يديه بمثابة المرقاة إليه، وهو موضع القدمين.

كما قال الشوكاني: "الكرسي الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ... وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطئوا في ذلك خطأ بينا وغلطوا غلطا فاحشا وهذا القول هو الحق ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات(٣).

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم صاحب الحاوي، والأحكام السلطانية ، كان مولده في سنة ٣١٩ه.وتوفي في سنة ٤٠٥هـ انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٢)، سيرأعلام النبلاء (١٨/ ٦٤).

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٣٢٤).

(٣) انظر: فتح القدير (١/ ٢٧٢).

إذا علم هذا فلفظ الكرسي ورد في الآية وجاء في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ولا امتناع في القول به فوجب القول باتباعه[١]، وقد تقدمت نقول كثيرة عن أئمة السلف في بيان هذا المعنى بما أغنى عن إعادتها هنا.

والمقصود هنا أن عظم هذا المخلوق يدل على عظم الخالق عز وجل، وقدرته وعظمة ملكه، لأنه إذا كان بعض مخلوقاته بهذه المثابة فكيف بالخالق سبحانه وتعالى.

والذين نفوا الكرسي وأولوه لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعرفوا حق المعرفة معنى إحاطة الرب وعظمته وقوته تعالى وأنه أكبر من كل شيء، وأن السموات السبع والأرضين في يده كخردلة في كف العبد، وأنه يقبض السموات السبع بيده، والأرضين بيده الأخرى، فمن هذا شأنه هل يعجز أن يخلق خلقا كالكرسي، وكيف يعسر عليه وهو الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون!!!! .

(١)انظر: مفاتيح الغيب (٧/ ١٣).

الخـــــاتمة وفيها:

نتائج البحث

التوصيات

الخاتمة

وفيها نتائج البحث والتوصيات

أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيق هو امتنانه وهدايته وإرشاده بما مكنني من إتمام هذا البحث، وتيسيره علي من جمع شوارده، وتقريب موارده، حيث يسهل على القاري الوقوف على مسائل العرش والكرسي، وما ورد في ذلك من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية مجتمعة في مؤلف واحد، وما ذاك إلا محض فضل من مولاي فنعم المولى ونعم النصير.

وقد توصلت خلال دراستي لهذا الموضوع نتائج عدة أهمها ما يلي:

أحدها: اتفاق الأمم على أن العرش العظيم المضاف إلى الله تعالى هو سرير ملكه سبحانه.

والثانية: أن عرش الرحمن مخلوق من مخلوقاته تعالى، وكان خلقه قبل خلق القلم على ما ذهب إليه جمهور العلماء، ولكنه اختص من بين الخلائق خصائص عدة منها:

أ- اختصاصه بكونه أعظم المخلوقات.

ب- اختصاصه باستواء الله عليه من بين سائر خلقه.

ج- أن الله أضافه إلى نفسه بأذاة "ذو" ولم يرد ذلك في غيره من الخلائق. وإنما ورد ذلك في إضافة الصفات إلى نفسه تعالى.

د- اختصاصه بكونه سقف الخلائق وأعلى الكائنات.

والثالثة: أن العرش ذو مكانة عظيمة عند الله تعالى ولذلك وصفه بالكريم والمجيد وتكرر ذكره في واحد وعشرين موضعا.

والرابعة:أن الاستواء المضاف إلى الله تعالى نوعان، استواء إلى السماء واستواء على العرش، وهما مختلفان في حدوثهما وما أضيف إلى كل واحد منهما، أما وقت حدوثهما:

- فاستواء الله إلى السماء متقدم على استواء الله على العرش، فالأول وقع بعد خلق الأرض، وقبل خلق السماء، وأما الثاني فهو واقع بعد خلق السموات والأرض.

- وأما اختلافهما فيما أضيف إلى كل واحد منهما: فلأن الأول مضاف إلى السماء، والثاني مضاف إلى العرش، فذاك علو وارتفاع إلى السماء وهذا علو وارتفاع على العرش،ومع اتفاقهما في المعنى العام الذي هو العلو والارتفاع إلا أن هناك فرقا دقيقا في هذا العلو والارتفاع.

- ذلك أن الاستواء على العرش خاص به لا يشاركه غيره من الخلائق، فلا يقال إن

الله استوى على السماء بالمعنى الأخص، بل يقال إن الله استوى على عرشه.

والخامسة: أن مذهب علماء السلف: إثبات صفتي استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه كما جاء في التنزيل، من دون تحريف لمعناهما، ومن دون تكييف لحقيقتهما، ومن دون تمثيل لهما بخلقه سبحانه.

والسادسة: أن الله أخبر في كتابه باستوائه على عرشه في سبعة مواضع، ولم تختلف صيغ ورودها في القرآن مما يدل على أن الاستواء يراد به حقيقته.

والسابعة: أن الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على علو الله على عرشه تزيد على الألف بما يحيل تأويلها وصرفها عن ظاهرها.

والثامنة: أن مذهب السلف في الألفاظ المجملة التي ليس لها ورود في الشرع هو عدم الخوض فيها، والتوقف عنها ما لم يخض فيها أهل البدع، فإذا خاض أهل البدع في ذلك وأرادوا إثبات ما لم يرد في الشرع أو نفي ما جاء في الشرع ، قام أهل السنة في بيان الحق ودحض الباطل، فكان خوضهم فيها ذبا عن المعاني الصحيحة الواردة في الشرع ودحضا للشبه الزائفة الصادرة عن أهل الأهواء والبدع.

والتاسعة: أن الله وكل للعرش ملائكة تحمله في الدنيا والأخرى، وأن عددهم ثمانية في الآخرة بنص آي الكتاب، وأما عددهم في الدنيا فلم يرد في ذلك نص تقوم به الحجة، وما ورد فيه فإنه لا يخلو من مقال.

والعاشرة :أن لله ملائكة تطوف بحول العرش كما يطوف البشر بحول الكعبة المشرفة.

والحادية عشرة: أنه لم يصل إلينا شيء يقطع به العذر في جلوس النبي ﷺ على العرش يوم القيامة، وأن التفسير الصحيح للمقام المحمود الوارد في القرآن هو الشفاعة العظمى.

والثانية عشرة: أن النبي ﷺ يرى موسى عليه السلام متعلقا بالعرش بعد النفخة الثانية التي تعقب نفخة الصعق.

والثالثة عشر: أن سجود النبي ﷺ يوم القيامة لفصل الخلائق يكون تحت العرش كما يكون أيضا في الجنة.

الرابعة عشر: أن الشمس تسجد تحت العرش كل يوم سجودا حقيقيا يناسب خلقتها.

والخامسة عشر: أنه لايصل إلى العرش ولا يتعلق به إلا أشراف مخلوقات الله تعالى،

كتعلق الرحم بالعرش، وتعلق أرواح الشهداء بقناديل معلقة بالعرش، وتعلق موسى عليه السلام بقائمة من قوائم العرش.

والسادسة عشر: أن العرش والكرسي متغايران وبينهما فروق ظاهرة منها:

- أن العرش أعظم من الكرسي كما جاء في الحديث أن الكرسي في جنب العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة.
- أن العرش سرير الملك لملكوت الله تعالى وأما الكرسي فهو موضع القدمين.
- أن العرش له قوائم كما جاء في الأحاديث وأما الكرسي فلم يرد ما يدل على أن له قوائم.
- أن العرش يكون يوم القيامة محمولا، وأما الكرسي فيكون موضوعا لفصل القضاء.

والسابعة عشر: أن الكرسي أوسع المخلوقات بعد العرش .

والثامنة عشر: أن أصح أقوال أهل العلم في تعريف كرسي الله تعالى أنه: مخلوق عظيم بين يدي العرش كالمرقاة إليه وهو موضع القدمين. وكل الأقوال المخالفة لهذا القول أقوال ضعيفة لا مستند لها من الشرع.

والتاسعة عشر: أن عرش الرحمن وحملته العظام وكرسيه الذي وسع السموات والأرض من عظائم خلائق الله تعالى فالتفكر في هذه المخلوقات والتأمل في أسرارها يورث الخوف والخشية من الله تعالى، لأنه لما كان أحد حملة العرش بلغ من العظمة أن رجلاه في الأرض السفلى وعنقه منثنية تحت العرش ومع ذلك فهو في تسبيح دائم للملك الجبار، يقول سبحانك ربنا ما أعظمك . لما كان ذلك كان لزاما على العباد أن يخافوا رب العرش العظيم الذي تسبح له الخلائق العظام.

أما التوصيات

فقد ظهر للباحث من خلال ممارسته لهذا الموضوع عدة موضوعات ذات صلة وطيدة بهذا البحث، والتي يجدر للباحثين أن يشمروا لها فيجمعوا شتاتها ويكتبوا فرائدها حتى يفيدوا منها ويكفوا غيرهم من رواد العلم والباحثين عناء جمع شواردها، ومن هذه الموضوعات:

أولا: الأثار الواردة عن السلف في العرش والكرسي جمع ودراسة.

ثانيا: الألفاظ التي لم ترد في النصوص واستعملها علماء السلف في العقيدة.

ثالثا: رد البدعة بالبدعة وأثرها في نشوء البدع وتكاثر الأهواء.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾	١٤١	الأنعام	١٨
﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾	١٣٣	الأنعام	١٤٤
﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	١٠٠	الأنعام	٢٨٠
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾	١٥٨	الأنعام	٣٧٩
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾	١٨	الأنعام	٢٨٩
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣	الأنعام	٣٠٠
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾	١١٦	الأنعام	٣٢٠
﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾	١٣٧	الأعراف	٢٢
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	٣٣	الأعراف	٤٤
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٣	الأعراف	١٤
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	٥٤	الأعراف	٢٧٧
﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	١٥٦	الأعراف	٩٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾	٢٠٦	الأعراف	١٥٩
﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾	٤٠	الأعراف	٢٦٥
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾	١٠٠	التوبة	٤
﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	١٢٩	التوبة	٤٥
﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	٤٠	التوبة	٣٠٢
﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	٢٥	يونس	٢٠٣
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾	٣	يونس	٤٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾	٧	هود	٦٤
﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾	٤٤	هود	٢٥٧
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾	١٠٠	يوسف	٢٤
﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾	١٠١	يوسف	٢٤

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾	٨٢	يوسف	١٤٦
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾	٢	الرعد	٤٧
﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾	٣٥	الرعد	١١٩
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾	١٥	الرعد	١٩٩
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ ﴾	٤٨	إبراهيم	٧٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾	٤	إبراهيم	٢٦
﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾	٧٤	الحجر	٣١
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾	٣٦	النحل	٥
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾	٨١	النحل	٥٣
﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾	١	النحل	٦٢
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾	٤٨-٤٩	النحل	١٩٩
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾	٣٣	النحل	٣٧٩
﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾	٢٦	النحل	٢٨١
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾	٥٠	النحل	٢٨١
﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	١٠٢	النحل	٢٨٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	النحل	٣٠١
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	النحل	٣٩٢
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ ﴾	٣٦	الإسراء	٤٤
﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	٤٢	الإسراء	٤٦
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن ﴾	٤٤	الإسراء	١٩٩
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	٧٩	الإسراء	٢٢٥
﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	٤٣	الإسراء	٢٨٠
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ ﴾	١٣-١٤	الإسراء	٢٥٨

﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	٢٤	الإسراء	١٤
﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾	٤	الإسراء	٢٦٩
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	٨٥	الإسراء	٣٧٣
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾	٨٦	الكهف	٢١١
﴿ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾	٩٠	الكهف	٢١٢
﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾	١٧	الكهف	٢١٢
﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ ﴾	٧٩	الكهف	٢٤٨
مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾	٤٩	الكهف	٢٦١
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ ﴾	٩٦	الكهف	٢٧٤
﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾	٦٥	مريم	٣٢٠
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾	٥	طه	٤
﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾	١٠٩	طه	٢٠٠
﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾	٥٢	طه	٦٨
﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	٦٨	طه	٢٧١
﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	٤٦	طه	٣٠٢
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	٢٢	الأنبياء	٤٦
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾	٣٢	الأنبياء	٩٨
﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	١٠٤	الأنبياء	٧٤
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾	٣٣	الأنبياء	١٠٧
﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾	١٩-٢٠	الأنبياء	١٦٦
﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾	٢٨	الأنبياء	٢٠٠
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴾	٤٥	الحج	٣١
﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ﴾	٥	الحج	١٤٨
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾	١٨	الحج	٢٠٧

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٤٠	يس	١٠٢
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾	١٢	يس	٣٩٢
﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾	٤٠	ص	١١٧
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾	٣٤	ص	٣٥٩
﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٧٥	الزمر	٥٠
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	الزمر	٥٧
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾	٧٤-٧٥	الزمر	٧١
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٦٧	الزمر	٧١
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾	٦٨	الزمر	١٧٣
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	١	الزمر	٢٨٣
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	٧	غافر	٤١
﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١٥	غافر	٤٦
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾	٨-٩	غافر	١٦١
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾	١١	فصلت	٢٧٥
﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾	٣٨	فصلت	١٥٩
﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾	٥١	الشورى	٢٨٠
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾	٥	الشورى	٢٨٢
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	الشورى	٣١٣
﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٨٢	الزخرف	٤٦
﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾	١٣	الزخرف	٢٧٥
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾	٢٩	الدخان	١٤٦
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢ – ٢٣	محمد	١٧٦
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾	٣٥	محمد	٢٧١
﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾	٢٩	الفتح	٢٧٥

﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾	٥٨	الذاريات	٨٨
﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾	٥	الطور	٩٧
﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾	٤٥	الطور	١٨٥
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾	٢٦	النجم	٢٠٠
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣-٤	النجم	٢٤٠
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾	٢٧	الرحمن	٦٩
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٢٦-٢٧	الرحمن	٦٩
﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾	٣٠	الواقعة	١١٩
﴿ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾	٤٢-٤٣	الواقعة	٢٦٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	٤	الحديد	٤٨
﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾	٢٩	الحديد	٣٤١
﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾	٢١	المجادلة	٢٤٣
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٧	المجادلة	٢٩٠
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢١	الحشر	١٧٨
﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾	١٢	الطلاق	٣٠٠
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٦	الملك	٨٠
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾	١٦-١٧	الملك	٢٨٢
﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾	١	الملك	٣٤١
﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾	١٧	الحاقة	٤١
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾	١٣-١٧	الحاقة	٧٢
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾	١٩-٢٧	الحاقة	٢٥٨
﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾	٢٢-٢٤	الحاقة	٢٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	١-٣	المدثر	٢٥
﴿ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾	١٤	المرسلات	١٢٠
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾	٤٠	النازعات	١٣٢

﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾	٢٠	التكوير	٤٦
﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	١٨	التكوير	١٧٣
﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾	١٠	التكوير	٢٦١
﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾	١٨	المطففين	٢٦٤
﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾	٧-٢١	المطففين	٢٦٤
﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾	١٤-١٥	البروج	٤
﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾	١٥	البروج	٣٧
﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾	١٣-١٦	البروج	٤٧
﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾	٢١-٢٢	البروج	٢٤٤
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾	١	الأعلى	٢٨٠
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾	٢٢	الفجر	٢٩٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾	٦-٧	البينة	٢٦٤
﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾	٣-٤	الإخلاص	٣٢٠

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع.

١. الإبانة الكبرى لابن بطة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد االمعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤١٨هـ.

٢. الإبانة عن أصول الديانة، لعلي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري تحقيق: د. فوقية حسين محمود، : دار الأنصار – القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٣. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ، تحقيق : محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية –الكويت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٤. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٥. اثبات الحد لله تعالى ، لأبي محمد محمود بن أبي القاسم الدشتي ، تعليق أبي معاذ مسلط بن بندر العتيبي، وعادل بن عبد الله آل حمدان، ط١: ١٤٣٠هـ، دار الطبع: بدون.

٦. اثبات الشفاعة، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٧. إثبات صفة العلو، لعبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق : أحمد بن عطية بن علي الغامدي، : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٨. اجتماع الجيوش الإسلامية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٩. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق محمد حامد الفقي، ومراجعة أحمد محمد الشاكر، مطبعة السنة المحمدية القاهرة - مصر، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.

١٠. أحكام الجنائز، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، : دار الراية، ط١ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

١٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني

المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.

١٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٤. الاستذكار، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥. الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – ط١، ١٤٠٣هـ.

١٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لعمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي،: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٧. أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار الشريعة، ط١: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٨. الأسماء والصفات للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة-، ط١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ .

٢٠. أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢١. أصول الإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي تحقيق: فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – ط٥، ١٤٢٠هـ .

٢٢. أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١: ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٣. أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، لمحمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد ابن أبي زَمَنِين المالكي ، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، : مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – ط١، ١٤١٥ هـ.

٢٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني

الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢٥. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٦. الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، د. سعد بن عبد الله آل حميد، د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٢٧. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي تحقيق: أحمد عصام الكاتب، : دار الآفاق الجديدة – بيروت،ط١، ١٤٠١هـ.

٢٨. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي ، تحقيق د. محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى ، ط١ : ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٩. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-السعودية،ط٢،١٤٢٢هـ.

٣٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت،ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٣١. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد ، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين،ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٣٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي، : مكتبة المعارف، الرياض .

٣٣. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي اعتناء: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٣٤. الاقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٥. إكمال المعلم بفوائد مسلم، لقاضي عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٦. ألفية ابن مالك، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، جمال الدين، توزيع دار التعاون، عباس احمد الباز _ مكة المكرمة بدون طبعة.

٣٧. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، ى تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٨. الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن العباد البدر، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية.ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٩. الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني ، المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٤٠. آية الكرسي معانيها وفضائلها. الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقييق وتعليق: يوسف البدري، دار الاعتصام . لم يكتب عليه سنة الطبع.

٤١. آية الكرسي وبراهين التوحيد لشيخنا أ. د. عبد الرزاق عبد المحسن البدر، المدينة المنورة / الطبعة الأولي: ١٤٢٧هـ، بدون ذكر الناشر.

٤٢. الإيمان ، لمحمد بن إسحاق بن محمد ابن مَنْدَه العبدي ، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، : مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ .

٤٣. بحر العلوم ، لنصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر – بيروت.

٤٤. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤٥. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٦. البعث والنشور ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٤٧. البعث، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٨. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن

تيمية الحراني ، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٩. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد ، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م.

٥٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٥١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية.

٥٣. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م.

٥٤. تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري ، دار التراث – بيروت،ط٢ – ١٣٨٧ هـ

٥٥. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٥٦. تاريخ بغداد، لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٥٧. تاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٥٨. تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق،ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

٥٩. التبصرة لابن الجوزي، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٦٠. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لطاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٦١. التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي،

دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٢. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لثقة الدين، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٦٣. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٦٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى دار الكتب العلمية – بيروت. ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٦٥. تخريج العقيدة الطحاوية، ل: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، : المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ.

٦٦. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، : مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض. ط١، ١٤٢٥هـ.

٦٧. تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٨. تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، من أمالي فضيلة الشيخ، عبد الرحمن بن ناصر البراك. دار التوحيد للنشر. ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٦٩. تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٧٠. تفسير القرآن العزيز، المؤلف: محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٧١. تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٧٢. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٧٣. تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٧٤. تفسير القرآن، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني ،تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧٥. تفسير الماوردي المسمى بالنكت والعيون، لعلي بن محمد بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.بدون طبعة.

٧٦. تفسير جزء عم. لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٧٧. تفسير روح البيان ، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى.

٧٨. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الميورقي تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة – مصر،ط١، ١٤١٥–١٩٩٥م.

٧٩. تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير البلخي ، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ.

٨٠. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٨١. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي باعتناء: محمَّد سَليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

٨٢. تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظلال العرش، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد شكور حاج أمرير المياديني، المكتب الإسلامي، دار عمار.

٨٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧م.

٨٥. تهذيب الأسماء واللغات، ل: محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة بدون.

٨٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي ،تحقيق: د.

بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٨٧. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٨٨. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن حمد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ ١٤٠٦هـ.

٨٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٩٠. التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٩١. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البُستي ، اعتناء: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.

٩٢. الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب،لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، غراس ل لنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٩٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير ، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٩٤. جامع العلوم والحكم ،لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٩٥. جامع المسائل لابن تيمية ، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. ط١ ، ١٤٢٢ هـ.

٩٦. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٩٧. الجديد في الحكمة، لسعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد مرعيد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠في٣هـ–١٩٨٢م.

٩٨. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي تقديم: علي السيد صبح

،مطبعة المدني، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٩٩. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٠٠. جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠١. الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، : مكتبة ابن عباس، مصر ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

١٠٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٠٣. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، مطبعة المدني، القاهرة.

١٠٤. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، : دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢ ، ١٤١٥هـ.

١٠٥. حاشية السندي على سنن النسائي ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م .

١٠٦. حاشية السندي على سنن النسائي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب. ط٢، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١٠٧. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر – بيروت. بدون طبعة.

١٠٨. حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ .

١٠٩. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل بن محمد بن الفضل ، قوام السنة الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١١٠. الحسنة والسيئة، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق د. محمد جميل غازي، الناشر مطبعة

المدني، القاهرة.

١١١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١١٢. الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة ٣٤ - العدد (١١٧) ١٤٢٢هـ.

١١٣. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، الناشر: دار أطلس الخضراء، ط١، ٢٠٠٥ هـ.

١١٤. خواتيم سورة البقرة فضلها وبيانها. تأليف: أ.د/ عماد بن زهير بن عبد القادر حافظ. أستاذ التفسير وعلوم القرآن / كلية القرآن والدراسات الإسلامية / الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الجمعية العالمية لتحفيظ القرآن الكريم.

١١٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: مركز هجر للبحوث، : دار هجر – مصر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

١١٦. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن.دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

١١٨. دقائق التفسير ، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١١٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٠٥ هـ .

١٢٠. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الإشبيلي تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

١٢١. ديوان امرِئ القيس، باعتناء: عبد الرحمن المصطاوي، : دار المعرفة–بيروت، ط٢، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

١٢٢. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له / الأستاذ عبدا مهنا، : دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط١ ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٢٣. ديوان زهير ابن أبي سلمى . شرحه وقدم له الاستاذ: علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط١: ١٤٠٨هـ.

١٢٤. الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، : دار الثبات للنشر والتوزيع، ط١.

١٢٥. الرد على الجهمية، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٢٦. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق: علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد – مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٢٧. الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢٨. الرسالة التدمرية: لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، : مكتبة العبيكان – الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٩. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، لعبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ ، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣٠. الرسالة العرشية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ

١٣١. رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ،لعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دار طويق للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، .

١٣٢. الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، تحقيق: صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة: بدون، .

١٣٣. الروايات التفسيرية في فتح الباري لابن حجر، للدكتور/ عبد المجيد الشيخ عبد الباري، الناشر:

وقف السلام الخيري، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ مـ.

١٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، : دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٥ هـ.

١٣٥. الروح لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٣٦. رؤية الله، لعلي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، تحقييق: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي،: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٤١١ هـ.

١٣٧. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،ط١ - ١٤٢٢ هـ.

١٣٨. الزاهر في معاني كلمات الناس، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١٣٩. الزهد لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٤٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٤٢٢هـ .

١٤١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين، الألباني، دار المعارف، الرياض ، ط١، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

١٤٢. السنة لأحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، : المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٤٣. السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخَلَّال ، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. .

١٤٤. السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٤٥. السنة، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ ، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٤٦. سنن ابن ماجه ، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، : دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

١٤٧. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، .

١٤٨. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١٤٩. سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، التميمي السمرقندي ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥٠. السنن الصغرى لأحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٥١. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى ،البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥٢. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف: شعيب الأرناؤوط ،: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥٣. سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور ، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي الرياض،ط١، ١٤١٤هـ .

١٥٤. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

١٥٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥٦. شرح السنة، للحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق عبد الرحمن أحمد الجميزي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٥٧. شرح السنة، لمحيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥٨. شرح العقيدة السفارينية ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ

١٥٩. شرح العقيدة الطحاوية لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، السعودية، ط١: ١٤٣٣هـ.

١٦٠. شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦١. شرح العقيدة الواسطية، ل: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، تحقيق: سعد فواز الصميل، : دار ابن الجوزي، الرياض، ط٥، ١٤١٩هـ.

١٦٢. شرح حديث النزول، ل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٦٣. شرح سنن أبي داود، لمحمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العينى ، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، : مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

١٦٤. شرح صحيح البخارى لعلي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٦٥. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله بن محمد الغنيمان : مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٠٥ هـ .

١٦٦. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١ - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م .

١٦٧. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٦٨. شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، باعتناء الدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، وإشراف مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق: : دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

١٧٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد

عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٧١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٧٢. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، : المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٧٣. صحيح أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، أجزاء، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

١٧٤. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٧٦. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : مجموعة من المحقيقين، دار الجيل – بيروت، الطبعة : مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

١٧٧. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية – دار الهجرة، ط٣ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.

١٧٨. الصفدية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد ابن تيمية الحراني ،تحقيق : محمد رشاد سالم، : مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٣، ١٤٠٦هـ

١٧٩. صلة الرحم تأليف محمد مجاهد طبل وأبي حذيفة إبراهيم بن محمد ، مكتبة الصحابة بطنطا/ مصر، ط١ عام ١٤٠٨هـ.

١٨٠. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٨١. الضعفاء، لمحمد بن عمرو بن موسى العُقَيلي، تحقيق: الدكتور مازن السرساوي، دار ابن عباس – مصر، ط٢، ٢٠٠٨ م .

١٨٢. ضعيف الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٨٣. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٨٤. الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، لسليمان بن سحمان النجدي ، تحقيق: عبد السلام بن برجس، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م .

١٨٥. طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

١٨٦. طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٨٧. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد ، تحقيق: إحسان عباس، : دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٦٨ م .

١٨٨. طرح التثريب في شرح التقريب لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، الطبعة المصرية القديمة.

١٨٩. عارضة الأعوذي بشرح صحيح الترمذي للحافظ ابن العربي المالكي، تحقيق : الشيخ هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي، ط١: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٩٠. العرش وما روي فيه، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٩١. العظمة، لعبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ .

١٩٢. عقيدة الحافظ عبد الواحد المقدسي، ل: عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مطابع الفردوس، الرياض،ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

١٩٣. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٩٤. العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، : أضواء السلف – الرياض، ط٢ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٩٥. العلل الواردة في الأحاديث النبوية. لعلي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، تحقيق وتعليق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. ومحمد بن صالح بن محمد الدباسي : دار طيبة – الرياض. ، و دار ابن الجوزي –

الدمام، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٤٢٧ هـ.
١٩٦. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٩٧. العماديات لعماد الدين الواسطي المعروف بابن سيخ الحزامية، باعتناء: محمد عبد الله أحمد، دار الكتب العلمية – لبنان ط١، ٢٠١٠م.
١٩٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العينى دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٩٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية المدينة المنورة، ط٢ ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
٢٠٠. عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ ، تحقيق: حسين محمد بوا، مكتبة الرشد – الرياض، ط١ .
٢٠١. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٥هـ .
٢٠٢. غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي بن محمد الآمدي تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
٢٠٣. غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ .
٢٠٤. غريب الحديث، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠هـ – ١٩٨٥م.
٢٠٥. غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، : مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط١، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤.
٢٠٦. غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.
٢٠٧. الفتاوى الكبرى، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف دار المعرفة – بيروت، ط١ ، ١٣٨٦.

٢٠٨. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة، إعداد : وليد إدريس بن منسي والسعيد بن جابر عبده، دار ابن حزم ، دار الفضيلة، ط٢، ١٤٢٠ / ١٩٩٩م.

٢٠٩. فتح الباري ـ لابن رجب، لعبد الرحمن ابن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله. دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – الطبعة٢، ١٤٢٢هـ.

٢١٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، باعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢١١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان بن حسن، باعتناء: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٢١٢. الفتح القدسي في آية الكرسي لإبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١٣. فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١ – ١٤١٤ هـ.

٢١٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق: محمد حامد الفقي، : مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر،ط٧، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٢١٥. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، لمحمد بن علان الصديقي ، دار إحياء التراث –بيروت لبنان.

٢١٦. الفتوى الحموية الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي ، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي – الرياض، ط٢ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢١٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، ١٩٧٧ م.

٢١٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتناء: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

٢١٩. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غانم بن سالم النفراوي الأزهري المالكي ، دار الفكر،الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٢٢٠. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية –

بيروت،ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٢٢١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .

٢٢٢. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٢٣. القضاء والقدر، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٢٢٤. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق خان ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - ، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢٥. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

٢٢٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ .

٢٢٧. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ،لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي ، ناصر بن يحيى الجنيني ، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل ، فهد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٢٨. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، : مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، ط٥ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٢٩. كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٢٣٠. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشيباني المكتب الإسلامي، الطبعة: ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٢٣١. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣٢. كتاب المواقف، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط١ ، ١٩٩٧م.

٢٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

٢٣٤. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، ط١، ١٣١٨هـ، ١٩٩٧هـ.

٢٣٥. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي الكرماني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٢٣٦. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج. جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي. مراجعة لجنة من العلماء برئاسة البروفسور : هاشم محمد علي مهدي/ المستشار برابطة العالم الإسلامي / مكة المكرمة، دار المنهاج، جدة- السعودية، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١ : ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٣٧. لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت / لبنان ،١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٢٣٨. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١ ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٣٩. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤ هـ.

٢٤٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٤١. مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٤٢. مجاز القرآن،لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري ، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٢٤٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين

القدسي،مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

٢٤٤. مجموع الفتاوى،لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٤٥. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ١٤١٣ هـ.

٢٤٦. مجموعة الرسائل والمسائل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا،لجنة التراث العربي. الطبعة بدون.

٢٤٧. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ.

٢٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، : دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ.

٢٤٩. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، : المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، .

٢٥٠. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار محمد ابن الموصلي، تحقيق: د. حسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط١ ١٤٢٥هـ.

٢٥١. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢ ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٥٢. مختصر قيام الليل. لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، اختصار: العلامة أحمد بن علي المقريزي ، حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢٥٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي–بيروت،ط٥،١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٥٤. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥٥. المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِستاني ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٥٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري ، إدارة البحوث العلمية ، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

٢٥٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥٨. مستخرج أبي عوانة، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٥٩. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين القاهرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .

٢٦٠. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – جدة، ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٢٦١. مسند إسحاق بن راهويه، لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه ، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٦٢. مسند البزار لأحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد ،وصبري عبد الخالق الشافعي: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة،ط١،١٩٨٨م-٢٠٠٩م.

٢٦٣. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٢٦٤. مشكل الحديث وبيانه، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط٢، ١٩٨٥م .

٢٦٥. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، : دار العربية – بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ .

٢٦٦. مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشادط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٦٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٢٦٨. مصطلحات في كتب العقائد، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمة، ط١.

٢٦٩. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٧٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام،ط١ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٢٧١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٧٢. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،لمحمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ،دار الفكر ـ دمشق ـ سوريا ،ط١ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٢٧٣. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٢٧٤. المعجم الصغير لسليمان بن أحمد بن أيوب ، أبي القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

٢٧٥. المعجم الكبير، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢ ١٩٨٣ م.

٢٧٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

٢٧٧. المعجم الوسيط، لـ(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

٢٧٨. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٧٩. المعجم، المؤلف: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي ، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية – فيصل آباد، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٨٠. معرفة علوم الحديث، لمحمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الحاكم ، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢ ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٢٨١. مفاتيح الغيب، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠ هـ.

٢٨٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨٣. المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ.

٢٨٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال. دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٨٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لعلي بن إسماعيل الأشعري : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، تحقيق : هلموت ريتر.

٢٨٦. مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، للدكتور: جابر بن إدريس بن علي أمير، أضواء السلف، الرياض- السعودية، ط١: ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م.

٢٨٧. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد - الرياض – السعودية،ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢٨٨. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني ،تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٢٨٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٩٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمدبن سعودالإسلامية،ط١،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٩١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٩٢. المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، تحقيق حليمي محمد فوده، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م .

٢٩٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي ، تحقيق: د. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ - ١٩٩٦م.

٢٩٤. موسوعة محمد ناصر الدين الألباني في العقيدة، لشادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٢٩٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ل: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي، : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.

٢٩٦. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط٣،١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٩٧. النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي ، تحقيق: الدكتور عمار طالبي، : مكتبة دار التراث، مصر. بدون طبعة.

٢٩٨. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبي سعيد الدارمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٢٩٩. النهاية في الفتن والملاحم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٠٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٣٠١. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، لأحمد بن محمد بن الحسين ، الكلاباذي ، تحقيق: عبد الله الليثي، : دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ .

٣٠٢. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، ط٣، ١٩٩٩ م.

٣٠٣. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٠٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: مجموعة من المحققين،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط١،١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٣٠٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت/ ظ١، ١٩٠٠م– ١٩٩٤م.

فهرس المحتويات